الإعلام الأمريكي بعد العراق

حرب القوة الناعمة



تأليف : نيثان غردلز ـ مايك ميدافوي

ترجمة وتقديم : بثينة الناصري



الإعلام الأمريكي بعد العراق

حرب القوة الناعمة

تأليف : نيثان غردلز / مايك ميدافوي

ترجمة وتقديم : بثينة الناصري

عنوان الكتاب الأصلي

American Idol After Iraq: Competing for Hearts and Minds in the Global Media Age

الكتاب: الإعلام الأمريكي بعد العراق .. حرب القوة الناعمة

الكاتب: نيثان غردلز / مايك ميدافوي

ترجمة وتقديم : بثينة الناصري

الطبعة: 2017

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35867575 – 35867576 – 35825293

فاكس : 35878373

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

نيثان غردلز / مايك ميدافوي

الإعلام الأمريكي بعد العراق .. حرب القوة الناعمة/

نيثان غردلز / مايك ميدافوي – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولى: **3 – 339 – 446 –977 –978**

أ – العنوان رقم الإيداع : **2017/8956**

الإعلام الأمريكي بعد العراق
حرب القوة الناعمة





تقديم

من المفارقة التي تستدعي التأمل، أن نجد أن مؤلفيْ الكتاب استخدما في النص وصولا الى الاستنتاجات الأخيرة، تعبيرات عسكرية: الحرب – الصدمة والترويع – القصف – الصراع – القنبلة – الذخيرة وغيرها مما يستخدم في وصف قوة السلاح "الخشنة"، وصفا لقوة الإعلام "الناعمة" متمثلة على الأخص في "هوليوود".

أمريكا استخدمت ومازالت القوتين لصالح تحقيق مصالح الإمبراطورية: السلاح للسيطرة على الأرض وما فوقها وتحتها من موارد، والإعلام للسيطرة على العقول. واحتلال الأرض يبدأ من احتلال العقول، واحتلال العقول يبدأ من احتلال اللغة.

واحتلال اللغة (ليس المقصود به فقط تعميم لغة المحتل حيث انه من أول مهام الإحتلال نشر لغته لتكون لغة التعامل والوظائف والتعليم) ، هو استخدام مفردات تؤدي الى تغيير المفاهيم وطرق التفكير، فأن تنتمي، مثلا، الى "الشرق ألأوسط" غير أن تنتمي الى "الوطن العربي". اللغة تعكس الفكر ولكنها تشكّله أيضا.

"هوليوود" باعتبارها – كما يقول الكتاب الذي بين يديك – أكبر منتج للصور في تاريخ العالم، ساهمت بالصورة في كتابة التاريخ الأمريكي والعالمي أيضا، فقد نشأت أجيال العالم التي وصلتها ألأفلام الأمريكية

طوال القرن العشرين على اعتبار الهنود الحمر قبائل متوحشة، بدائية ، هوايتها القتل وسلخ رؤوس أعدائها، وأن الإنسان الأبيض الذي – في الواقع نهب أراضيها وعمل على إبادتها– قد جاء لتمدين هؤلاء المتوحشين. كنا ونحن نتابع افلام الغرب الأمريكي ، نتمنى كلنا أن ينتصر الأبيض الطيب النبيل الوسيم والظريف على الهندي الأحمر الشرير. بعدها، حين نضجنا وقرأنا وفهمنا وعشنا التجربة، اكتشفنا أننا كلنا – في الحقيقة– هنود حمر.

كذلك كتبت هوليوود وقائع الحروب العالمية ، والغزوات الأمريكية في آسيا وأمريكا اللاتينية، وأخيرا في بلاد العرب، كان الأمريكي دائما ذلك الشجاع النبيل في مواجهة أشرار يريدون إبادة الحضارة وطريقة الحياة الأمريكية (التي ينبغي أن تكون طريقة حياة جميع البشر كما تبشرنا هوليوود) ، احيانا يكون هؤلاء الاشرار صفر الوجوه، او خلاسيين، أو سودا، أو سمرا ، أو حتى من الأعراق البيضاء ولكنهم يسكنون في الكتلة الشرقية من اوربا، يشربون الفودكا ويرطنون بلغة غير الإنجليزية.

الصورة ، كما كان يقال لنا، بألف كلمة، فالصور لا تكذب. ولهذا كانت تعتبر دليلا حاسما في المحاكم وغيرها. ولكن في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين ، ومع تطور تقنيات الصور، اكتشفنا أنه أصبح من اليسير، تزييف الصور، وتركيبها، ومنتجتها، بالاضافة اليها او الحذف منها، أو خلق واقع لم يكن في الأصل. وطالما رأينا أبطال أفلام في مواقف يلتقون فيها مع شخصيات تاريخية حقيقية

ولكنها مواقف مختلقة . أنصع مثال على ذلك ، ما رأيناه من الممثل توم هانكس في دور فوريست غمب وهو يسلم على ثلاثة رؤساء أمريكيين ويتبادل الحديث معهم في ثلاث مراحل من حياته وهم جون كنيدي، ولندون جونسون ، وريتشارد نيكسون، وهي بطبيعة حال لقاءات لم تحدث في الواقع. كل ذلك كان ممكنا بمساعدة تقنيات كومبيوترية مختلفة.

و أشد تأثير للتلاعب بالصور هو في إظهار القلة من الناس وكأنهم حشد كبير أو العكس، باختيار زوايا التصوير أو إعادة تصوير لقطات لمجموعة محددة من الناس ثم طباعة اللقطات معا، وبشيء من التمويه تبدو الصورة وكأنها لمئات الاشخاص. من أشهر أمثلة التلاعب بالمجاميع هي الصورة الشهيرة لإسقاط تمثال الرئيس صدام حسين في ساحة الفردوس في بغداد في يوم احتلالها في **9** أبريل **2003**، وقد أرادت القوات الأمريكية إنتاج صورة رمز تظل في ذاكرة الشعوب، مثل صورة اسقاط جدار برلين وغيرها. الصورة كما ظهرت (في تصوير مباشر أو مسجل) كانت لجماهير غفيرة من العراقيين يتحلقون حول التمثال يحالون اسقاطه، وحين لم يتمكنوا (وربما كانت هذه من ضمن السيناريو) تقدمت دبابة أمريكية وأسقطت التمثال.

رأى العالم كله هذه الصورة، وسمع التعليق المصاحب والذي يعبر عن فرحة العراقيين وخروجهم بشكل (عفوي) الى الشارع لإسقاط التمثال.

ومن المعروف ان التمثال كان يقوم وسط ساحة تقع أمام الفندق الذي اتخذه الصحفيون والإعلاميون الأجانب المرافقون للاحتلال مقرا لهم، ولهذا كانت عملية اسقاط التمثال في مكانها المناسب.

لم تمض عدة أسابيع حتى عرف العالم أن الصورة كانت مفبركة. وأنها كانت سيناريو هوليوودي، وأن جموع الناس وحشد الجماهير لم يكن سوى الصحفيون ومجموعة من عراقيين معارضين كانوا قد نقلوا بالمروحيات الأمريكية من الناصرية (وصولا من الكويت) مع الغزو، وأن كل الموجودين لم يزد عددهم على **100** شخص. وأن الدبابات الأمريكية كانت تحيط بالساحة لحراستهم (مما لا يجرأ معها أي انسان عراقي عادي في ذلك اليوم غير العادي، أن يخترقها). ولكن لا شيء من هذا ظهر في الصورة وانما استخدمت زوايا الكاميرات بطريقة تظهر جموعا حاشدة.

إذن الصورة لم تعد انعكاسا حاسما للحقيقة. مع تطور التقنيات، تداخل الواقع بالإفتراضي، الحقيقة بالخيال، الصادق بالمزيف. كيف يمكن لإنسان القرن الواحد والعشرين ومابعده ، إذن ، أن يميز بين هذا وذاك؟

وبنفس الطريقة تداخلت أساليب القوة الخشنة مع أساليب القوة الناعمة، من أجل تحقيق السيطرة على الأرض و العقل معا.

نستطيع القول أن عملية غزو واحتلال العراق في معظمها أديرت بأساليب هوليوودية، الصور الضخمة المؤثرة (المتحركة والجامدة)

والمقصود بها التأثير اولا على الشعب الأمريكي ، ثم الرأي العالمي ، ثم الشعب العراقي في آخر المطاف، هي التي أشرت لمراحل الحرب على العراق.

أول الصور كانت طابورا من الجنود العراقيين رافعي الأيدي مستسلمين للقوات الغازية ، كان ذلك في جنوب العراق. وقيل فيما بعد أن الصورة كانت مفبركة لأن قوات الإحتلال قد جوبهت بمقاومة من الجيش العراقي أخرته اسبوعين عن الوصول الى بغداد.

ثاني الصور كانت صورة المجندة الأمريكية جيسيكا التي قيل أن قوات امريكية انقذتها بطريقة اسطورية من مستشفى عراقي. ثم اتضح ان الأطباء العراقيين هم الذين طلبوا من الأمريكيين المجيء لاستلامها، ولم تكن العملية شجاعة رامبو.

ثالث الصور المهمة كانت اسقاط التمثال في ساحة الفردوس في بغداد. وقد تحدثت آنفا عن ملابساتها.

رابع الصور كانت صورة الرئيس جورج بوش على حاملة الطائرات، مرتديا ملابس طيار مقاتل ، وخلفه لافتة تقول "انتهت المهمة" ، ملقيا خطابا حول انتهاء المهمة في العراق. كان ذلك في **1** مايو **2003**. ونعلم ان (المهمة) لم تنته حتى الآن بعد سبع سنوات !

خامس الصور كانت صورة الرئيس صدام حسين مقبوضا عليه في حالة شعثاء خارجا من (حفرة) تحت الأرض. وقد عرف العالم فيما بعد أن طريقة الاعتقال لم تكن هكذا أبدا ولم تكن في ذلك المكان.

سادس الصور كانت صورة صدام ايضا وطبيب الاحتلال يفحص فمه. وهي عملية تجري عند استلام اي أسير، ولكن تصويرها كان من أجل تثبيت صورة جديدة لصدام "الخائف ، الخانع، المستسلم" وهي صورة تناقض ما ظهر عليها في المحكمة مثلا، أو في لحظة الإعدام .

سابع الصور كانت صور انتهاك المعتقلين في أبي غريب. ولا ندري إذا كان التسريب برغبة أمريكية من أجل بث الخوف في نفوس العراقيين ، أي عملية حرب النفسية، ولكن على أية حال، صارت الصور وبالا على صورة أمريكا (حامية حقوق الانسان والديمقراطية والحرية) في عيون الآخرين.

ثامن الصور كانت (الأصابع البنفسجية) والانتخابات الأولى في العراق، باعتبارها المظهر الأول للديمقراطية.

تاسع الصور كانت صورة ابي مصعب الزرقاوي قتيلا. لم يره أحد قبل ذلك حيا، ولكنه كان قد (دوخ) الأمريكيين والعراقيين بظهوره في وقت واحد في كل مدينة عراقية واختفائه على مسافة شعرة من اعتقاله. وبعض المراقبين الأمريكيين والمحللين الأجانب يعتقدون بأن الزرقاوي كان مجرد "اسطورة" من أساطير هوليوود.

عاشر الصور كانت لحظة إعدام الرئيس صدام حسين. وهي مثل صور أبي غريب، ربما سربت بقصد التأكيد على خروج الرئيس العراقي من مسرح الأحداث ولكن الصورة كانت وبالا أيضا على صورة الأمريكيين في عيون الرأي العام العالمي.

كانت آخر صورة في مسيرة الحرب على العراق وأول الصور في عهد الرئيس اوباما، هي صور (الإنسحاب) المفترض، للجنود والمعدات، ولكنها كانت صورا خادعة أيضا، لأن قوات الاحتلال لم تنسحب حقا وإنما غيرت تسمياتها فصار عنوان الجنود المقاتلين (مستشارين ومدربين) للجيش العراقي.

لم يقتصر خلط الواقع بخيال هوليوود على الصور المؤثرة فقط، وإنما كان أسماء العمليات العسكرية المهمة في العراق مستوحى من عناوين الأفلام الهوليوودية الشهيرة.

مثلا سميت عملية اعتقال الرئيس صدام حسين باسم (الفجر الأحمر) على اسم فيلم يدور في حقبة الحرب الباردة، بل أن الضابط الذي وقف يشرح لنا على الخارطة الأماكن التي فتشت باعتبارها مواقع اختباء محتملة سميت ايضا باسم **Wolverines** وهو الاسم الذي يتخذه أبطال الفيلم لاطلاقه على فرق مقاومة يشكلونها ضد غزو سوفيتي لأمريكا. كما سميت معارك اخرى في العراق باسم "كوكب اكس **Planet X**" اشارة الى فيلم "الرجل القادم من كوكب اكس" و "قاهر

الوحوش**BeastMaster** " على اسم مسلسل شهير بهذا الإسم، و"حفلة الجوار **Block Party**" وطبعا "الفك المفترس **Jaws**".

يقول الملازم السابق جيمس دانلي أن وحدته العسكرية في العراق كانت تجد اسماء المعارك في الأفلام "حين تكون في العراق وليس لديك شيء تفعله، فإنك تقضي الكثير من وقت الراحة بين الدوريات بالبحث عن اسماء أفلام مناسبة" وهكذا سميت احدى المعارك "مواجهات قريبة **Close Encounters**" و "المجالد **Gladiator**" *

يذهب الجندي الأمريكي الى الحرب متأثرا بصورة (الأمريكي) القوي الذي لا يقهر التي تروجها هوليوود: رامبو ذو العضلات والسلاح الجاهز، أو المدمر **Terminator** المنتقم الذي يعد المشاهدين والأشرار دائما بعودته **I'll be back** وهي اللازمة التي يرددها شوارتزنجر في دور المدمر، وبسبب التهاب أحاسيس الشعب الأمريكي نفسه بالمشاهير وابطال الأفلام والميديا الآخرين، والذين يشكلون القدوة التي تكاد تكون الوحيدة للأمريكي العادي، فإن اختياراته للمرشحين للرئاسة أو الكونغرس تتأثر بصورة البطل الوسيم الشاب فارع الطول، ناهيك عن اختيار ممثلين حقيقيين لأدوار القادة السياسيين، وهكذا اختير الممثل ريغان للرئاسة واختير شوارتزنجر ليكون حاكم كاليفورنيا.

وفي داخل الإدارة الأمريكية ، يذكر مؤلفا الكتاب انه "مع وجود ممثل هوليوودي في البيت الأبيض – ريغان– استعارت السياسة بعض العناوين الهوليوودية. فقد اكتسب ريتشارد بيرل مستشار ريغان لقب

(امير الظلام) وديك تشيني اسم دارث فادر (**Darth Vader**) وهي اسماء من سلسلة حرب النجوم . كان المحور الرئيسي في فترة ريغان الثانية في الرئاسة هي مبادرة الدفاع الستراتيجية التي اصبحت معروفة باسم (حرب النجوم) "– الفصل الرابع

في الحروب الأمريكية و بسبب الإمكانيات الهائلة لهوليوود والإعلام المرئي بشكل عام، كانت الميديا هي "فريق الرد السريع" وهذا التعبير ليس من عندي ولكنه كان أمرا حقيقيا، فقد أسند قسم الحرب النفسية في البنتاغون لشركة أمريكية اسمها **SAIC** قبل غزو العراق مهمة اعداد "فريق الرد الإعلامي السريع" ويتكون من خبراء أمريكيين في الإعلام وفي الحرب النفسية وبالاستعانة بمذيعين عراقيين يدينون بولائهم للجيش الأمريكي، من أجل تمهيد الأرض أمام قوات الغزو قبل **2003** وأثناءه وبعده. وكان الفريق هو الذي شكل بعد الاحتلال، نواة شبكة الاعلام العراقية التي حلت محل وزارة الإعلام التابعة للحكم السابق قبل الإحتلال. ويلاحظ من اسم الفريق "الرد السريع" الصبغة العسكرية ، فالحرب الإعلامية لا تقل أهمية عن الحرب العسكرية.

يقول جون بلجر الكاتب وصانع الأفلام البريطاني في مقالة نشرها في الجارديان بتاريخ **10** ديسمبر **2010** بعنوان (لماذا لا ينقل الإعلاميون الحقيقة عن الحرب؟)

(عن الدليل العسكري الاميركي لمكافحة التمرد يصف القائد الامريكي الجنرال ديفد بترايوس افغانستان على انها "حرب السيطرة

على الوعي .. تدار باستمرار بالاستعانة بوسائل الاعلام الاخبارية". مايهم في الواقع ليس المعارك اليومية ضد طالبان وانما كيف بيعت المغامرة في امريكا حيث "تؤثر وسائل الاعلام مباشرة على رأي الجمهور المهم").

هذا هو المهم في نظر الإدارة الأمريكية : التأثير على الداخل الأمريكي حتى يستمر في تأييد الحرب. إذن كل التشويه أو التضليل الإعلامي موجه الى وعي الشعب الأمريكي وليس الرأي العام الخارجي.

ويضيف بلجر قائلا (في بداية فيلمي "الحرب التي لا تراها" هناك اشارة الى حديث خاص سابق لعصر وكيليكس، في كانون الاول **1917** بين ديفد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الاولى و سي بي سكوت رئيس تحرير جارديان مانشستر . قال رئيس الوزراء "اذا علم الناس الحقيقة ، فسوف يوقفون الحرب غدا، ولكن بالطبع هم لا يعلمون ولا يستطيعون ان يعلموا")

مايضمن الا يعلم الشعب بما يجري في الحروب التي تقودها بلاده، هو دور المجمع الإعلامي-العسكري، حيث يترافق الصحفيون مع الجنود في نقل وجهة نظر واحدة. فالمذابح مثلا التي تصيب المدنيين لا تنقل صورها ويكون خبرها مقتضبا لايتصدر الصحفات الأولى من الصحف، وبطبيعة الحال: مالا يذاع ولا ينشر ، لم يحدث.

يستمر بلجر (أخبرني دان راذر مذيع الاخبار في سي بي اس لمدة **24** سنة قائلا" كان هناك خوف في كل غرفة اخبار في امريكا. الخوف من

فقدان وظيفتك.. الخوف من ان توصف بوصف معين يلصق بك :غير وطني او ماشابه." يقول راذر ان الحرب صنعت "منا جميعا "مختزلين" (يكتبون مايملى عليهم) " ولو كان الصحفيون قد ناقشوا وشككوا في الخداع الذي قادنا الى حرب العراق بدلا من تضخيمه لما وقع الغزو. وهذا الرأي يشاركه الان فيه عدد من كبار الصحفيين الذين حاورهم في الولايات المتحدة.)

الى جانب كل هذا الاندماج بين العسكري والإعلامي ، فهناك جانب ربما لم يذكره بلجر أو مؤلفا الكتاب الذي بين يديك ، وهو اختلاط التجسس بالمهنة الإعلامية ، فقد كانت أجهزة المخابرات البريطانية او الأمريكية إما تستعين بصحفيين يستطيعون الدخول الى أماكن لا تستطيع عناصرهم الدخول اليها، لمدهم بالمعلومات المطلوبة، وإما تنكر عناصرهم بهويات صحفية، وقد جرى مثل هذا في كل الحروب في القرن العشرين وخاصة في الحرب على يوغسلافيا وافغانستان والعراق. وليس من قبيل المصادفة أن الصحفيين هم الأكثر تعرضا في هذه المناطق للاختطاف والقتل، من قبل الجماعات المقاومة المسلحة التي تعتبرهم "جواسيس". لقد اختلط الحابل بالنابل، في عالم المعلومات.

لايرجع توقفي عند الحرب على العراق، الى اهتمامي الطبيعي بوطني، ولكن لأن مؤلفيْ الكتاب اعتبرا "العراق" حجر الزاوية في التغيير الذي أصاب عالم الميديا العالمية. فالكتاب على اية حال عنوانه الرئيسي بالانجليزية **American Idol after Iraq** (برنامج معبود

الجماهير الأمريكي بعد العراق) ، والكتاب موجه الى الجمهور الأمريكي والى صانع السياسة الخارجية الأمريكي بشكل خاص، فحرب العراق في رأي المؤلفين ، كانت حربا غير شرعية وغير مبررة وقد نالت امريكا بسببها عداء أمم كثيرة، وأساءت الى صورتها مما يحتاج الى اتخاذ خطوات وإجراءات للاستفادة من هوليوود لتحسين الصورة.

أدرك مؤلفا الكتاب أهمية القوة "الناعمة" في كسب قلوب وعقول الناس في كل مكان وخاصة داخل أمريكا ذاتها. أما في خارج أمريكا فإن قراراتها السياسية هي التي تقرر الصورة التي تعكسها للرأي العام العالمي، فلايمكن لأي قوة ناعمة أن تلطف أجواء قرية قصفتها وقتلت أطفالها ونساءها وخيرة رجالها، طيارات امريكية بدون طيار، أو مروحيات أباتشي، أو صواريخ كروز وهي تنطلق من ظهور حاملات الطائرات في خلجان العالم.

ويلاحظ المؤلفان ظاهرة عجيبة: مهما ازداد نفور الشعوب من السياسة الخارجية الأمريكية فإن شباك التذاكر في كل مكان يسجل أكبر مشاهدة للأفلام الأمريكية . ماهو السرّ ياترى؟

ولكنهما في نفس الوقت يشعران بأنه مع تقدم تقنيات وسائط الإعلام وتقلص العالم الى قرية صغيرة بسبب العولمة ، فإن الشعوب تزداد تمسكا بهوياتها وتنوعها، وانها بدأت تنتج أفلامها وتروي قصصها على الشاشات والوسائط الأخرى، منافسة بذلك هوليوود. لم تعد القصة من جانب واحد (الجانب الأمريكي) هي الجديرة بالمشاهدة والانصات. ويقترح

المؤلفان أن تسارع هوليوود – بالمقابل- بالانفتاح على روايات العالم لتستطيع الإحتفاظ بمشاهديها في عالم قادم متعدد الأقطاب. ويرسم المؤلفان خطة لاستعادة التأثير الأمريكي في العالم، او ما يطلقان عليه وصف "بريق أمريكا الآخذ في التلاشي"، ولعل أهم مافي هذه الخطة هو قولهما " بسبب انتشارها العالمي، فإن الثقافة الشعبية الأمريكية هي لاعب في الشئون الدولية بقدر المؤسسات الأمريكية للسياسة الخارجية" واقتراحهما تشكيل مجلس للعلاقات الثقافية الخارجية اسوة بمجلس العلاقات السياسية الخارجية، "يمكن تسميته – منتدى التبادل المعلوماتي والثقافي- ويكون هيئة مستقلة" الفرق الكبير هنا هو في هيكلة المنتدى التي ستكون مثل شارع ذي اتجاهين. "سوف تستمع أمريكا لقصص الآخرين كما سوف تروي قصتها – تطور للدبلوماسية العامة باتجاه تبادل ثقافي". ويدعو المؤلفان أمريكا الى التواضع والتخلي عن الغطرسة، والى التعاطف مع الآخرين والى الاستعداد لمنافسة شديدة مع الأفلام والمسلسلات الصاعدة من امريكا اللاتينية وآسيا خاصة الهند والصين واليابان وكوريا ايضا.

من المثير للانتباه في الكتاب ، التركيز الشديد على السينما الصينية، وليس الهندية مثلا (بوجود بوليوود ذات الانتاج الذي يتجاوز سنويا انتاج هوليوود) ، فهل كان هذا التركيز نابعا من التخوف من أن تتمكن الصين وهي تصعد (اقتصاديا وسياسيا كمركز قوة عالمية) من منافسة أمريكا في إسماع رسالتها وخطابها الى العالم؟

استقبل الكتاب استقبالا جيدا في الأوساط الفنية والسياسية والاعلامية الأمريكية التي اعتبرته يفتح بابا صريحا موضوعيا لمواجهة الذات، كما انه يقترح أفكارا ايجابية لاستعادة أمريكا مكانتها في معركة كسب القلوب والعقول بعد الكبوة في العراق. وأهمية الكتاب الى جانب ذلك، أن أحد مؤلفيه كاتب إعلامي وناقد فني هو نيثان غردلز، ويبدو لي أنه هو الذي كتب معظم الكتاب، فقد كانت الهوامش والإحالات تعود في معظمها الى مقالاته أو الى الدورية التي يرأس تحريرها **The Perspectives Quarterly** ، في حين أنه لم يكن هناك سوى هامش واحد للمؤلف المشارك مايك ميدافوي، لايشير الى شيء كتبه أو قاله وإنما الى رسالة جاءته عبر البريد الألكتروني من سائل. ولكن ميدافوي منتج معروف في هوليوود وقد رأس شركات سينمائية وساهم في انتاج أفلام رسمت علامات في تاريخ السينما الأمريكية ، وربما كانت خبرته وراء الكثير من المعلومات في الكتاب، فإذن هما يتحدثان بما يعرفانه ويبحثان عن طريق جديد وسط غابة يعرفان مسالكها جيدا. ولكنهما في نفس الوقت لا يخرجان عن إطار "المؤسسة" الرسمية، فالخطاب الذي يعتنقانه هو الخطاب السياسي الأمريكي ، كل الذي يسعيان اليه هو "تحسين" و"تجميل" ذلك الخطاب. فهما مثلا على يقين كامل لايقبل الشك بأن أحداث **11** سبتمبر هي من أعمال مسلمين عرب متطرفين وعلى ذلك يبنيان كل استنتاجاتهما اللاحقة، في حين أنه في داخل أمريكا، هناك تيار قوي الآن يشكك في أن تكون عملية تدمير البرجين في

نيويورك قد جرت حسب الرواية الرسمية، والبعض مازال يطالب بتحقيق مستقل، واصما التحقيق الذي جرى بالناقص والموجه سياسيا.

كذلك هناك الإشارات التي تتعلق بالديانة الاسلامية والتي تبدو يقينا في وجدانيْ المؤلفين ، فرغم انهما يضعان صفة (المتطرفين) للتفريق بين المسلمين المعتدلين والمتشددين، ولكنهما من جانب آخر يصمان المسلمين جميعا بصفات مشتركة مثل : "اساءة معاملة النساء في الثقافات الاسلامية"، وكأن الثقافات الأخرى لا تسيء معاملة النساء، حتى أن أكبر نسبة جرائم ضد النساء، من اساءة معاملة عائلية الى الاغتصاب (من قبل افراد من العائلة او الغرباء) والقتل، موجودة في الولايات المتحدة. ويضاف الى هذا التعميم ، فكرة أن الديانة الاسلامية متجهمة ولا تقبل الانفراج او الانبساط او الفرح، وكأن المسلمين جميعا صغارا وكبارا لا يفعلون شيئا من أمور الحياة طوال **24** ساعة كل يوم سوى العبادة والأمر والنهي.

ومن هذا المنطلق كان تقبل المؤلفين لأقوال بعض الشخصيات اللبرالية القادمة من بيئة مسلمة وكأنها لا تقبل الدحض أو النقاش. مثلا ايرادهما قول أكبر أحمد وهو باحث باكستاني وسفير سابق الى بريطانيا من أن عقلية الحصار تجتاح العالم الإسلامي " مثلما حدث في **1258** حين تجمع المغول خارج بغداد لتحطيم أعظم امبراطورية عربية في التاريخ الى الأبد. ولكن في هذا الوقت، سيكون القرار نهائيا. إذا هزم الإسلام فلن يعود ثانية" . ولكن من وجهة نظر تاريخية حتى وليست منحازة ، يبدو أحمد

أكبر جاهلا بالتاريخ العربي والإسلامي، لأن بغداد لم تكن في ذلك الوقت حاضرة العرب فحسب وانما عاصمة الحضارة الإسلامية أيضا وحين هزمت لم يهزم الإسلام وانما التاريخ يقول لنا ان المغول انفسهم اعتنقوا الإسلام .

من المآخذ على الكتاب أنه، كما قلت آنفا، موجه الى الجمهور الأمريكي على الأخص، ولهذا أورد المؤلفان بعض اسماء البرامج والأفلام المؤثرة وكأنها معلومة عامة يعلمها الجميع ولا تحتاج الى شرح ، فاسم الكتاب مثلا يقتبس (**American Idol**) وهو برنامج قد لا يكون كل من يقرأ الكتاب من خارج الولايات المتحدة قد شاهده أو تابعه أو حتى فهم مايرمز اليه. والبرنامج هذا، مسابقة لاختيار أفضل صوت غنائي (امرأة كانت أو رجلا) عبر تصفيات، ويشترك في الاختيار لجنة تحكيم والجمهور الذي تكون له الكلمة الفصل الأخيرة في التصويت لمعبود الجماهير الأمريكي القادم. البرنامج يمزج بين فخامة الانتاج والتقديم وصرعات الأزياء وتسريحات الشعر، والشعبية الكاسحة ، وهو يتنقل عبر الولايات الأمريكية لاختيار المرشحين. تأتي شعبية البرنامج من الثقافة السائدة في المجتمع الأمريكي المعاصر في الإقتداء بنجوم الفن والرياضة **celebrities** . وقد استنسخ العرب البرنامج في صورة برنامجي (شاعر المليون) و(أمير الشعراء)، وبرامج مماثلة أخرى ولكن أقلّ شهرة.

رغم نقاط الضعف هذه، فإن الكتاب إضافة مهمة لعالم الميديا، فهو، الى جانب توضيح مزايا القوة الناعمة في عالم يتنافس على الخطاب المؤثر، ووضع الحلول التي يراها المؤلفان ناجعة لاستعادة صورة أمريكا التي راودت حلم البشر يوما ما، رشيق الإسلوب والعبارة. وله طريقة في "تصوير" وصف الأشياء والأفعال. مثل القول "اندفاع الطوفان وتحطم الأبواب" كناية عن تدفق الميديا في عالمنا اليوم، وغيرها كثير.

مصطلحات الكتاب

في ترجمتي لهذا الكتاب، توقفت كثيرا عند محاولة تعريب كلمات مثل "ميديا **Media** " وهي جوهر الكتاب.

وهي كلمة خفيفة جميلة لا أكاد أجد لها كلمة واحدة عربية مقابلة . وقد تركتها في بعض الأماكن كما هي، ولكني في المجمل، ترجمتها بالمعنى الحقيقي، فالميديا، وتسمى ايضا **mass media** يقصد بها "وسائط الإعلام الجماهيرية" المنوعة مثل التلفزيون والاذاعة و الصحف والانترنيت والمستخدمة جميعا في نقل الاتصالات والمعلومات الى جماهير غفيرة، وايضا يشير المصطلح للشركات والهيئات التي تسيطر على هذه التقنيات.

ابتدأ مصطلح ميديا ينتشر في العشرينيات من القرن العشرين. قبل ذلك بقرون ، كان اختراع الطباعة في اواخر القرن الخامس عشر، بداية

الأشكال الاولى من الاتصالات الجماهيرية، فقد مكنت الطباعة من نشر الكتب والصحف على نطاق اوسع مما كان سابقا.

تستخدم وسائط الاعلام الجماهيري في عدة اغراض منها :

– الدعاية لمهنة ما او قضايا اجتماعية وهذه تشمل الاعلانات والتسويق والبروباغندا والعلاقات العامة والاتصالات السياسية.

– الترفيه ، من خلال التمثيل والموسيقى والرياضة ومن اواخر القرن العشرين دخل على الخط الفيديو والعاب الكومبيوتر

التقنيات تشمل الميديا الالكترونية والورقية:

– البث الإذاعي : الراديو والتلفزيون

– انواع من الاسطوانات والشرائط وهذه تستخدم عادة للموسيقى والفيديو والكومبيوتر

– الافلام وهي غالبا للترفيه ولكن هناك ايضا الافلام الوثائقية

– الانترنيت مثل المدونات والمواقع والاذاعات وافلام يوتيوب

–الهواتف النقالة ، لإرسال الاخبار السريعة والمقاطع الترفيهية مثل النكات وابراج الحظ والاعلانات والالعاب والموسيقى والاعلانات

– النشر ويشمل النشر الورقي والالكتروني

– العاب الفيديو

يتميز الانترنيت من بين كل هذه الوسائط والتقنيات بأنه أحدث ثورة عالمية ، بل إنه غيّر وجه العالم اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. ولن تتضح نتائج هذه الثورة الا بعد حين، وإن بدأت بوادرها. فالانترنيت مكن الأفراد العاديين الذين لا يملكون الثروة أو الوسيلة لإقامة قنوات اذاعية او اصدار صحف أو انتاج أفلام، لفعل كل ذلك من خلال الانترنيت. ومكن الأفراد المعارضون لحكوماتهم والذين لايسمح لهم بالعمل داخل البلاد أو اصدار صحف وغير ذلك ، من الخروج الى الفضاء الافتراضي لقول ما يشاءون دون الخوف من هراوة الأنظمة. كما مكن الأخبار الحقيقية من الإنطلاق من مصادرها المتعددة والتي لا تخطر على بال، الاخبار التي يمكن ان يجري كتمانها او التعتيم عليها او تغييرها، تراها بعد دقائق على الانترنيت. المعلومة التي كان الفرد يتجشم عناء الذهاب الى المكتبات العامة للحصول عليها، اصبح يستطيع بضغطة اصبع أن يفتح أعتى مكتبات العالم للاطلاع على مايشاء. الانترنيت أثر على الصحف حيث اصبح المواطن يفتح شاشة الكومبيوتر ويطلع على كل مايشاء من صحف، بكل لغات العالم ، والأفلام أيضا، والألعاب . باختصار كل وسائل الترفيه ، يتفرج عليها ويصنعها بنفسه ويتشارك بها مع ملايين الناس من كل بقاع الأرض. لم يعد ينفع أن تحاول حكومة ما اخفاء أمر على شعبها، لأنهم سيطلعون عليه في مواقع الانترنيت. لم يعد من الممكن ان يكذب سياسي ما على ناخبيه، لأن الكذبة سوف تفتضح بعد دقائق في أروقة العالم الإفتراضي.

هناك الآن الإعلام البديل على الانترنيت الذي يقدم لك الأخبار التي لا يمكن ان تسمعها أو تشاهدها في أجندة البث الحكومي او المؤسساتي، وهذا يجرنا الى المصطلح الآخر الشائع وهو : الميديا المؤسساتية **corporate media**

ويشير المصطلح الى انتاج اعلام جماهيري تسيطر عليه وتملكه وتموله شركات رأسمالية كبيرة تسعى الى الربح. واحيانا يطلق الاسم على نوع الميديا التي لا تخدم الصالح العام وانما تستخدم من قبل الاحزاب السياسية لتحقيق مصالحها، ويستخدم أحيانا بدلا منه مصطلح **mainstream media**

من المصطلحات التي وردت في الكتاب: **mass culture** وقد ترجمتها "الثقافة الجماهيرية" وهي الثقافة الشائعة والرائجة بين الجماهير والتي تصنع ثقافة مجتمع ما.

بثينة الناصري

***http://www.globalsecurity.org/org/news/2010/100320-operation-names.htm**

مقدمة

تداعت القوة الناعمة الأمريكية في السنوات الاخيرة مع ان انتخاب براك اوباما رفدها بالكثير من الزخم. القوة هي القدرة على التأثير على الآخرين لتحقيق النتائج المطلوبة، والقوة الناعمة هي القدرة لفعل ذلك من خلال الإعجاب بدلا من الترهيب او الرشوة.

تشمل موارد انتاج القوة الناعمة في بلد ما: ثقافته (مكامن اعجاب الاخرين) ، وقيمه (الجذابة والتي لا تقوضها ممارسات غير المتسقة) وسياساته (حيث ترى شاملة وشرعية في عيون الاخرين). حين يُسأل المستطلَعون في استطلاعات الرأي عن سبب انكماش القوة الناعمة الامريكية في رايهم فإنهم يذكرون السياسات الامريكية اكثر من الثقافة او القيم الاميركية. وطالما انه اسهل على بلاد ما تغيير سياساتها من تغيير ثقافتها ، فهذا يعني ان هناك امكانية ان تستعيد أمريكا بعضا من قوتها الناعمة. ومازال ممكنا، في ظل ظروف مناسبة، أن تكون الثقافة الامريكية موردا للقوة الناعمة. إن ناثان غردلز ومايك ميدافوي ، بخبرتهما واحتكاكهما المباشرين، دليلان ممتازان عبر دروب هذا العالم.

بعض المحللين يجدون تناظرا بين الصراع الراهن ضد الارهاب والحرب الباردة. معظم اندلاعات الارهاب العابرة للحدود في القرن الماضي استغرقت جيلا كاملا لتنطفيء. ولكن هناك جانبا آخر من التناظر تم

إغفاله. رغم اخطائها العديدة، فإن ستراتيجية الحرب الباردة تضمنت جمعا ذكيا بين القوة الرادعة الخشنة وقوة الأفكار الناعمة، الجذابة. وحين انهار جدار برلين اخيرا، لم يتحطم بضربات المدفعية ولكن بمطارق وبلدوزرات استخدمها اولئك الذين فقدوا الايمان بالشيوعية.

هناك احتمال ضئيل جدا أن تستطيع امريكا اجتذاب اناس مثل اسامة بن لادن. فالقوة الخشنة ضرورية للتعامل مع مثل هذه الحالات. ولكن هناك تنوعا كبيرا في الآراء في العالم الإسلامي. انظروا الى إيران التي يرى حكامها الملالي في الثقافة الامريكية شيطانا أكبر، ولكن جيل الشباب يريدون افلام فيديو امريكية ليتفرجوا عليها في خصوصية منازلهم. الكثير من المسلمين لا يتفقون مع القيم والسياسات الأمريكية ولكن هذا لا يعني انهم يتفقون مع بن لادن. على المستوى الستراتيجي ، تساعد القوة الناعمة على عزل المتطرفين وحرمانهم من تجنيد المزيد. وحتى على المستوى التكتيكي ، فإن أدوات القوة الناعمة – توزيع هدايا صغيرة ، التبرع بالمؤن للمجتمعات ، والاستجابة لطلبات الهجرة او التعليم – هي جزء مهم من ترسانتنا.

في عصر المعلومات ، النجاح ليس مجرد نتيجة جيش من الذي فاز، وانما خطاب من الذي فاز. والمعركة الراهنة ضد الارهاب الاسلامي المتطرف ليس صدام حضارات ولكنها حرب اهلية داخل الإسلام. والولايات المتحدة لا تستطيع الانتصار مالم ينتصر الاسلام المعتدل. وفي حين اننا نحتاج القوة الخشنة لقتال المتطرفين فإننا نحتاج ايضا قوة الاجتذاب الناعمة لكسب قلوب وعقول الأغلبية.

لم يجر في الولايات المتحدة نقاش كاف حول دور القوة الناعمة ، وقادتنا السياسيون يعثرونها عادة بسياساتهم الحمقاء. القوة الناعمة مصطلح تحليلي وليس شعارا سياسيا. ومما لا يدهشنا ان هذا هو السبب وراء استقرار المصطلح في التحليل الأكاديمي وفي أماكن مثل اوربا والصين والهند ولكن ليس في الجدل السياسي الأمريكي.

بطبيعة الحال، القوة الناعمة ليست الحل لكل المشاكل. حتى رغم ان كيم يونج ايل دكتاور كوريا الشمالية يحب الفرجة على افلام هوليوود ولكن ان يؤثر هذا على برنامجه للاسلحة النووية ، أمر بعيد الاحتمال. ولم تنجح القوة الناعمة في اجتذاب حكومة طالبان بعيدا عن دعمها للقاعدة في التسعينيات من القرن العشرين، بل تطلب الأمر القوة العسكرية الخشنة لإنهاء ذلك . ولكن أهدافا أخرى مثل تشجيع الديمقراطية وحقوق الانسان يمكن ان تتحقق بشكل افضل بالقوة الناعمة. وظهور تأثيرات القوة الناعمة يستغرق وقتا اطول غالبا، ولكن هذه الأداة تكون عادة اكثر فاعلية لإنجاز الأهداف القرينية. أضافة الى أنها يمن ان تخلق بيئة قادرة او عاجزة فيما يتعلق بإنجاز الأهداف قصيرة المدى كما تبين للولايات المتحدة في اعقاب غزو العراق. أما المشككون الذين يقللون من قدرة القوة الناعمة لأنها لا تحل كل المشاكل، فمثلهم مثل الملاكم الذي يقاتل بدون استخدام يده اليسرى لأن يده اليمنى أقوى.

دعا وزير الدفاع روبرت غيتس الحكومة الامريكية لبذل المزيد من الأموال والجهود لأدوات القوة الناعمة بضمنها الدبلوماسية

والمساعدات الإقتصادية والاتصالات لأن الجيش وحده لا يستطيع الدفاع عن المصالح الأمريكية حول العالم. واشار الى أن المصروفات العسكرية تبلغ في اجمالها تقريبا نصف ترليون دولار سنويا مقارنة بميزانية وزارة الخارجية البالغة **36** بليون دولار، وبنص كلماته "أنا هنا لتأكيد ضرورة تقوية قدرتنا لاستخدام القوة الناعمة ولتحسين دمجها مع القوة الخشنة"

من الواضح أن القوة العسكرية مصدر القوة الخشنة ، ولكن يمكن لنفس المورد ان يساهم احيانا في سلوك القوة الناعمة. فالجيش المنظم جيدا يمكن ان يكون مصدر جاذبية والتعاون العسكري وبرامج التدريب بين الجيوش على سبيل المثال يمكن ان يؤسس لشبكات عابرة للجنسيات تعزز القوة الناعمة للبلاد. وقد ساعد العمل المؤثر للجيش المريكي في تقديم المعونات الانسانية بعد تسونامي المحيط الهندي و هزة جنوب آسيا في **2005** على استعادة الولايات المتحدة لجاذبيتها .

ومن الطبيعي ان سوء استخدام الموارد العسكرية يمكن ان يقوض القوة الناعمة. كان للاتحاد السوفيتي قدر كبير من القوة الناعمة في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ولكنهم دمروها بالطريقة التي استخدموا بها القوة الخشنة ضد هنغاريا وتشكوسلوفاكيا. كما يمكن للامبالاة بمباديء الحرب العادلة فيما يتعلق بالتمييز و التناسب أن تقوض الشرعية. لقد خلقت كفاءة الغزو العسكري الامريكي الأولي للعراق في **2003** اعجابا في عيون بعض الأجانب ، ولكن سرعان ما

قوضت تلك القوة الناعمة بما اعقبها من انعدام كفاءة الاحتلال ومشاهد سوء معاملة المعتقلين في سجن أبي غريب .

الكثير من موارد القوة الناعمة الامريكية تقبع خارج نطاق الحكومة ، في القطاع الخاص والمجتمع المدني، في التحالفات الثنائية والمؤسسات متعددة الاطراف و التعاقدات عابرة الجنسية. تتوزع الكثير من الادوات الرسمية للقوة الناعمة او الجذابة مثل الدبلوماسية العامة والبث الاذاعي وبرامج التبادل ومساعدات التنمية ومعونات الكوارث والعقود العسكرية بين الجيوش – في قطاعات متعددة من الحكومة بدون اية ستراتيجية شاملة او ميزانية تحاول حتى الدمج بين كل هذه الادوات. اننا نصرف من الأموال على الجيش حوالي **500** ضعفا اكثر مما نصرفه على البث الاذاعي والتبادل مجتمعين. كيف ينبغي على الحكومة ان تتعامل مع مولدات القوة الناعمة غير الرسمية – كل شيء من هوليوود الى هارفارد الى مؤسسة غيتس – التي تنبثق من مجتمعنا المدني؟ افضل طريقة للبدء في إدراك هذه الاسئلة المهمة هو قراءة الصفحات التالية.

جوزف اس ناي جونيور

(*) البروفيسور جوزف إس ناي جونيور يدرس في كلية جون كنيدي للحكومة بجامعة هارفاردز وهو مؤلف كتاب "القوة الناعمة :وسائل النجاح في السياسة الدولية" وقد شغل منصب مساعد وزير الدفاع لشئون الأمن الدولي، و رئيس مجلس الاستخبارات الوطنية ومساعد وزيرة الخارجية للمساعدات الامنية والعلم والتكنولوجيا .

الفصل الأول
قلوب وهوليوود وعقولها

لن يكون سبب نزاعات المستقبل، ندرة الموارد، بقدر ماهو فيض التدفق الثقافي لاقتصاديات المعلومات الكونية ، وهذا يرجع الى احتشاد القيم المتصارعة في ميدان عام مشترك خلقته تجارة حرة وانتشار التكنولوجيا والمجال العالمي للإعلام.

في مثل هذا العالم فقط يمكن لكاريكاتير عن النبي محمد في صحيفة يومية دنماركية مغمورة، أن يشعل حمية المؤمنين ويحرك المتشددين عبر العالم الاسلامي الواسع والقصي.

في مثل هذا العالم فقط يمكن ان يحظر ظهور رهبان التبت الغارقين بالدم في تقارير نشرات الاخبار الصينية ، ليظهروا فورا بعدها على يوتيوب. أو يمكن مقاضاة نجم من نجوم سي إن إن **CNN** في نيويورك من قبل مدرس في مدرسة في بكين لأنه وصف الصينيين بكلمة "بلطجية" ووصف صادراتهم بأنها "خردة".

في مثل هذا العالم فقط يمكن للفاتيكان ان يطلق هجمة شعواء شاملة على فيلم "شفرة دافنشي **Da Vinci Code**" لإقناع الجماهير بأن الروايات الشعبية لا تضاهي الحقيقة الخالدة.

إن الميدان العام العالمي هو مجال القوة الجديد حيث تتنافس الصور وتُحاجج الأفكار. حيث تكسب القلوب والعقول او تُخسر، وحيث

تُؤسس الشرعية. انه مجال الإحتكاك والإنصهار حيث تُصاغ المشتركات الكوزموبوليتانية للقرن الواحد والعشرين.

ورغم مواجهته اخطارا كبيرة، يظل جوهر الاقتصاد المعلوماتي الكوني هو المجمع الإعلامي– الصناعي الأمريكي ، بضمنه الترفيه الهوليوودي. في الأزمات المقبلة ، إذا وقفت الثقافة على خط جبهة شئون العالم، فإن هوليوود مثلها مثل وادي السليكون أو البنتاغون أو وزارة الخارجية الأمريكية ، سيكون لها الدور الرئيسي.

في هذا الكتاب ستكون هوليوود – التي عرّفناها بمعناها العريض، باعتبارها الإنتاج التجاري والمهني للثقافة الشعبية الأمريكية، المعد للتوزيع على نطاق واسع، مع التركيز على صناعة الفيلم – هي موضوعنا الرئيسي.

إن أسباب قوة هوليوود على مدى السنوات المائة الأخيرة، واضحة . وقبل زمن طويل من اختراع السليولويد والبكسل، أدرك افلاطون أن من يروي الحكايات هو الذي يحكم ، واذا كانت الموسيقى هي التي تضبط مزاج الملايين، فإن الأصوات المتهدجة لسيناترا ومادونا والموسيقى المعدنية (ميتاليكا) هي التي كانت بمثابة موسيقى الانتظار (**muzak**) للنظام العالمي الذين تقوده أمريكا.

وقبل كل شيء، كما قال لنا الفلاسفة ، فإن الصور – وهي عملة هوليود– تتحكم بالأحلام ، والأحلام تتحكم بالأحداث، وهذا لأن

معظم الناس يتبنون وجهة نظرالعالم التي تنمّ عما يفعلونه على أساس عاطفي أكثر منه عقلانيا. انهم يصدقون الأخبار ليس من خلال تأمل الأفكار وموازنتها وانما من خلال الصورة التي يشعرون انهم جزء منها و يرتبطون بها. يميل الناس الى الانسياق وراء سرد يعتمد على الصور التي يتماهون معها ، الصور التي تعكس الكرامة والتقدير والمكانة داخل ثقافتهم، كما وصفها الشاعر عزرا باوند، في كلمات مأثورة "الصور التي تمثل مركّبا فكريا وعاطفيا في لحظة ما من الزمن" [1]

باختصار، إن مفهوم "الحياة الجيدة" في نظر أي انسان هو، مجازا، ماينفعه.

وهذا هو السبب في أن "صدام حسين" كان يذيع بانتظام أغنية سيناترا "طريقي **My Way**" في حفلات عيد ميلاده، وهذا هو السبب الذي يجعلنا نربط لحظة لهو ومرح راقص مع اغنية "الغناء تحت المطر **Singing in the rain**" ، وهو السبب الذي يدفع رجلا متوسط العمر لشراء سيارة بورش، ومراهقا للسعي بشدة للحصول على حذاء رياضي نوع بوما **Puma**.

أحيانا، يكون الرمز أكثر شمولا كما كانت رسالة "طريقة الحياة العفوية المتمردة على التقليد" التي يبعثها انتشار بنطلونات الجينز الزرقاء في كل انحاء العالم في الستينيات من القرن الماضي.

---

[1] Kermode, F.(2008) "*Ezra Conquers London*" New York Review of Books, vol.55,no.22

ومازال كتّاب السير ومحررو مجلات الموضة الى يومنا هذا يستخرجون من القمقم جاكي كندي وغريس كيلي واودري هيبورن واليزابيث تيلور كلما أرادوا استحضار جاذبية حقبة منصرمة الى عصر الجماليات المبتذلة لأسواق وال مارت **Wal Mart** .

حين ظهرت كارلا بروني ، أو السيدة ساركوزي في زيارة رسمية على شواطيء بريطانيا بعباءتها الكشميرية الرمادية وقبعة صغيرة مستديرة، استحضرت فورا الى الأذهان، في الصحافة اللندنية ، صورة جاكي أوناسيس ممتزجة بفتنة الأميرة ديانا. وقد غطى هذا الإنطباع في نظر الجمهور، الى حد كبير، على تلميحات الرئيس ساركوزي حول اعادة انضمام فرنسا الى الناتو.

وربما في المستقبل سوف يستحضر الشعور بالحنين الى أزياء الماضي ، شخصيات مثل ليوناردو دي كابريو وبراد بيت وجوليا روبرتس الذين يحلون اليوم محل كاترين هيبورن او مارلون براندو او بول نيومان في جيل سابق.

إدراك العالم بما يناسبه مجازا، هو سبب محاكاة رجال عصابة كامورا في صقلية لإفلام هوليوود في اسلوب حياتهم، حيث ترتدي الحارسات ملابس رياضية صفراء شبيهة بما ارتدته الممثلة أوما ثرمان في فيلم (اقتل بيل **kill bill**) للمخرج كونتين تارانتينو. وهو السبب في بناء قصر أحد رؤساء العصابة الكبار، مطابقا تماما حتى في اصغر تفاصيله لطراز قصر توني مونتانا في فيلم (الوجه المرعب **Scare Face**) للمخرج

بران دي بالما 2 . وبشكل أعمق، فإن تبني وجهة نظر العالم لما ينفعه مجازا، هو سبب قيام الشباب المقهورين في غزة ، المؤمنين بأن الحق معهم، بالتهليل لتدمير القاعدة للبرجين في **11 /9**، وهو السبب في أن خبراء علم السكان في المكسيك يرجعون الفضل في تخفيض الانفجار السكاني في تلك البلاد الكاثوليكية بغالبيتها، للمسلسلات الدرامية النهارية.

في الشئون الدولية ، لا يلتقط الرأي العام السياسات بشكل منفصل وتحليلي، ولكنه يكون استنتاجاته اعتمادا على الصور، ففي حين كان تمثال الحرية رمزا لأمريكا، أصبح سجين ابي غريب برأسه المغطى بالقلنسوة، في نظر الكثيرين، هو الرمز الأمريكي الجديد، خلال حكم بوش (بالرغم من حقيقة أن انتخاب براك اوباما رئيسا فعل أكثر مما فعلته كل سنوات دبلوماسية بوش العامة في اعادة بعض الألق لصورة أمريكا) . في قضية اليابان، كان هناك سابقا (توجو **Tojo**) (وهو الاسم الذي اطلقه الحلفاء على (ناكاجيما كي **44**- شوكي) وهي طائرة مقاتلة يابانية من الحرب العالمية الثانية – المترجمة)، الآن لدينا تويوتا. في أوائل مابعد الحرب الباردة ، كان منظر غورباتشيف وهو يأخذ حفيدته الى ماكدونالد يرمز لشيء، في حين أن صورة بوتين عاري الصدر ، مبرزا عضلاته وهو يصطاد خنزيرا بريا في الغابات الروسية يرمز لشيء آخر أكثر تهديدا، وأقرب الى تأكيد رامبوي (من كلمة رامبو) للسلطة

[2] Stille, A(2008) "*Italy: The Crooks in Control*" New York Review of Books, vol.55,no.6

الوحشية من صورة غلاسنوست او بحيرة البجع التي يشعر معها الغرب بارتياح أكبر.

وبسبب قلة الخبرة المباشرة في واقع الآخرين، يتعرف الناس على هذه الصور من خلال وسائط الإعلام. وأكبر منتج للصور في التاريخ الإنساني بطبيعة الحال هي هوليوود. وبشكل عام، كل مايعرفه الأمريكيون عن العالم وكل ما يعرفه العالم عن أمريكا ، يأتي من خلال الشاشة. من بين **20%** من الأمريكيين الذين يحملون جوازات سفر، هناك أقل من **10%** يجوب العالم ، سنويا3. وهي حالة في طريقها الى الاضمحلال مع انهيار الدولار. وفي عام **2008** كان تصدير الفيلم الأمريكي **10** مرات أكثر من استيراد الأفلام الأجنبية، وكان ميزان هذه التجارة افضل من اي صناعة اخرى ماعدا صناعة الفضاء4.

في العادة تكون معلومات الجمهور الأجنبي عن امريكا، عرضيا : المطبخ المنظم الفخم في المسلسل التلفزيوني الكوميدي "اتركه لبيفر **Leave it to Beaver** " السيارتان في ممر المنزل او الأطفال في غرف نومهم الخاصة في أفلام مثيرة مثل "حين يتصل غريب **When a stranger calls**" (وهي مساحات واسعة لا يمكن لكثير من الناس في العالم تصورها مساكن خاصة) ، توقع المعاملة العادلة في ظل القانون ونزاهة العدالة في فيلم "دستة رجال غاضبون **twelve angry**

---

[3] http://www.gyford.com/phil/writing/2003/01/31/how_many_america.php. Also: tinet.ita.do.gov/cat/f-2006-101-002 html.

[4] Bayles, M. "*Risky Business for Hollywood*" International Herald Tribune, May 8,2008

علاقات الصداقة الإعتيادية بين الفتيان والبنات في مسلسلات " **men**، مثل (اصدقاء **friends**) أو حتى أكثر المسلسلات براءة في قناة دزني مثل (هانا مونتانا). أحيانا تخدع هذه الأفلام ودراما التلفزيون الجمهور الأجنبي حول الحياة الأمريكية ، مثلا الغياب الذي يكاد يكون تاما للنصوص الدينية في برامج الترفيه الإعلامية، والذي يترك إنطباعا، مثل الظلال في كهف افلاطون، بعيدا عن الحقيقة . هذا التواصل (الثانوي) يكون عادة قويا في وعي المشاهد مثله مثل الحبكة الدرامية الأساسية.

أسامة بن لادن لم يذهب الى الولايات المتحدة أبدا، بل كان يشاهدها على شاشة التلفزيون أثناء نشأته في المملكة العربية السعودية .

ومعظم الأثرياء الصينيين المحدثين الذين يشترون منازل في ضواحي بكين مبنية على طراز منازل كاليفورنيا لم يروا "مقاطعة البرتقال **Orange County**" سابقا والتي ينسخها التطور الصيني الآن، ولكنهم شاهدوا مسلسل "**The O.C.**" في أفلام الفيديو المقرصنة او على الفضائيات.

ومما يثير الجدل والإهتمام أيضا أن ما يظنه الكثير جدا من الأمريكيين انهم يعرفونه عن بقية العالم، يأتي من أفلام مثل "حول العالم في **80** يوما" و "المرشح المنشوري" أو فيلم جون وين "البيريهات الخضر" ، أو "صائد الجواسيس" ، أو "مهمة مستحيلة **3**" أوسلسلة أفلام جيمس بوند أو "هوية بورن".

إذا كانت هناك أية عبقرية في جنون أسامة بن لادن في هذا المضمار، فهي إدراكه أن الامريكيين المنعزلين الذين لاينظرون الى الخلف أو من حولهم ، لا يفكرون، أيضا، كثيرا ببقية العالم مالم يتقاطع ذلك العالم مع سعيهم وراء السعادة بأساليب مثيرة، وفي هذا المجال فقد انتزعت (القاعدة) صفحة من دليل هوليوود. إن خبرتها الحقيقية لم تكن في الدمار العسكري وانما في استغلال الإعلام من خلال فعل إرهابي مثير ذي تأثيرات "سينمائية" خاصة – يمكن ان تجذب الإنتباه – سواء في الغرب او في أرجاء الأمة الاسلامية – في عالم مزدحم برسائل اخرى. وأيضا ادراكه أن أمريكا هي مجتمع مابعد النص، وهو يحصل على المعلومات بشكل رئيسي من الأفلام والتلفزيون والإنترنيت ويعرف أسامة بن لادن أن الصور ، وليس المفاهيم ، هي التي تخترق الأفهام. وهكذا فإن أفعال الرعب الدرامية الكبيرة هي مكمن قوة هذا الخليفة الافتراضي. لسوء حظ بقية أمة الإسلام فإن مثل هذه الصور القوية لها مردود عكسي أيضا. بالنسبة لمعظم امريكيي مابعد النص، فإن (أمة الكتاب) أي المسلمين يعرفون الآن بشكل كبير من خلال صور الإرهاب المثيرة التي قدمتها القاعدة وحلفاؤها، بضمنها هجمات مومباي **2008** . نفس الصور المرعبة التي ألهبت الحماسة لدى الأطفال في غزة، وهي تبذر أيضا بذور الخوف والكراهية في أوساط الغربيين.

في المعركة الكونية لكسب القلوب والعقول، كان لأمريكا اليد العليا، مجازيا، لأننا كنا نسيطر على تدفق الصور والايقونات والمعلومات ، ناهيك عن أن اللغة الإنجليزية هي السائدة والفضل لا يعود فقط للهيمنة

الامريكية ولكن الى الإمبراطورية البريطانية قبلها. ولكن دمقرطة الإعلام من خلال التكنولوجيا يطيح بتلك الهيمنة تدريجيا.

في السابق كانت سي إن إن CNN ومترو جولدوين ماير MGM وبي بي سي BBC هي الشركات الإعلامية المتسيدة، الآن هناك 75 مليون مدونة صينية[5] ، و CCTV والجزيرة والعربية ومهرجان الفيلم في دبي ، اضافة الى 200 فضائية في العالم العربي،

وانتشار مواقع الجهاديين على الانترنيت والتي انضمت الى دعاة التلفزيون المعتدلين مثل المصري عمرو خالد، في التنافس لكسب روح العرب، مؤثرة بالضبط مثل يوتيوب وفيس بوك في عدد روادها.

إن الانترنيت هو بلا شك ، أكبر وأقوى أداة مفردة لتجنيد الجهاديين والتنسيق بينهم. وفي حين كانت المسلسلات الدرامية الأمريكية مثل (أيام حياتنا) تملأ شاشات التلفزيون في كل أنحاء العالم ، ينافسها الآن مسلسلات برازيلية ومكسيكية وكورية وقد فاقتها جاذبية.

وعلى الرغم من أنه في اللحظة الراهنة ، مازالت هوليوود تقود قصف الصدمة والترويع، فإن السينما المحلية كما في حالة الهند، تكتسب المزيد من المريدين ، حتى حين تظهر هوليود ذاتها إيماءات ، وإن كانت صغيرة حتى الان، لاستخدام ممثلين من جنسيات مختلفة . في وسط هذه الدمقرطة التقنية والثقافية ، تلطخت صورة أمريكا التي كانت يوما من

[5] Kristof, N.D. "*Earthquake and Hope*" New York Times, May 26,2008

الأيام براقة ، بسوء مغامرتها في العراق وغوانتنامو ودفاع ادارة بوش عن التعذيب ناهيك عن المشاهد التي اذيعت عالميا عن كارثة كاترينا وانهيار بريتني العصبي، وفساد وول ستريت وانهيار سوق الرهن الذي حدث بسبب كثرة الاستهلاك مع قلة التنظيمات المالية (مما ولد الكثير من الشماتة بين اولئك الذين وبخناهم في كارثة اسيا قبل اكثر من عقد من السنين). وأيضا مما لايساعد هو أن سكان الولايات المتحدة يشكلون **5%** من سكان العالم ومع ذلك لديهم **25%** من السجناء في العالم[6] رغم التفوق الأمريكي في مجال التكنولوجيا والدراسات العليا ، لم نعد نستطيع الإفتراض، كما فعلنا في الأيام الجيدة التي أعقبت انهيار الحرب الباردة، باقتناع الرأي العام العالمي بالخطاب الأمريكي. لم نعد نستطيع الإفتراض بأن العالم الخارجي على استعداد ليتماهى مع فكرتنا عن "الحياة الجيدة" باعتبارها جذابة عالميا.

في ما يمكن تسميته البيت الزجاجي العالمي للمعلومات الفورية المنتشرة في كل أصقاع العالم، علينا أن ننافس للفوز بالقلوب والعقول مثل كل الآخرين. لقد تنافست صور اولئك الرهبان التبتيين الملطخة بالدماء والمحظورة داخل الصين، لنيل تعاطف الرأي العالم العالمي مع صور الصينية المقعدة حاملة شعلة الأولمبياد والتي صارعت وهي في كرسيها ذي العجلات لحماية الشعلة من هجوم خشن من متظاهر تبتي في باريس.

[6] Liptik, A. “Inmate Count in US Dwarfs Other Nations” New York Times, April 23,2008
http://www.nytimes.com/2008/04/23/us/23prison.html?_r=

بالتأكيد سعت الحكومة الصينية بمهارة لاعادة طرح صورتها من خلال التغطية العالمية الواسعة لأولمبياد **2008** . وكانت الصين قد استعانت بالمخرج ستيفن سبيلبرغ لإحداث ذلك التأثير قبل أن يغادر محتجا على السلبية الصينية تجاه المذابح في دارفور. وفي النهاية، قام مخرج آخر هو تزانج يمو ، بتنسيق عبقري لاحتفالات الأولمبياد. هذا مؤشر على ما يمكن ان يأتي مع صعود بقية العالم في ما وصفه فريد زكريا "عالم مابعد أمريكا".

يدور هذا الكتاب الصراع حول تحدي مايمكن تسميته : معبود الجماهير الأمريكي بعد العراق. يدور حول فهم سطوة الصورة ، وصعود تلك السطوة متجلية بالهيمنة الكونية لثقافة الترفيه الأمريكية وردود الإفعال عليها. يتناول التبديد المتزايد لتلك السطوة بسبب العولمة. ويعالج الكتاب التمسك بسطوة الصورة كأداة للدبلوماسية الثقافية في سعي أمريكا لاستعادة بريقها الغابر.

الفصل الثاني
اختفى السحر، إلا في شباك التذاكر

خلال بدايات الحملة الرئاسية ، أشار براك أوباما باستخفاف بأن أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكيين وهم يستعرضون المشهد الدولي غالبا " مايرون الوجوه اليائسة" في أماكن مثل دارفور أو بغداد، من ارتفاعات المروحيات التي يستقلونها. وأضاف وهو يقول بتأمل "إن ذلك يجعلك تتوقف وتتساءل. حين يرفع الناس هناك أبصارهم الى المروحيات الأمريكية ، هل يشعرون بالأمل أم بالكراهية؟"[7]

هذا السؤال حول كنه رؤية العالم لأمريكا هو في الذروة اليوم، وهو أكثر من كونه رؤية معمقة للتعاطف مع الغير، حيث ان صورتنا لم يسبق لها أن تضررت كما حدث لها أثناء رئاسة جورج بوش. كشف استطلاع للرأي العالمي أجرته هيئة الإذاعة البريطانية في **2007** للناس في **25** بلدا بأن واحدا من اثنين يعتقد بأن الولايات المتحدة لعبت ومازالت دورا سلبيا في معظمه في العالم[8] . إضافة الى أن أكثر استطلاعات الرأي مصداقية هو الذي أجرته مؤسسة بيو **Pew Foundation** وقد وثّق حقيقة صادمة : في تركيا وهي حليف مفترض في منطقة مهمة ، كان **9%** من المستطلعين فقط لديهم وجهة نظر ايجابية تجاه أمريكا. في باكستان وهي شريك مهم مفترض في الحرب على الإرهاب ، يصبح الرقم **16%** ويزداد هبوطا. وقد انخفضت النظرة الإيجابية لأمريكا في ألمانيا من **60%**

---

[7] Kermode, F. (2008) "*Ezra Conquers London*" New York Review of Books, vol.55, no.7

[8] Armitage, R.L. and Nye, J.S. (2007) *A smarter, More Secure America*. CSIS Commission on Smart Power 17

الى **30%** مابين عامي **2002** و **2007** [9]، وطبقا للقائمين على الاستطلاع فإن هذه الأرقام تحسنت قليلا في **2008** ولكن فقط بسبب توقع مغادرة بوش البيت الأبيض.

في المسرحية الرائجة **(black watch** الخفارة السوداء) حول الفوج الاسكتلندي الذي يخدم في (تحالف الراغبين) في العراق الى جانب القوات الأمريكية ، انحدر أحد الجنود المحبطين، بالخطاب الرسمي حول نشر الديمقراطية الى مقولة مريرة بأن "الإباحية والبترول **Porn and Petrol**" هي أسلوب الحياة الغربية التي كان هو هناك يخاطر بحياته ويقتل الآخرين، لترويجها وحمايتها.

وبدون شك، وكما يرى مواسيه نعيم **Moises Naim** بصفته محرر مجلة السياسة الخارجية (**foreign Policy**) ، فأن الكثير من هذه المشاعر العدائية للأمريكيين وليد توق مقنع لعصر القيادة الأمريكية المألوفة في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية والتي مازالت لاغنى عنها، في عالم يترنح من نظام قديم الى آخر جديد.

وبالتأكيد فإن رئاسة براك اوباما سوف تمضي الى مدى بعيد في تلطيف الاحتقار العريض في الخارج على الأقل في أوربا والشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . أما دول شرق آسيا والتي تميل – بشكل عام الى تفضيل المصالح على القيم، فهي تبدو أقل افتتانا بأوباما، وأكثر اهتماما بالحمائية . وقد صرح جون ك. جلين **John K. Glenn**

[9] *Pew Research Center Publications,* November 7, 2007

مدير السياسة الخارجية لصندوق مارشال الألماني، لواشنطن بوست في يونيو **2008** بأن أوباما "يعيد تأكيد حضور الولايات المتحدة في الأذهان الأوربية"10 . تحدث دومنيك مواسي أحد أبرز محللي السياسة الخارجية في فرنسا، بشعور فياض، في حوار لصحيفة فاينانشال تايمز في شهر يونيو ذاته بأن "أمريكا بفضل أوباما عادت لتكون مركز الجاذبية في العالم" 11.

وقد اشتهرت مقولة المتحدث باسم حماس حين قال انه يفضل أوباما رئيسا.

على أية حال كل من يظن أن الثقة مازالت قائمة بين أمريكا والعالم ، لا يقرأ الأرقام بشكل صحيح. من الواضح أن الرئيس الجديد مسيّر لا مخيّر وقد تم ترتيب مهامه مسبقا. إن اعادة مكانة أمريكا أمر عظيم بالتأكيد بعد أن خفت نور منارتنا. وكانت مكانتنا من العلو غير المسبوق بحيث انه لما سقط جدار برلين في **1989** ، أعلن المفكر فرانسيس فوكوياما وهو من المحافظين الجدد، بكل ثقة اننا قد وصلنا الى "نهايةالتاريخ" الذي يعني أن بقية العالم قد أصبح على شاكلتنا. وبحلول **2007** اضطرت جويس كارول اوتس التي كانت تكتب في صحيفة أطلانتيك 12 الى الاعتراف بأن بقية العالم قد أصبح يرى في "الفكرة الأمريكية " نكتة قاسية . كتبت تقول "كم بدأ العالم يشعر بالغثيان

---

[10] Gardels, N. :Europe Needs A Little Obamainia" *Huffington Post*, July 14, 2008

[11] Moisi, D. "Obama Holds Up Mirror to the French" *Financial Times,* June 9, 2008

[12] Oates, J. C. "The Human Idea" *The Atlantic*, Nov. 2007

العميق من الفكرة الأمريكية في السنوات السبع الأولى من القرن الواحد والعشرين "، أما برنت سكوكروفت الذي ساعد الرئيس جورج هربرت بوش على إنهاء الحرب الباردة بنشيج خافت بدلا من ضربة داوية، فقد كان صريحا صراحة مباشرة كعادته حين قال " اننا نفقد هالة "خصوصيتنا" أي الاعتقاد بأن الولايات المتحدة نوع مختلف من القوة المتفوقة عن القوى الأخرى" وأضاف أكثر الخبراء في السياسة الخارجية الأمريكية واقعية "نتيجة لذلك ، فإن الناس يزادون عزوفا عن منحنا وسياساتنا ميزة الإستفادة من الشك، ويزداد تعاملهم معنا بنفس اسلوب التعامل مع أي قوة أخرى لا تهمها إلا مصالحها"13.

وأكدت شيرين عبدي المحامية الإيرانية الحائزة على جائزة نوبل للسلام، أسوأ مخاوف سكوكروفت حين قالت "كان الجميع ينظر الى أمريكا ذات يوم باعتبارها معيار حقوق الإنسان، ولكني أرى صور أبي غريب والعراق وأسأل نفسي: ماذا حدث للحضارة الأمريكية ؟"

في مقابلة معها روت كيف أنها طوال سنواتها الحالكة وهي تناضل ضد آيات الله من أجل حقوق الانسان، كانت تستمد الإلهام من ألينور روزفلت وميثاق الأمم المتحدة لحقوق الانسان الذي ساعدت السيدة روزفلت على صياغته، وقالت عبادي "أهم من كل الإعتذارات التي ينبغي أن يقدمها قادة أمريكا هو الإعتذار لروح السيدة روزفلت"14

---

[13] Scowcroft, B. (2007) “The Dispensable Nation?” *New Perspectives Quarterly*, vol. 24, no. 4, pp. 31-4

[14] Ebadi, S. (2004) “America No Longer the Standard for Human Rights.”, *New Perspectives Quarterly*, vol. 21, no. 3, pp. 11-12

وببساطة قدم برنار كوشنر وهو من أشد وزراء خارجية فرنسا في الذاكرة تحمسا لأمريكا، هذه المرثية الجيوثقافية لأمريكا في أوائل **2008** بقوله "لقد اختفى السحر" [15].

وحتى كارين هيوز حافظة أسرار جورج بوش من ولاية تكساس والتي حاولت بلا جدوى تحسين صورة أمريكا من خلال الدبلوماسية الشعبية ، قالت وهي تغادر موقعها في **2007** "إن الأمر سوف يستغرق عقودا لتجاوز العداء المستحكم حول العالم تجاه أمريكا" وقالت ان المعركة ستكون "ممتدة"[16] واذا كانت السياسة في عصر المعلومات تعني قضية من له الفوز بالسبق، فإن أمريكا بالتأكيد على طريق الخسارة.

ومع ذلك، رغم انحدار سمعة أمريكا الرسمية، فإن هوليوود – وهو الإسم الجامع للثقافة الأمريكية واسعة النطاق – نالت نجاحا غير مسبوق في الخارج في عام **2008** حصدت الأفلام الأمريكية **17** بليون دولار من جمهور السينما في الخارج مقارنة بمبلغ **9.6** بليون دولار من داخل أمريكا [17] .

ارتفعت حاليا مبيعات تذاكر أفلام هوليوود في الخارج الى **60%** من إجمالي حصيلة شباك التذاكر مقارنة بـــ **40%** في **2005**. وكان فيلم

---

[15] Smale, A. "US Image Abroad Hard to Fix, Longtime Ally Says" *New York Times*, March 13, 2008

[16] Blitz, J. "US Faces "Long Struggle" to Overcome Worldwide Hostility" *Financial Times,* Nov 6, 2007

[17] Gapper, J. "Sex and the City Guide to Media" *Financial Times,* May 14, 2008

"الرجل العنكبوت الجزء **3**" أكبر فتح في تاريخ السينما في العالم فقد حصد **375** مليون دولار ، أما مسلسل "عائلة سمبسون" فقد حصل على **333** مليون دولار من الخارج، ضعف ماحصل عليه في الداخل. كل ذلك خلال سنوات كارثة مابعد غزو العراق. ظل أبطال الصدمة والترويع في هوليوود يحتفظون بشعبيتهم في أنحاء العالم. في عام **2007** أشار استطلاع بيو **Pew** أن **60**% من اللبنانيين يصفون الأمريكيين بالجشع والعنف وانعدام الأخلاق، ومع ذلك فلبنان هي أكبر الأسواق في الشرق الأوسط لإفلام هوليوود [18]. وطبقا لمارثا بايلز ، فإن أكثر المسلسلات رواجا على الفضائيات العربية هي "الجنس والمدينة " و"المنتزه الجنوبي" و "الأصدقاء" و "ساينفيلد" و "أوبرا" [19]

يقوم هذا على تيار قوي وُضع له الأساس منذ اواخر الثمانينيات ، وكما جاء في تقرير مركز ييل لدراسات العولمة **Yale Center for the Study of Gobalization** ، أنه بين **1986** و **2000** ارتفعت صادرات البرامج الترفيهية الأمريكية بنسبة **426**% ، وطفرت من قيمة **1.68** بليون دولار الى **8.85** بليون دولار [20]، واذا اعتبرنا أن القرصنة هي أصدق أنواع المديح للثقافة الجماهيرية ، فهو مؤشر انه حتى

[18] Gatsiounis, I. "Hollywood Still Seduces the World: Global Anti-Americanism Aside, US Films Sell More Tickets Abroad Than at Home." *YaleGlobal*, Feb. 7, 2008

[19] Bayles, M. "The Ugly American: How Not to Lose the Global Culture War" *AEI Online*, Dec. 4, 2006

[20] Bayles, M. "The Ugly American: How Not to Lose the Global Culture War" *AEI Online*, Dec. 4, 2006

في طهران، حيث نشتبك بالصراع مع قيادة البلاد حول برنامجها النووي، يمكنك أن تجد نسخا مختلسة من مسلسل (**Rugrats go Wild**) او (**The Incredibles**) يباع في الشوارع بأقل من دولارين.

في الصين اليوم، حيث حرية الرأي مقيدة، يستخدم الانترنيت على نطاق واسع كوسيلة لتوزيع الأفلام والبرامج التلفزيونية المقرصنة ، مثل "**24**" أو "ربات بيوت يائسات" أو "**CSI**" أو "الأصدقاء" [21]. وبسبب الملل من إعلامهم المقيد، والريبة في المعلومات الرسمية ، ينكب الشباب الصيني بأعداد غفيرة على الموسيقى والأفلام والبرامج الأمريكية. ربما تكون هذه طريقة لخلق واقع مواز، قصيّ لهم ولأصدقائهم حتى لو اتبعت سيناريو النزعة الاستهلاكية غير السياسية التي تدعم سلطة الحزب الشيوعي.

هذا التناقض بين الاستفتاء السياسي حول صورة أمريكا وواردات شباك التذاكر أو القرصنة المتفشية توحي بأن حضور الثقافة الجماهيرية قد تجاوزت مؤسساتنا الرسمية للسياسة الخارجية.

من الواضح إذن، إن أي استراتيجية تهدف الى إعادة بناء صورة أمريكا ينبغي أن تتجاوز المعتاد من تحليل ووصفات خبراء السياسة الخارجية والإقرار بأن تأثير امريك في العالم له علاقة بما يشع من خارج واشنطن كما من داخل النظام السياسي في محيط العاصمة.

---

[21] “The Internet in China: Alternative Reality” *The Economist*, Feb. 2, 2008, 65-6

وعلى عكس معظم الدول، تعتمد صورة أمريكا ليس فقط على هويتنا ومانفعله وإنما أيضا على كيفية تصوير أنفسنا أمام العالم . من خلال ثقافتنا الجماهيرية المتنشرة في العالم- أفلام هوليوود والموسيقى الشعبية وأفلام اليوتيوب والتلفزيون – ليس ثمة امبراطورية في التاريخ بما فيها الرومانية والبريطانية والأسبانية والعثمانية ، امتلكت القدرة على امتطاء العالم وقولبة الصورة لتعكس اسلوب حياتها الى الآخرين كما يفعل مجمعنا الإعلامي- الصناعي القدير.

نتيجة لذلك ، تمتزج بعرى لا تنفصم: هويتنا وأفعالنا وطريقة تقديم أنفسنا – بقصد أو بدونه – في عيون الرأي العام العالمي.

وعلى نفس القدر من الأهمية، فإن صورة ذاتنا الجمعية في مواجهة بقية العالم تتشكل بطريقة تصوير أنفسنا في وسائط الإعلام. والأفلام سواء كانت "الرؤيا الآن " أو "عائلة سبمسون" هي في ذات الوقت، عاكسة للتجربة الأمريكية وصائغة لها.

ومهما اختلف رأي محللي السياسة الخارجية في مؤسسات الفكر في كونكتكت أفينيو، فإن كل ذلك جزء لا يتجزأ من كلّ. يتدفق كولاج الصور دون نسق، الجيد والرديء، التواصل السياسي المباشر الى جانب التأثير الثانوي للتلفزيون والسينما والموسيقى. الكل مضروب في خلاط الإدراك ، وكلهما يساهم في البناء العقلاني والوجداني لما يعتقده الناس أنه الواقع الأمريكي. غوانتنامو. أبو غريب. أوباما. عائلة سمبسون. بلاكووتر. معهد ماساتشوستس للكتنولوجيا. هارفارد. مايكروسوفت.

جوجل. برتني. كاترينا. رجل العائلة . ارنولد شوارزنجر. هب هوب. جوائز جرامي اللاتينية. البدانة. جاي زد (مغني راب أمريكي). ماكدونالد. المطرقة. سبرول (علامة تجارية لملابس الملاكمين). الحرب الوقائية. دونالد ترامب. ربات بيوت يائسات. أوبرا. الجنس في المدينة. المهمة المستحيلة **3**. تيتانك. حديقة الديناصورات. الدولار الضعيف. صناديق العائد المرتفع. المنازل المرهونة. فرقة مقاتلي فو. ذهب مع الريح. قتل الطائر الساخر. باريس هلتون. مارلون براندو. كلينت ايستوود. هوية بورن. بوند. جورج بوش. بيل كلنتون. مسلسل الناجي . المفقودون. أمريكان آيدول.

القضية الرئيسية، بطبيعة الحال، هي كيف يمكن فرز كل هؤلاء. من جانب، يرجع ارتفاع عائدات شباك التذاكر في الخارج الى التجارة الحرة وهبوط قيمة الدولار. ولكن من الواضح أن هوليوود، كما كانت كانت دائما، تفتح نافذة على حيوية امريكا الفاتنة، باعتبارها ثقافة عقل حر وابداع تكنولوجي وهي في حركة دائبة لاكتشاف الجديد. انها "ثقافة المرح" التي نزعت عنها قيود القهر في الديانات الكالفينية والاسلام والكونفوشية، مضافا اليها، التفسخ في تجاوزات "جموح الفتيات **Girls gone Wild**" (ناهيك عن العالم السفلي الهائل من الأفلام الإباحية الموجودة على الانترنيت).

وطبعا، أكثر صفة جذابة في ترسانة قوتنا الناعمة هي صورة أمريكا أرض الفرص والإمكانيات اللامحدودة الموعودة، حيث تسود الحرية

الشخصية وحكم القانون . وأكبر قوة جذب في أمريكا هي أنها دواء جيوثقافي لجماهير التاريخ المعذبة . حين يهبط المهاجرون من زوارقهم، يغادرون مشاكلهم خلفهم. التراب – أرض الأجداد وكل ما يتعلق بها – تنتزع من الروح وتتحول الى عقار الأحرار. بهذا المعنى ، فإن أمريكا هي عقيدة وليست عرقا، ولا حتى أمة. المستقبل وليس الماضي هو الذي يحتل خيال كل انسان. وقد وصف الشاعر الحائز على نوبل، اوكتافيو باث ، امريكا – بهذا المضمون – بأنها (جمهورية المستقبل)

بالتأكيد هذا هو أحد الأسرار المعروفة عن سبب سرعة اندماج المهاجرين المسلمين في الثقافة الأمريكية مع حرية ممارسة عقائدهم ، في حين انهم في اوربا يظلون مرتبطين بالمحن التاريخية لأوطانهم الأصلية.

رغم أن تجمد الحراك الاجتماعي بوجود أكبر تفاوت طبقي منذ **1929** ، و الهجرة المكسيكية غير المسبوقة والخوف من الأرهاب، قد أدى الى تقييد الأذرع المفتوحة للترحيب سابقا – فما زالت أمريكا منتهى الأمل للجماهير المحتشدة التي تخاطر بأرواحها للوصول الى هنا عبر صحاري حارقة او داخل حاويات سفن الشحن الصدئة، ورغم أن الهوس باللمعان الخاطف للأبصار وبالنجومية قد يشوه المشهد الأمريكي هذه الأيام ، ولك في أعمق قلوبنا، فإن ما نسعى اليه ليس المادية المخزية او الشهرة الفاقعة ولكن الكرامة والإقرار بأن كل فرد جدير بفرصة عادلة في الحياة.

هذا هو ماجعل أمريكا ثقافة ملهمة بعمق، حيث أن النجاح وليس الاقتراب منه، هو جزء من اللعبة. كل هذا يأتي عبر السينما من أساطير مستقبلية مثل (أنا اسطورة **I am Legend**) الذي مثله ويل سمث الى تراث الويسترن (الغرب الأمريكي) الكلاسيكي مثل المسلسل التلفزيوني دخان البنادق **Gunsmoke** الى المسلسلات المعاصرة مثل (اصدقاء).

ولكن مع ذلك ، من الخطأ اعتبار رواج مبيعات الشباك وقرصنة الأفلام التي تصور هذه الحياة، مرادفا لتأييد الأمركة. قد ترفه أفلام هوليوود عن الناس وتسليهم وتلهيهم عن واقع حياقم ، بتخيل عالما آخر ، ولكن ذلك لا يعني أبدا أهم يتعاطفون مع العالم الذي يرونه على الشاشة. بل غالبا وعلى أكثر منذ **11** سبتمبر ، قد يكون لذلك أثر عكسي.

إن حقيقة رواج فيلم (المهمة المستحيلة **3**) في دور السينما من طوكيو الى القاهرة ، على رغم رؤية هذه الشعوب لجورج بوش باعتباره – مثل أحمدي نجاد – خطرا على السلم العالمي، لايعني أن "جاذبية هوليوود" رصيد صرف لا يلعب الا دورا ايجابيا في تحفيز إلهام وأحلام ورغبات الآخرين. الواقع أكثر تعقيدا . إنه غالبا أقرب الى سيف ذي حدين. فبقدر ماتكون أمريكا حلما للبعض ، فهي هدف عداء لآخرين . مايعجب البعض في أمريكا يمقته آخرون، باعتبارها موطن الخيلاء والعجرفة والإنحلال. وهناك من يرى في "المدينة على التل" (المقصود بها

أمريكا مع إشارة دينية عن المدينة على التل التي ذكرها السيد المسيح– المترجمة) على أنها مهد الشر (الشيطان الأكبر) .

ومع أن روح أمريكا هي نوع من الهجين الديني العلماني كما يصفها اللاهوتي مارتن ماري ، فإن الرسائل المادية اللاأخلاقية الحافلة بالجنس والرجس التي تسود اعلامنا الجماهيري، ترتطم في رأي المسلمين المحافظين والذين لا يختلفون عن المسيحيين المحافظين في الداخل، بحدود ايمانهم وهويتهم ، ورغم أن قلة منهم يتصرفون كإرهابيين ، ولكن هناك مناطق نائية شاسعة من الأمة الإسلامية في انحاء العالم تعتبر كل ما يصدر من ترفيه أمريكي مما ينطبق عليه مبدأ "كل شيء يأتي بالربح مسموح" ، خطرا على وجودهم الروحي .

تقول الناقدة الثقافية مارثا بايلز **Martha Bayles** برؤية نافذة "ان دراسة نقد المسلمين المتطرفين لأمريكا هو رؤية المرء لنفسه فيما يشبه مرآة مدينة الملاهي: انعكاس الصورة يكون في وقت واحد مشوها ودقيقا الى حد الغرابة . إن اعداءنا لا يشككون في تفوقنا الاقتصادي والتقني ، ولكن في تفوقنا الأخلاقي والروحي." 22 . وبنفس المعنى، يحذر رويل مارك جريخت **Reuel Marc Grecht** وهو عنصر سابق في وكالة المابرات المركزية الامريكية **CIA** ، في الشرق الأوسط، من "رؤية صورة الملالي بمرآتنا" ويقصد أن المحللين العلمانيية يهملون النقد

[22] Bayles, M. "Goodwill Hunting" *The Wilson Quarterly*, Summer 2005

الإسلامي للثقافة الأمريكية باعتباره سياسة أفراد متشائمين، بدلا من إدراك تجذرها في العقيدة23 .

وقبل **11** سبتمبر ، شكك جو دافي **Joe Duffy** الذي كان يرأس وكالة المعلومات الأمريكية خلال رئاسة بيل كلنتون ، بصوت عال متسائلا ما إذا "كان اصرار هوليوود على تصوير الجنس والجريمة والعنف التي تعرض المشاهدين باستمرار لصور ورسائل تحط من شخصية الجمهور، تخدم مصالح أمريكا الرئيسية ، بل اذا كانت تخدم الديمقراطية ذاتها في نهاية المطاف" 24. كانت مثل تلك البرامج قد أزعجت هذا الموظف العمومي المسئول رسميا عن صورة أمريكا في الخارج "هذه البرامج تؤكد فقط أسوأ الإتهامات بالفساد الأخلاقي والفراغ الفكري للغرب – وأمريكا على الأخص "، وبطبيعة الحال يحتمي صانعو الأفلام الأمريكيون من مثل هذا النقد الحكومي ، بحقهم في حرية التعبير التي كفلها الدستور.

ومع أن فرانسيس فوكوياما قد دعا لنبذ عسكرة الحرب على الإرهاب من خلال الاستخدام المكثف للقوة الناعمة – كما عرفها جو ناي **Joe Nye** استاذ هارفارد باعتبارها الصفات الجذابة والمقنعة لأمريكا، تمييزا لها عن "القوة الخشنة" وهي الجبروت العسكري – فهو يدرك هذا اللغز. يرى فوكوياما ، أن أكبر سلاح في القوة الناعمة

[23] Gerecht, R. M. “Mirror-Imaging the Mullas: Our Islamic Interlocutors” *World Affairs*, Winter 2008
[24] “Hollywood Disinformation” *New Perspectives* (Fall 1998) *Quarterly*, vol. 15, no. 5

الأمريكية متمثلا بهوليوود، غالبا ما يلعب دورا سلبيا "ينظر لهوليوود على انها ناقل لنوع من الثقافة العلمانية والمادية والمتساهلة والتي لا تلقى شعبية كبيرة في بقية انحاء العالم خاصة العالم الإسلامي"25 ويرى ناي أن الثقافة الجماهيرية الأمريكية هي مجرد مورد، قوتها في جاذبيتها الإيجابية ، ولكنها تفقد هذه القوة حين تعكس صورا سلبية عن أمريكا.

أثناء الذهول الذي أصابنا بعد **11** سبتمبر ، شعر الكثير منا بأن الهجوم على أمريكا كان بسبب عدم فهم الآخرين لها. ولكن امريكا كانت مفهومة بالتأكيد.

لقد كانت بروباغندا أمريكا مابعد الحداثة – الترويج لمادية الاستهلاك مترافقة مع عولمة نسبية القيم – موجودة هناك منذ وقت طويل. وقبل الغزو الوقائي للعراق، بوقت طويل كانت هناك أفلام ام بيّ في **MTV** متغلغلة فيما لا تستطيع وكالة المخابرات المركزية اختراقه.

وقد فضح سامنر ريدستون **Sumner Redstone** صاحب شركة فياكوم **Viacom** مالكة ام بيّ في بطريقة عفوية حين قال في مؤتمر نيلسون للمال والمديا في نيويورك بنهاية **2007** ، بأنه ، مهما كان التطور النهائي في طوفان التوزيع الرقمي الذي انتج انواعا مختلفة من المنابر من أجهزة اللابتوب الى شاشات الهواتف النقالة ، يظل "المضمون هو الملك" متفاخرا بقدرة شركته فياكوم على كسب المال في هذه البيئة

[25] “There are No Shortcuts to the End of History” Interview with Nathan Gardels, *New Perspectives Quarterly*, (Spring 2006) vol. 23, no. 2, pp 34-8

الجديدة. وقد عزا سره الى سلاح المحتوى وقال لمديري الاعلام الترفيهي المجتمعين أمام المعلم ليوزع حكمته عن طرق الثراء في رمال التكنولوجيا المتحركة باستمرار "شكرا برتني" .

في استطلاع معهد جالوب الذي أجري على **8000** امرأة مسلمة في **2006**، اشارت الأغلبية الكاسحة منهن الى أن افضل جوانب مجتمعاتهن هي (التمسك بالقيم الروحية والأخلاقية" في حين أن اكثر الأجوبة شيوعا على سؤال : ماهي الصفة التي لا تحوز إعجابهن في الغرب؟ كان "الانهيار الاخلاقي والاباحية وأفلام البورنو" مشيرات الى "الصورة التي تعكسها هوليوود "26

وهناك مقولة شهيرة لملكة الأردن رانيا وهي تحاول جسر الهوة بين الإسلام والغرب "ان الكثير من النساء المسلمات ينظرن الى نظيراتهن الأمريكيات على أنهن "ربات بيوت يائسات " يبحثن عن "الجنس في المدينة" 27

قد يتفق الكثير في أمريكا بأنه ليس كل ثمار الحرية رائعة، من الأمهات مثل تبر جور **Tipper Gore** الى الكوميديان بيل كوسبي **Bill Cosby** الى اليمين المسيحي، يشمئز أيضا الكثير من الأمريكيين من

[26] Andrews, H. “Muslim Women Don’t See Themselves as Oppressed, Survey Finds” *New York Times*, June 8, 2006
[27] Maria Shriver’s Women’s Conference (2007), Unpublished Speech, Long Beach

محتوى بعض الأفلام الأمريكية والموسيقى الشعبية والتلفزيون باعتبارها إهانة ، اذا لم تكن تهديدا مباشرا لقيمهم المتوارثة.

لقد فهم كارل روف **Karl Rove** مستشار بوش أن افضل علاج لتعويض هوة إيمان الناخبين بجورج بوش إعادة انتخابه للمرة الثانية هي "هوليوود المتحررة" . بهذا المعنى من المفيد استذكار ان نشوء نظام الرقابة الذاتية للافلام والتلفزيون كان بالضبط من أجل تفادي مايمكن ان تقوم به الجماعات المحافظة من منع سياسي، وقد تأسست رابطة السينما **Motion Picture Association** في عام **1922** كرد فعل لقرار المحكمة العليا في **1915** الذي عرّف السينما على انها "تجارة صرفة وبسيطة" وبهذا لا تخضع لحماية التعديل الأول في الدستور.

وقد أشارت مارثا بايلز "لأن هذا الحكم أستحضر شبح رقابة الدولة ، فقد اتفقت ستوديوهات السينما الرئيسية على تبني شريعة الإنتاج **Production Code** الذي يقيد الجنس والعنف وقد أعادت المحاكم فيما بعد تعريف السينما على انها خطاب محمي بمعنى : تعبير فني"[28].

هناك أصوات مهمة اخرى هي ايضا أقل حماسة فيما يخص ثقافة الترفيه في أمريكا، مثل البابا بنديكت السادس عشر الذي وعظ ، وهو ينظر الينا من خلال عدسات إعلامنا الترفيهي بحذر، بأن امريكا والعولمة

[28] Bayles, M. “Risky Business for Hollywood” *International Herald Tribune* , May 8, 2008

الاستهلاكية التي ترعاها ، تتمحور جميعها حول "الأنا" و"الشهوة" . وفي حواره عام **2004** مع السيناتور الايطالي مارتشيلو بيرا **Marcello Pira** ، كان البابا المحافظ قلقا من انه رغم امتلاك أمريكا "لقاعدة روحية واضحة " لكن هذه القاعدة تتعرض للمحو بخطا متسارعة " من قبل وسائل الاعلام الترفيهي. قائلا لمحاوره الإيطالي "الأمريكيون يشاهدون التلفزيون أكثر من اللازم"29 ، وقبله شعر جون بول الثاني أيضا بالقلق من أن امريكا انحرفت كثيرا عن الحقيقة الى "اي شيء يتفق" مع وفرة انحلال لنزعة نسبية متآكلة يعكسها على نطاق واسع إعلامها المؤثر كونيا.

وبقدر ماتوحي بخلافه حصيلة شباك التذاكر الأجنبي ، فقد أصبح الاحتلال الترفيهي الأمريكي للمخيلة العالمية كاسحا اكثر من اللازم حتى لبعض اولئك المتفقين مع القيم العلمانية اللبرالية لهوليوود، مما قد يثير رد فعل عنيف. وكما عبر عنها جوزف جوف **Josef Joffe** ناشر المجلة الالمانية ديزايت **Die Zeit** بقوله "ما بين فيتنام والعراق اتسع الحضور الثقافي الأمريكي فشمل كل أنحاء العالم وكذلك اتسع العداء لأمريكا. إن القوة الناعمة لا تؤدي بالضرورة الى حب العالم لأمريكا. انها "قوة" وبهذه الصفة فهي تصنع أعداءها" 30

---

[29] Ratzinger, J. and Pera, M (2007) *Without Roots: The West, Relativism, Christianity, Islam*. Perseus

[30] Joffe, J. “The Perils of Soft Power” *New York Times Magazine*, May 14, 2006

الجانب الثاني لرد الفعل العنيف هذا ، هو المنافسة الثقافية الشديدة وهي متلازمة للثقة الحضارية المتصاعدة التي ترافق الرفاهية المستحدثة التي تأتي بها العولمة خاصة في آسيا، حيث تتزايد رغبة الجماهير في الترفيه القائم على أساطيرهم وحكاياتهم ومسلسلاتهم وملاحمهم، كما يحدث منذ زمن في الهند. وليس فقط الترفيه الوارد من أمريكا. يمكن القول أن الطريق الى الشرق، ربما مر من خلال الغرب ولكن حين وصل الشرق الى غايته، فهو الآن في سعي متزايد للمعاصرة كما رآها على الشاشة ولكن بشروطه الخاصة ، وليس بالشروط الأمريكية ، وبالتأكيد ليس بأجندتنا الجيوبوليتكية والجيو اقتصادية والجيو ثقافية.

إن اسلوب الحياة الأمريكية من خلال عدسات هوليود قد خمّر الثقافات التقليدية خاصة تلك الطالعة من العالم الثالث وكان الناتج هجينا معاصرا وليس نسخة طبق الأصل متخمة بحرية التعبير وثقافة الاستهلاك ونهج الانتخابات او الصفات الأخرى للحياة الجيدة التي نفترض انها تجتذب بقية العالم.

من شأن أي حوار مع عدد من الصينيين الذين تعلموا في الجامعات الأمريكية ثم عادوا الى الوطن، أن يكشف أنهم يفضلون جرعة كبيرة من النظام تصاحب رفاهيتهم ولا يخجل لي كوان يو **Lee Kuan Yew** عراب تحديث شرق آسيا من الإشارة الى أنه "في الصين ليس لدينا تقاليد

للسخرية من الإمبراطور، وهكذا فإن كارتون دونزبري **Doonesbury** يعتبر تحريضا وخيانة"[31]

وقد يعترف حامد قرضاي بصراحة وهو يجلس منتصب الظهر متألقا بزيه التراثي، بتقييد الحرية الثقافية التي يفرضها كبار رجال الدين والقبائل على "الدولة الحديثة" التي عهدت الولايات المتحدة اليه بإقامتها في أفغانستان. والكبار يغضبهم التحميل "الكافر" من الإنترنيت والسلوك "الفاجر" الذي تعرضه أفلام هوليوود وبوليوود على السواء.

في أبريل **2008** قام وزير الاعلام والثقافة بضغط من مجلس رجال الدين مدعومين بقرضاي، بمنع خمسة مسلسلات هندية بضمنها "امتحان الحياة" و "لأن الحماة كانت سابقا كنة" لأنها "لاتتماشى مع الديانة والثقافة الأفغانية" وطبعا طالبان حرموا التلفزيون نهائيا.

في المملكة العربية السعودية ، قد يحتفظ الشباب بصور نساء جميلات في هواتفهم النقالة وقد حملوها من الانترنيت ، كما قد يجعلون موسيقى تيتانك رنات لهواتفهم ، ولكنهم مع ذلك قد يغضبون لرؤية امرأة ، حتى لو كانت مغطاة من رأسها الى أصابع قدميها، في مطعم بدون زوجها. قد يشاهدون برنامج اوبرا و د. فيل على شاشة التلفزيون وهم يرشفون القهوة المهيّلة ويدخنون في صالة استقبال الرجال في منازلهم ولكنهم مع

[31] Gardels, N (1995) "The East Asian Way" Interview with Nathan Gardels, in *At Century's End*. Alti.

ذلك يرون في "الجهاد" ضد "الأجانب" في "بلادهم العربية" فرضا وشرفا 32

ومن الواضح أن ازدواج المعايير ليس فقط من اختصاص الغرب.

في تركيا ، تعيد النساء المسلمات الملتزمات تعريف الحداثة بشروطهن، فعلى نقيض المفهوم الغربي ، ترى هؤلاء النساء ان ارتداء غطاء الرأس في الجامعة ليس فقط علامة على التقوى وانما رمز لتمكين المرأة ومساواتها مع المسلمين الذكور. في العالم العربي، تسود مسلسلات التفزيون والبرامج الحوارية فكرة "حرة ولكن محافظة" كما وصفها منتج لبناني.

بالتأكيد، قد نكون نشهد نهاية "نهاية التاريخ" – جعل العالم على صورة أمريكا بعد الحرب الباردة – وقدوم مابعد العولمة . ففي حين سطّحت العولمة العالم ، فإن الحداثة اللاأمريكية وحتى اللاغربية تعيد مرة اخرى تنويع أساليب الحياة.

يقول خان لي الذي يدير ستوديوهات زيوس في تايوان وشقيق آنج لي في الفيلم الشهير"النمر الرابض، التنين الخفي" بصراحة شديدة "هوليوود ديناصور دمر واحتل عقولنا لفترة طويلة جدا. العالم مليء

[32] Slackman, M. “Young Saudis, Vexed and Entranced by Love’s Rules” *New York Times*, May 12, 2008

بقصص جديدة تنتظر أن تروى وجمهور جديد ينتظر أن يراها، حتى لو استخدمنا قوالب هوليوود لفعل ذلك " 33.

وعلى اية حال فإن قصة زيانج ين Zjang Yin أغنى امرأة في الصين ، صاحبة شركة ورق تسع تنينات Nine Dragon Paper التي بنت امبراطورية من الصفر وهي تعيد تصنيع صناديق تعبئة من الورق المقوى، قصة جذابة في كل جزء منها بقدر جاذبية قصة هوراشيو ألجير Horatio Alger الروائي العصامي الذي صعد من الصفر.

لايمكن بالتأكيد ان يكون نقد انحسار الهيمنة الأمريكية هو الذي جعلنا أقل فرادة ، لأن حلم الحراك الإجتماعي والفرص التي كانت ميزة خاصة بأمريكا اصبحت الآن واقعا للاخرين ايضا. ولكن لأننا أقل فرادة، طبعا، فهذا يعني أن قصة أمريكا كما تكتبها اصبحت أقل جاذبية كنموذج للاخرين الذين يصنعون نسخهم الخاصة.

يوضح الدبلوماسي السنغافوري سريع الغضب كيشور محبوباني وجهة النظر الحساسة هذه في كتابه "النفوذ الآسيوي الجديد : حتمية انتقال القوة الكونية الى الشرق"[34] بقوله "المفارقة الكبيرة في المحاولات الغربية الفاشلة لتصدير الديمقراطية الى المجتمعات الأخرى هي انه في المعنى الأوسع للمصطلح، نجح الغرب فعلا في دمقرطة العالم. أحد أهم أهداف

[33] Gardels, N. "China's Open Underground, Taiwan's Aperture." *New Perspectives* (winter 2008) *Quarterly*, vol. 25, no. 1, pp. 117-23
[34] Mahbubani, K. (2008) The New Asian Hemisphere: *The Irresistible Shift of Global Power to the East*. Public Affairs, p. 7

الدولة الديمقراطية هي تمكين مواطنيها بما يجعلهم يؤمنون بأنهم سادة مصائرهم. ولم يكن عدد الناس الذين يؤمنون بهذا في أي وقت سابقا، أكثر مما هم عليه الآن. حتى في مجتمع الصين "غير الديمقراطي" انتهز المواطنون الفرص التي وفرها الحريات الاقتصادية الجديدة للاستمتاع بتغيير حياتهم كليا.. بالمصطلح الكوني، حدثت دمقرطة هائلة للروح الانسانية . ينبغي على الغرب أن يحتفل بهذا وليس توبيخ الدول بسبب ممارساتها الانتخابية الناقصة "

بالنسبة لمحبوباني، بعيدا عن مسائل الدمقرطة غير اللبرالية ، يقاوم الغرب هذا الاعتراف لأنه يتضمن "يوم حساب" قادم في العقود المقبلة حين لن يقبل اولئك الذين يزدادون سيطرة على مصائرهم بالنظام (اللاديمقراطي) الذي يجلس فيه الغرب دائما على القمة.

ومع كل جبروتنا فإن امريكا تفقد قوتها. وكما أسلفنا فإن رأسمالنا السياسي في مابعد الحرب الباردة قد تبعثر بقطبية أحادية غير حكيمة ، وبالحرب المضللة في العراق والتراجع المخيف عن المباديء الدولية في أعقاب هجمات 11 سبتمبر ، وهو ضرر يمكن للرئيس اوباما ان يساعد في اصلاحه. من ناحية فإن فقدان القوة حدث لوجود مقاومة لحضورنا الدولي الكاسح، ليس أقله من خلال ثقافتنا الجماهيرية ، ومن جانب بسبب المنافسة من القادمين الجدد في العالم الذي بدأ يصبح فعلا متعدد الاقطاب.

لكل هذه الأسباب ، فإن الافتراض الذي كان سائدا في عصر جون وين بأن أمريكا يمكن ان تنفرد بكتابة السيناريو لكل العالم ، سواء في واشنطن او هوليوود، قد انتهى الى الأبد. وأينما اتجهنا من هنا ، فسيكون على أسس جديدة.

وهذه الأرضية الجديدة حيث سيقع (الصراع الطويل) لتلميع صورة امريكا في الميدان الجماهيري العالمي الذي خلقه اعلام العولمة.

مثل السياسة، فإن الاقلام والثقافة واسعة الانتشار التي تملأ ميدان القوة هذه هي تجربة جماعية شعبية.

يمكن لأرنولد شوارزنجر او رونالد ريغان او اي سياسي ظهر على البرنامج اليومي **Daily Show** او ليلة السبت مباشر **Saturday Night Live** او برنامج جاي لينو **Leno Jay**" برنامج الليلة **Tonight Show** " للترويج لترشيحهم، ان يقولوا لك انه في الدولة الديمقراطية ، يتشارك مركز الاقتراع وشباك التذاكر بجمهور واحد، وقد صار مفهوما منذ وقت طويل، أنه عبر الجغرافية الشاسعة لأمريكا المعاصرة ، يشكل الاعلام الميدان الجماهيري . ومع العولمة فإن هذا ينطبق على العالم كله. الأفلام والموسيقى والانترنيت والثقافة الرائجة، كما وصفها جور فيدال هي "المنبر الجديد" (استخدم فيدال تعبير **new agora** وأجورا هي كلمة اغريقية تطلق على مكان الاجتماع او السوق او المنتدى حيث يتحدث الناس، أشبه بسوق عكاظ – المترجمة).

الى جانب تفوقنا العسكري والاقتصادي والعلمي والتكنولوجي اصبح انتشار ومضمون الثقافة الرائجة الأمريكية ذاتها عنصرا في العلاقات الدولية. وطالما ان السياسة الجديدة للثقافة العالمية هي مسألة من له فصل الخطاب على مسرح العالم ، فإن هوليوود ، في خيرها وشرها، لاعب رئيسي في هذه المنافسة. والمنتصرون يكتبون التاريخ دائما ، كما فعلت هوليوود لعدة عقود.

والآن مع دمقرطة وسائط الإعلام العالمي وانتقال القوة الى مراكز كثيرة – صعود الآخرين – فالتاريخ له كتاب كثيرون.

الفصل الثالث
تحويل الإبداع الى نقد: كيف تعمل هوليوود

رغم معرفة العالم بمنتجات هوليوود، فلا يُعرف إلا القليل عن كيفية سبك هذه المنتجات، مزيج بوتقة الوشائج المشوشة بين الإبداع والتجارة التي يصنع فيها السجق الثقافي .

يتناول هذا الفصل، القوى الداخلة ضمن تلك البوتقة والتي تقرر في النهاية إذا كان ماسيراه العالم على الشاشة هو دراما فاشلة او عمل خال من العبر او قطعة فن ابداعية . لماذا تخلق هوليوود هذا ؟ ماهي دوافعها؟ وكيف يتم ذلك ؟

كل ماينتج عن هوليود يأتي باسم الترفيه. كل شيء يخدم الغاية. إن تجارة السينما هي بالضبط : تجارة . ربما يكون الإبداع هو الدافع من جهة ولكن هوليوود تعني ترجمة ذلك الإبداع الى مال. وطبعا حتى اولئك الذين يعملون من اجل الفن، سرعان مايستمتعون باحساس سطوة الحرية التي يخلقها المال والشهرة . داخل هذا الوشيجة تجد افلاما مستقلة ، يختلف تمويلها، وقد تتسع أو تتضاءل فرص توزيعها ولكن أكثر هذه الافلام لاتجد طريقها للتوزيع مطلقا .

يعتمد انتاج فيلم من عدمه على التخمين كثيرا . اذا كانت لديك خبرة طويلة في هذه الصناعة فلابد أنك الآن تعلمت ان النجاح يأتي دائما بشكل مفاجأة لأن من يقرر انتاج فيلم ما لايعرف أكثر من غيره اذا كان فيلمه سينجح مستقبلا ، أو اية قصة ستضرب على الوتر

الحساس لدى الجمهور. وعادة ماتكون دراسات التسويق القائمة على النجاح الأخير وليس الإحتمال الإبداعي للمشروع القادم، هي التي تحسم اتخاذ الشركات السينمائية قرارات انتاج الأفلام . ولدى معظم الافلام اليوم حياة قصيرة على الرف، ولكن اذا كانت النوعية عالية فإن عمرها قد يستمر لسنوات اذا لم يكن لعقود .

في هذه العملية فإن "روح العصر" أي انتهاز "اللحظة الثقافية " - يلعب دورا كبيرا في النجاح . وهذا يشمل توقيت عرض الفيلم وإيمان الموزعين بالفيلم ، والذي ينعكس في حسن تنفيذ الحملة الدعائية للفيلم بالجهد والمال . كما تشمل "اللحظة الثقافية" حيوية الموضوع وأهميته في وقت إطلاقه، ومصداقيته وواقعيته بالنسبة للجمهور الذي يستشعر زيف الفيلم قبل افتتاحه. اخيرا قد يعتمد النجاح على نوعية الافلام الموجودة في الساحة ساعة عرض الفيلم المعني. إن توقيت عرض الفيلم عنصر مهما جدا قد يحسم مسألة نجاحه .

وفي مواجهة هذه القيود، فالعديد من الأفلام التي اشتهر صيتها في تاريخ هوليوود كانت على وشك ألا ترى النور. على سبيل المثال فيلم (الرؤيا الآن **Apocalypse Now**) كان على وشك ألا يظهر الى الوجود ولنفس السبب المعتاد، لم يرغب أحد في تمويل هذه القصة التي اصبحت من كلاسيكيات السينما التي تدور حول كيف يمكن ان تحول حرب وحشية بطلا وطنيا من نوع جون وين (وهو بالمناسبة لم يخدم في

الجيش) الى مارلون براندو في دور مخلوق مريب مختل العقل بقدرته الشريرة المفاجئة في ظلام أعماق الغابة.

أمكن لهذا الفيلم أن يرى النور لأن المخرج فرانسيس فورد كوبولا كان قد صنع (العراب) و (العراب الجزء **2**) وهما فيلمان شهيران عن المافيا الايطالية . كما ساعد في تقديم جزء من التمويل بنفسه وذلك باعادة بيع الحقوق في بعض الأسواق الخارجية . وبعد أن رفض ستيف ماكوين وروبرت ردفورد تمثيل دور البطولة حيث لم يرغب اي منهما قضاء ماكان يعتقد اربعة شهور في الغابة ، جيء بمارلون براندو كممثل مشارك في الفيلم مع وعد انه لن يقضي سوى اربعة اسابيع في موقع التصوير، وتبين فيما بعد أن الفيلم استغرق سنتين بالنسبة لكل الممثلين الآخرين.

أما فيلم (العودة الى البيت) فقد كان أحد اسباب صناعته هو أن أحد مؤلفيه كان وكيل جين فوندا بطلة الفيلم، وكان كل من اشترك في الفيلم بضمنهم المخرج هال آشبي والكاتب والدو سولت، يريد أن يشارك في ايصال رسالة حب. ولعل نجاح الفيلم يعود أيضا الى التزام فوندا السياسي بعملية تطبيب جروح الحرب في الداخل ، اضافة الى اظهار استمرار الحرب في الوطن للذين أصابتهم حرب فيتنام جسديا وعقليا.

كان ارنست جولد شمت **Goldschmidt** رئيس القسم الدولي في شركة اوريون في حينها ، مهتما بصنع فيلم اوليفر ستون (بلاتون

Platoon) لأنه من وجهة النظر الاقتصادية ، كان زهيد النفقات حيث لن يكلف الشركة سوى **2.5** مليون دولار، ولم ترغب أية شركة اخرى في انتاجه حيث لم يتوقع أحد نجاحه.

وقد حدث أن اصبح فيلم بلاتون من الناحية المادية اكثر الأفلام الثلاثة هذه التي تدور حول حرب فيتنام نجاحا، ربما لأنه صنع في عام **1986** ، بعد وقت طويل من الحرب. أما الفيلمان الاخران فقد صنعا في الوقت الذي كانت جروح تلك الحرب المقيتة مازالت طرية. وكل هذه الأفلام عكست المزاج المتحول للبلاد، ولكنها صنعت جميعا من وجهة نظر المنتج ، لأسباب تجارية وليست سياسية. والنفقات القليلة تحمي الشركة من مخاطر فشل تام.

الفكرة ان وراء هذه الأفلام ذات الصبغة السياسية القوية ، تجارة ذات أنف حساس للدوافع المالية الحقيقية فوق وخلف كل البريق واللمعان والنبض الفني او الاتجاه السياسي. فغاية هوليوود في نهاية المطاف، هي صناعة المال من خلال الترفيه الجيد إذا أمكن، وحتى السيء والمحرج إذا كان سيدر ربحا.

طبعا كانت غاية هوليوود دائما صناعة المال، ولكن منذ أن صنعت هذه الأفلام الثلاثة حول فيتنام تغير مصنع سجق الترفيه بشكل كبير. في الزمن الماضي، كان الحرس القديم من صفوة رؤساء ستوديوهات هوليوود يستثمرون أموالهم شخصيا من أجل انجاح الأفلام وشركاتهم . وقد أصبحت حكاية رهن صامويل جولدوين منزله لتمويل أحد أفلامه

اسطورة من أساطير هوليوود، ومثل آخرين على أيامه، كانت الشركة ملكه الشخصي ولم يكن مسؤولا امام حاملي الأسهم او شركات عملاقة مثل سوني كما هي الحال في يومنا هذا. إن تكاليف الانتاج والتوزيع والتسويق هذه الأيام عالية جدا. والشركات اما تعتمد على أموال خارجية او تطلب تمويلا أجنبيا كجزء من خطة عملها لتستطيع المنافسة. ومنذ عام **2000** وطبقا لبحث قام به بنك **UBS** فإن **15** بليون دولار دخلت هوليوود من الخارج..

يقول باتريك جولدشتاين "القليل من الناس اليوم يرون في ادارة شركة سينمائية أقصى إنجاز مهني. لقد ولت ايام المجد تلك. رؤساء الستوديوهات اليوم مديرون فيها وليسوا مُلاكا. انهم لايصنعون الأفلام . إنهم يسيطرون على خلق امتيازات . ادارة شركة هو جزء صغير جدا من تجارة تكتل الاعلام الترفيهي العملاق "35 ، ولكنه جزء مرئي بوضوح شديد. من الاستثناءات المهمة متروجولدوين ماير **MGM** وبوابة الأسد **Lion'sGate** وهما شركتا أفلام صرفة.

باختصار، تدار الستوديوهات اليوم من قبل بنادق مستأجرة (مرتزقة) من الذين يجلسون على مقاعد مستأجرة ، من قبل فطاحل تسويق يركزون على النجاح في الماضي بدلا من دراسة احتمال النجاح المستقبلي. وخبراء مبيعات فيديو خارجية من الذين لديهم خبرة في بيع اغطية السرير اكثر من السيناريوهات. وتتعامل الستوديوهات في أيامنا

[35] Goldstein, P. "Can She Restore the Roar?" *Los Angeles Times*, March 18, 2008

هذه مع كميات كبيرة من الأموال حتى أن المصرفيين والمستثمرين الخاصين هم جزء من عملية صناعة القرار. في معظم الأحوال، يسعى هؤلاء الناس الى السيطرة الإبداعية اضافة الى المالية، رغم افتقارهم للخبرة في صناعة الأفلام.

وبدلا من المجازفة الإبداعية ، يقومون بدراسات اقتصادية في محاولة لحساب عناصر قصة فيلم ناجحة . وهم يؤسسون قراراتهم على الرؤى الماضية لأنهم لا يستطيعون التأكد مما سوف يؤدي الى نجاح فيلم يستغرق تصويره وحتى عرضه عاما كاملا. انه اكثر امانا ان تختار افلاما ذات حبكات مثيرة "تتماهى مع احتياجات كل انسان" ذات احتمالات نجاح هائلة والتي يمكن ان تلقى رواجا في الأسواق لأن فكرة الفيلم الموجزة **logline**" و التي يسميها محاسبو شركات السينما "المحتوى " تبدو رهانا أكثر أمانا رغم مصاريفه. وهذا هو النهج السائد.

رغم كل هذا ، فإن اولئك الذين ينتجون أفلام هوليوود اليوم، يتطلعون الى أكبر مقعد مستأجر . فعلى اية حال، لذلك المقعد أفضل صفقة ومزايا – طائرات خاصة ، زوارق ، سيارات ، افضل الفنادق، والمنازل الجميلة التي تشتمل على صالات عرض. ومع ذلك فمن العسير أن تدير شركة نموذجا تحاول عبرها أن تحقق اكبر المكاسب في أكثر الأوقات.

وعلى أكثر الاحتمالات انك سوف تكبو في احيان كثيرة. لا أحد يكسب أمولا في مشروع لايستطيع فيه أن يتكهن بعدد الجمهور حتى

حين يكون الابداع والحماسة وفهم المستقبل، ورواية قصص جيدة ومختلفة تبدو هي الطريق الأذكى.

وقد يكون اوليفر ستون الأشد نقدا لصناعته فهو يقول "كل الهراء الذي ينتج خاصة على التلفزيون ، هدفه امتاع الجماهير كل يوم وكل اسبوع، مثل السيرك الروماني. مختصر القول، مشكلة الإعلام الترفيهي الامريكي اليوم هو ان هدفه الأكبر هو جمع المال" 36

وكما هو دأبه ، يصبغ ستون الأمور بألوان حالكة ودرامية . يمكنك أن تعبر عن ذلك بطريقة اخرى: تنتج هوليوود ما تستطيع التجارة أن تقدمه من فن، انها تسمح بأقصى مايمكن ان يتحمله الترفيه من نقد سياسي واجتماعي.. بجلاء وبساطة : هذه هي مهمة شباك التذاكر. يجب على كل قصة تروى على الشاشة ان تمر بهذه المصفاة القاسية قبل أن تخرج من الطرف الآخر الى وعي الجماهير.

ورغم دكتاتورية شباك التذاكر، فمن الطبيعي أن "الحوادث تقع وهناك أفلام جيدة تصنع في هوليوود" كما قال مرة صانع الأفلام اليوناني كونستانتين كوستا جافراس37 . وحين يحدث هذا ، كما في أفلام فيتنام التي تعرضنا لها، فما يبرز يمكنه في نفس الوقت أن يعكس بقوة النزعة

[36] Stone, O. " The Media Beast" *New Perspectives Quarterly* (Fall 1998), vol.15,no.5p.40
[37] Gardels, N. (ed) (1997) "Resisting the Colonels of Disney" Interview with Nathan Gardels , in *The Changing Global Order*. Blackwell, p.230

العامة السائدة في ذلك الوقت ، سواء بالنسبة للجماهير في الوطن او خارجه ، ويشكلها أيضا.

إن الافلام ، في الواقع، هي دليل مصور للزمن. كتب ناثانيل ويست يقول"صناعة الأفلام هي صناعة الأحلام. انا نترجم ونفسر وننقل من الأفلام الى الحياة، ولكننا نفعل ذلك فورا وببداهة ونحن نعمل على مستوى وعي يقع مباشرة تحت الوعي الكامل. الكثير من خبرتنا بالأفلام الرائجة والثقافة الرائجة عموما: النكات والمسرحيات والروايات والأغاني و عروض النوادي الليلية وبرامج ومسلسلات التلفزيون تقع في الجزء الذي نسميه عادة "مؤخرة الرأس" المكان الذي نحتفظ فيه بكل تلك الهموم التي لاتخرج للعلن ولا تختفي ايضا، هذا "النقّ" الذي يضايقنا من حافات الوعي " 38

يمكن لأفلام الإنتاج الضخم ان توحد مزاجا في أمريكا تعكسه الى الآخرين في الخارج. في كتابه الصادر عام **2008** بعنوان "صور في ثورة " يناقش مارك هاريس هذه الحالة بالذات – وهي أن الأفلام المهمة في **1968** اسست للمزاج العام في ذلك الوقت، عاكسة اياه وكذلك مساهمة في اطلاق مشاعر مناهضة للحرب ومطالبة بالعدالة لكل عناصر

[38] Wood, M. (1075) *America in the Movies*. Basic Books, Inc.pp.16-17

المجتمع في امريكا. فيلم "بوني وكلايد" وهو في الظاهر فيلم عن العصابات باسلوب سينمائي، يؤسسس لموجة جديدة ، كان أقرب الى خطاب نقدي ضد العنف ومع التمرد. أما فيلم "خمن من هو القادم للعشاء" وفيلم "في حرّ الليل" فقد أصبحا بروباغندا بليغة للحقوق المدنية ، وقد انتقل الكثير من ممثلي تلك المرحلة مثل سيدني بواتيه و هاري بيلافونت وسامي ديفز من الشاشة الى الشوارع.

نفس هذه الدناميكية كانت واضحة في موسم جوائز **2006** ، فالأعضاء اللبراليون في أكاديمية السينما والعلوم ، التي تمنح الأوسكار قدمت الجائزة لأكثر الممثلين فتنة ووسامة وهو جورج كلوني لجرأته في التصدي للمزاج المحافظ السائد في البلاد في حينه بأفلام مثل "ليلة سعيدة وحظ سعيد" و"سيريانا" .

ولم يخيب كلوني آمالهم في خطبة قبوله جائزة اوسكار لأفضل ممثل مساعد تلك الليلة. فقد قام النجم الذلق، الذي لعب دور عنصر جاد من وكالة المخابرات المركزية الامريكية **CIA** تحاول شركات النفط الكبرى ان تستغله لمصالحها الخاصة، بتوجيه كلمات حماسية لزملائه النجوم وصانعي الافلام . وفي ايماءة ساخرة للنقاد والمحافظين ، امتدح هوليوود لكونها "بعيدة الصلة" عن أمريكا وبهذا استطاعت ان تنبه الجمهورية الغافية الى الأخطار المستقبلية. وبدون شك، لم تكن في ذهنه أفلام مثل "في حرّ الليل" او "خمن من القادم للعشاء" فقط ولكن ايضا "قتل الطائر الساخر" الذي قام بدور البطولة فيه جريجوري بيك، وقد

ساهم في غرس ذلك الصوت الدافيء لقيمة الشرف في الوعي الجمعي الأمريكي.

كانت هناك ايضا أفلام حديثة مثل "فيلادلفيا" الذي نبه المشاهدين في كل مكان – وبمساعدة من وجه توم هانكس المألوف – الى وباء الإيدز. والآن فيلم "ليلة سعيدة حظ سعيد" يحذر من تلاشي الحريات المدنية أمام الخوف. وكشف فيلم "سيريانا" المصالح الجشعة التي أوقعت أمريكا في فخ اضطرابات الشرق الأوسط لعدة عقود وآخرها في العراق.

معظم الأفلام التي تنتجها هوليوود هي ليست بطبيعة الحال على هذا الوضوح والمباشرة سياسيا او اجتماعيا ، ولكنها دراما ترفيهية او أفلام حركة (اكشن) من التي تستجيب لمتطلبات شباك التذاكر. ومع ذلك فإن أفلاما مثل "عائلة سمبسون" التي تستخدم فكاهة المراهقين لسبر غور التحول الجاري في الحياة العائلية المعاصرة . أو فيلم تيتانيك الذي يمزج التوترات الطبقية مع الحراك في حادثة تاريخية مأساوية ، هي التي كان لها أكبر التأثير على الجماهير. فكلا الفيلمين ينقلان معلومات "ثانوية " حول الافتراضات التي يؤمن بها الأمريكيون حول أنفسهم والعالم بأجمعه وحقيقة انهما يطابقان نمط تحويل الإبداع الى الكثير من الأموال بطرق عدة ، انما يعظم اهميتهما في بناء تراكيب السرد الأمريكي.

الفصل الرابع
أن ترى وأن تُرى

أمريكا ترى العالم من خلال الأفلام

على مدى السنوات المائة الماضية ، لعبت هوليوود سواء من خلال أفلام ذات أفكار اجتماعية وسياسية قوية او مجرد ترفيه، دورا هائلا في تشكيل الوعي المجازي للأمريكيين عن العالم البعيد عن نطاق خبراتهم تماما ، كما قدموا أمريكا الى العالم الخارجي. باختصار، اكثر من كتب التاريخ ووسائل الاعلام الصحفية، كانت هوليوود سبيلنا الى رؤية العالم وسبيل العالم الى رؤيتنا.

هذا الفصل لا يتناول تاريخا شاملا للأفلام او مسحا واسعا لجهود أمريكا السابقة في الدبلوماسية العامة . بل انه سرد انطباعي يهدف الى توضيح العلاقة المتداخلة بين الإثنين.

يرى الباحث الفرنسي جان ميشيل فالانتان أن الأفلام الأمريكية لم تجد مفرا من الكشف ،تكرارا ومرارا، عن انشغال حضارتها بأساطير"حدودها" و"مصيرها المحتوم" و المعركة بين الخير والشر و"التهديدات" من الخارج، سواء كان الخطر الأصفر متمثلا في صورة "فو مان تشو" او لاحقا بصورة أشرار يشبهون في مظهرهم صدام مما يعزز احساس أمريكا بهويتها كراع استثنائي للسبيل الحق بين الأمم. إن إطار فالانتان جيد وسوف نتتبعه بشكل ما خلال هذا الفصل. و بالتأكيد كانت المقدمة الصوتية للمسلسل التفلزيوني "سوبرمان" الذي عرض في

الخمسينيات وأوائل الستينيات تؤكد أن البطل كلارك كينت يكرس قواه الخارقة في خدمة (الحق والعدالة واسلوب الحياة الأمريكية) .

واسطورة راعي البقر الوحيد الذي يشق طريقه على الحدود الأمريكية الممتدة ، فارضا نظاماعادلا وسط معاناة بشرية قاسية واراض مفتوحة شاسعة ، هي الفكرة الأسطورية لإفلام الغرب الأمريكي التي لا تعد ولا تحصى، من فيلم "معركة بنادق في اوكي كورال" الى "سرقة القطار الكبيرة" الى "في منتصف الظهيرة" الى المسلسل التلفزيوني "دخان البنادق" الى "بونانزا" التي يقال أنها كانت الإفلام المفضلة لأسامة بن لادن في طفولته . كلها تتناول الخير ضد الشر ، والمغامرة والقانون.

يجسد هذا الدور ، بطبيعة الحال، كلينت ايستوود. وقد بلغت الأسطورة من قوتها في الوجدان الأمريكي مااشتهر عن هنري كسينجر حين صور نفسه للصحفية الايطالية ادريانا فلاتشي بدور راعي البقر الوحيد البطل رغم ان خبرته الوحيدة بالخيول هي حين درس صورة نابليون راكبا على ظهر الحصان في هارفارد.

حين فخم وودرو ويلسون من دور امريكا في جلب الديمقراطية وتقرير المصير الى العالم في بدايات القرن العشرين ، تبعه شارلي شابلن كالوجه المشخصن المكمل لأمريكا ، القوة الصاعدة في العالم . ومن خلال الوسيط الجديد من الافلام الصامتة أصبح أول نجم عالمي . صار الشخص المهمش الضئيل الذي يمثله والمناهض للشمولية ، والساخر تماما من مثاليات ولسون ، مألوفا للمشاهدين في الوطن وفي انحاء العالم ، كما

اشتهرت مشية البطريق الخاصة به وارتعاشات وجهه المضحكة وشاربه وعصاه وقبعته العالية . اذا كانت امريكا هي صانعة العالم الحديث، فإن فيلم شابلن اللاحق (الازمنة الحديثة) (**1936**) كان قصة امريكا التي رويت على الشاشة. وقد حاول شابلن حتى أن يستخدم نجوميته العالمية للتقليل من شأن هتلر من خلال السخرية به في فيلم (الدكتاتور العظيم).

فيما بعد فور انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت هوليوود في سرد قصص يشارك فيها جمع من المحاربين القدماء الذين عادوا الى عائلاتهم والى حياتهم العادية، موضحة بالصور – بطريقة لا تستطيعها كتب التاريخ– خبرات التضحيات والنصر في أعماق النفس الأمريكية . ويستحضر الذهن فورا فيلم "رمال ايوجيما" بطولة جين وين و"سايونارا" الذي قام ببطولته ريد بوتونز في دور جندي أمريكي يقع في حب فتاة يابانية ، الذي اطلق في الثقافة الشعبية اشارة المصالحة مع اليابان التي كانت تجري على الصعيد الدبلوماسي. وبعد وقت طويل فيما بعد، كانت أفلام مثل (معركة الثغرة) **1965**، و (حيث تتجرأ العقبان) **1969** ، و(تورا تورا تورا) **1970** و (باتون) **1976** هي التي أقفلت فصل الحرب العالمية الثانية . حتى فيلم ستيفن سبيلبرغ (انقاذ الجندي رايان) في **1998** وفيلم تيرينس مالك (الخط الأحمر الرفيع) **1998**.

وفيما مهدت الأرض في عهد ايزنهاور لحياة من نوع ما يجسده المسلسل الكوميدي (اتركه للقندس **Leave it to Beaver**) في اعقاب الصراع الكوري، نقلت هوليوود مثل امريكا ، بشكل عام،

انتباهها الى المخاوف النووية للحرب الباردة مع السوفيت والصينيين. وربما كانت جلسات الاستماع المكارثية وقوائم الستوديوهات السوداء التي سعت الى اجتثاث اعضاء الحزب الشيوعي في هوليوود، كانت اقرارا خلاقا في واشنطن بسطوة الحكائين على الخطاب الأمريكي. كان وجود جواسيس في وزارة الخارجية شيء، ولكن السماح لصانعي الأفلام الموهوبين للوصول الى عقول جمهور سهل التأثر، كان مسألة جادة تماما . وقد هيمنت الجراح التي تسببت فيها جلسات الاستماع تلك وفرقت الآراء في هوليوود على مدى عقود بعدها . كان هذا واضحا بجلاء في الليلة التي منح فيها ايليا كازان المخرج العظيم لفيلم (على جبهة الماء) جائزة فخرية فقد امتنع الجمهور الذي اعتبره مجردا من الاخلاق للإبلاغ عن أسماء أعضاء الحزب الشيوعي المشتبه بهم ، عن التصفيق.

تناولت أفلام مثل (المرشح المنشوري) و(د. سترينج لاف **Strange Love**) البارانويا والمخاوف في تلك الازمنة حين كان أطفال المدارس يختبئون تحت طاولاتهم في تدريبات على الهجوم النووي الذي تصاعد خلال ادارة كندي مع أزمة الصواريخ الكوبية ، وتحدي خروتشيف للوجود الغربي في برلين. وتحكي قصة د. سترينج لاف عن سياسات الحرب الباردة التي كانت تصور كل طرف مجنونا مثل الآخر، وقد أثار فيلم (غزو خاطفي الاجساد) البارانويا في ذلك الوقت. وكانت الكائنات خاطفة الأجساد استعارة للانسان الآلي الشيوعي الذي ينتزع الحرية الشخصية ويخدر الجماهير. وألقى فيلم (على الشاطيء) بطولة جريجوري بيك وآفا جاردنر نظرة مابعد الهولوكوست على حرب نووية

في 1959 كما فعلت فيما بعد الكثير من الافلام مثل (كوكب القرود) 1968 و (اليوم التالي) في 1983 وحتى ترمنيتور -1 وترمنيتور -2 (التسعينيات) والتي كانت تدور ايضا حول قصة حرب مابعد الهولوكوست مع آلات ناجية صنعت على هيئة البشر.

خلال الأيام العصيبة للحرب الباردة حين كان جون كندي مفتونا بهوليوود مثل والده ، اقترح على ارثر كريم الذي كان رئيس الفنانين المتحدين ضرورة تحويل روايات إيان فليمنج عن الجاسوس 007 الى أفلام، للاستعانة ببريق جيمس بوند في الصراع ضد الروس. وكان أيضا في أعقاب أيام كندي الألف، أن نزلت الى دور السينما أفلام جون وين حول البريهات الخضراء (القوات الخاصة) مصورين مكافحة التمرد في غابات آسيا على انها استمرار لحرب أمريكا ضد الفاشية من أجل الحرية. وقد حصل وين على تعاون البنتاغون بالكتابة الى لندون جونسون ، متعللا بأهمية "رواية قصة قواتنا" أراد وين أن يشرح للعالم سبب وجودنا في فيتنام ويفصل بين الحكمة العسكرية وعجز المستشارين المدنيين للرئيس. كانت أفضل طريقة، في رأيه، لمحاربة النقاد اللبراليين هي من خلال الأفلام.

وفيما انفجرت الحركة المناهضة لحرب فيتنام والثقافة المضادة، في سنوات جونسون ونيكسون، هيمنت هوليوود هيمنة واسعة بأفلام مثل (الراكب السهل Easy Rider) التي مجدت تمرد الشباب الكاره للجنوب الجديد وتصاعد غضب الأغلبية الصامتة ضد الثقافة المضادة .

كان الفيلم حلم كل استوديو – لقد ضرب على وتر حساس في أوساط الجمهور ولم يكلف سوى مليون دولار فقط.

ومع شيء من التأخر الثقافي، تبع هذا سينما تنفيس ونقاهة. كما في أفلام تحدثنا عنها مثل "الرؤيا الآن **Apocalypse Now**) و(العودة الى البيت) ومما يذكر أن (صائد الغزلان) و(العودة الى البيت) تنافسا ليس فقط للترشيح للاوسكار– وقد فاز صائد الغزلان بأفضل فيلم وأفضل مخرج وهو مايكل كيمينو، في حين أن (العودة الى البيت) فاز بأفضل ممثلين : جين فوندا وجون فيوجت ولكن ايضا كان تنافسا على الرأي العام.

كان صائد الغزلان يعكس وجهة نظر صقرية شيطنت الفيتناميين في مشهد روليت روسي شهير لم يحدث حقا الا في الفيلم . كان (العودة الى البيت) حول السياسات الحمقاء للأفضل والأذكى التي حطمت حياة الشباب الواعد الذي عاد الى الوطن محاربين قدامى مكسورين يريد الجميع نسيانهم.

صور فيلم ستانلي كوبريك (السترة المعدنية الكاملة **Full Metal Jacket**) نفس العنجهية الساذجة التي عبر عنها فيما بعد جورج دبليو بوش فيما يتعلق بالعراق وهي ان داخل كل فيتنامي هناك أمريكي يحاول الخروج.

رغم أن فيتنام كانت في ذلك الوقت أكثر حرب متلفزة في التاريخ ، وكان لها الأثر في إجبار الرئيس جونسون على التخلي عن المنصب، وترك للحكائين في هوليوود ليشرحوا لجماهيرهم عما يعني كل ذلك في النهاية.

وفيما جهدت هوليوود لعرض المزيد من التاريخ السياسي الحديث ونتائجه على الشاشة ، فإن رد الفعل في السياسة والذي اشعله السخط على الستينيات الفوضوية ، وحرض عليه الاذلال الذي تسببت فيه أزمة الرهائن الإيرانية ، ترافق مع انتخاب رونالد ريغان. لقد وجد عهد استعادة الرجولة والكبرياء الوطنية الأمريكية، رمزه الهوليوودي ليس فقط في وجود ممثل في البيت الأبيض ولكن في أفلام رامبو خصوصا. في الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تشن آخر معارك الحرب الباردة في نيكاراغوا، كان يمكن للمرء أن يجد أفلام فيديو رامبو وملصقاته في محلات تمتد في كل انحاء العالم من القاهرة الى بانكوك.

وبالتأكيد فإن سياسة مناهضة السوفيت في فترة مابعد الانفراج، التي أحياها ريغان وجدت انعكاسا واسعا في هوليوود في أفلام مثل الفجرالاحمر **1984** لجون مليوس وتشك نوريس في فيلم (غزو الولايات المتحدة) **1985** وحتى روكي **1985** حيث لاكم سلفستر ستالوني ملاكما روسيا في هذه الفترة ومع وجود ممثل هوليوودي في البيت الأبيض، استعارت السياسة بعض العناوين الهوليوودية. فقد اكتسب ريتشارد بيرل مستشار ريغان لقب (امير الظلام) وديك تشيني اسم

دارث فادر (**Darth Vader**) وهي اسماء من سلسلة حرب النجوم . كان المحور الرئيسي في فترة ريغان الثانية في الرئاسة هي مبادرة الدفاع الستراتيجية التي اصبحت معروفة باسم (حرب النجوم) .

وبعد وقت طويل في **2006**، حين حلق المزاج على طول نهر البوتوماك، حول حرب العراق ، قال مسئولون كبار في وكالة المخابرات المركزية الامريكية لصحفي واشنطن بوست ، بوب وودوارد "كان الأمر مثل ماكس المجنون هناك" مستوحين فيلما قام فيه ميل جبسون بدور سلاب في صحراء مابعد سفر الرؤيا **Apocalypse** . وكما يحدث غالبا، اصبح الحوار السينمائي جزءا من القاموس الشعبي المتداول. ورغم ان دراما نهاية جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي كان اكثر الاحداث التاريخية اهمية منذ الحرب العالمية الثانية ، ولكن يبدو ، بشكل غريب، انها لم تجد صدى في هوليوود، التي كانت، بمزاج رامبو – قد اختصرت العالم الى أشرار وأخيار. وبدا كتاب السيناريو ضائعين بعد أن اختفى الأشرار.

وتحول تبجح جيمس بوند الماكر لشون كونري الى " بلير السكران" الذي باع في فيلم (منزل روسيا) ليس فقط بلاده ولكن نفاق المجمع العسكري الصناعي الذي لم يكن يتمنى نهاية الحرب الباردة ، مقابل امرأة روسية جميلة وعالم ذرة مصاب بخيبة أمل شديدة، والذي كان ينظر الى التغيير (جلاسنوست) بجدية اكثر مما تنظر اليه وكالات الاستخبارات الغربية المتشائمة.

وقد انتجت سلسلة من أفلام ترجع صدى الحرب الباردة ، بطولة توم كلانس حتى بعد أن تمشى ريغان نفسه مع غورباتشيف في الميدان الأحمر وبدت عوامل تفكك الامبراطورية السوفيتية ظاهرة للعيان. وشملت هذه الأفلام "مطاردة اكتوبر الأحمر" **1990** و "التيار القرمزي" **1995** و "العاب وطنية" **1992** . وتناولت أفلام قليلة مثل فيلم اوليفر ستون (سلفادور) الخلجات الأخيرة لحروب المقاومة **guerilla** في الحرب الباردة في أصقاع العالم.

استمرت تصفية المواجهة الكونية بين الأخيار والأشرار في سنوات بوش الأب الغامضة حين كان غورباتشيف صديقنا، خلال عهد كلينتون حين كانت الأفكار السياسية الوحيدة ، التي يمكن لهوليوود تناولها هي مساخر البيت الأبيض مثل فيلم جاري روس (ديف **Dave**) مع كيفن كلاين وسيجورني ويفر. كيف يمكن ان تكتب دراما عن السياسة الخارجية لإدارة معنية بشكل رئيسي بتعزيز الديمقراطية في دول اوربا الشرقية المحررة الان، والتجارة والوظائف؟ كيف يمكن ان نصنع فيلما (يصلح للمشاهدة الأسرية) (تصنيف **PG13**) يصور مونيكا وهي تمارس الجنس الفموي مع بيل في المكتب البيضاوي؟ في فيلم (هز ذيل الكلب **wag the dog**) بدت السياسة الخارجية – الحرب الكاذبة – وكأنها خدعة لإلهاء الجمهور بقضايا داخلية إشكالية تعمل على إسقاط القوى الموجودة.

تناول حرب الخليج الأولى في عهد بوش الأب فيلمان فقط يجدر الاشارة اليهما، "اكاذيب حقيقية " تمثيل ارنولد شوارزنجر حول اشرار من بلاد الرافدين. و"الملوك الثلاثة" **1999** كان يدور حول قصة عجيبة عن حرب تدار نصفها تحت سحابات من النفط المشتعل في أرض غريبة. وهذا الفيلم كان مثالا رائعا لما يمكن لهوليوود أن تفعله حين تعزم أمرها. كانت حتى أصغر تفاصيل الكتابة على الحائط واللكنات المحلية في العراق، في منتهى الدقة.

ربما كانت حروب البلقان أعقد وأقصر من الناحية التاريخية ، لتستحوذ على انتباه هوليوود أو الجمهور. ماعدا فيلم "خلف خطوط العدو" عن واقعة عزم الجيش على استعادة طيار مفقود. وتحولت افلام جيمس بوند لفترة قصيرة الى البحث عن تهديدات جديدة، في صورة جنرالات روس اشرار يحاولون الإبقاء على توازن الرعب حتى بعد فوات أوانه، ثم تحولت الى أمير أحمر مدلل من كوريا الشمالية . وكذلك تناول فيلم (تفوق بورن) فكرة محاربي الحرب الباردة السابقين الفاسدين الذين يتربحون على حساب الأمن العالمي. وربما ببصيرة عاد فيلم "بيرل هاربور" في عام **2000** الى فكرة الهجوم المباغت على أمريكا البريئة الطيبة التي يشغلها البحث عن السعادة. وبخلاف ذلك فقد انتقلت (سينما المخاطر) الى كوارث العوالم الاخرى او الطبيعة لفترة ، بأفلام مثل "يوم الاستقلال" **1996** الذي يصور هجوما من الفضاء الخارجي. و"التأثير العميق" حول نيزك يتسبب في غرق مانهاتن في البحر. وبشكل ما استطاعت هوليوود اكثر من وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، أن

تتكهن بما يخبئه اسامة بن لادن لأمريكا، في فيلم (كلمة شرف **Debt of honor**) **1995**، تصطدم طائرة **747** بالكونغرس الامريكي حين كان الرئيس يلقي خطابه السنوي وفي فيلم "مجموع كل المخاوف " **2002** الذي عرض في دور السينما بعد **11** سبتمبر ولكنه كا ن قيد الانتاج قبل ذلك بوقت طويل. كان على توم كلانسي ان يغير الارهابيين الفلسطينيين الاصليين في قصته لئلا يؤذي مشاعر العرب في هذه اللحظة الحساسة.

ولم تتجه صناعة الفيلم الى استعادة روتينها حول هذا الصراع الجديد مع الارهابيين الاسلاميين ، مثل "رحلة رقم **93**" و فيلم اوليفر ستون "مركز التجارة العالمي" سعت لوضع **11** سبتمبر في الضمير الأمريكي الجديد كمحنة تحملها الرجل العادي بشجاعة وهو يواجه عدوا لا رحمة ولا غور له.

وبالنظر الى تجربة أفلام مثل "تسليم خاص **Rendition**" أو "محجوب **Redacted**" أو "اسود بصورة حملان **Lions for Lambs** " أو"وادي الصنت **Valley of Elah** " **2007** أو "وقف الخسارة" **2008** ، فإن أرباح شباك التذاكر المتواضعة تشير الى انه ليس هناك الكثير من الامريكيين **من يريد مشاهدة مانشيتات الأخبار في** الأفلام بدون مسافة عاطفية عنها.

مابين عامي **2005** و **2008** كانت احدى التطورات المهمة الجديرة بالملاحظة هي ظهور الأفلام الوثائقية التي تصنعها شخصيات مهمة في

هوليوود لمعالجة مواضيع رئيسية حول الحرب في العراق مثل فيلم "فهرنهايت **9/11**" للمخرج مايكل مور ، الى فيلم ليو ديكابريو "الساعة الحادية عشرة" حول تغير المناخ وطبعا فيلم آل جور "حقيقة مزعجة" والذي انتجه لورنس بينور منتج أفلام كوينتين تارانتينو (اقتل بيل **kill bill**) الجزء الاول والثاني و(رواية إثارة **Pulp Fiction**). وبالتأكيد فيما تتطور هذه الأفلام بتقنيات مصقولة وتشجيع الجمهور، سوف تظل جزءا من المنتج الهوليوودي المؤثر.

وكما سنناقش في فصل تال، الى جانب تجربة **11** سبتمبر ومابعدها، هدرت العولمة مقتحمة هوليوود، كما حدث في كل صناعة أخرى، مما اشاع الاضطراب في الأنماط القديمة للتوزيع والإنتاج مع بزوغ الدمقرطة الرقمية لوسائط الإعلام. –"الكل صانع لفلمه الآن" – جالبة الى الشاشة الكبيرة ، حكايات عالمية جديدة مثل "بابل" بدلا من النصوص التي تركز على الحياة الأمريكية . ومع النمو المضطرد لأهمية الأسواق الخارجية ، تحاول الشركات الأمريكية العملاقة مثل دزني وفوكس وسوني لإعادة وصف نفسها بالعالمية من خلال الشراكة مع الانتاج المحلي في الهند والصين.

ولامفر من أنه بقيام العولمة بتحويل الحكايات التي ترويها هوليوود، سوف تتغير الطريقة التي يرى بها الأمريكيون أنفسهم الى كونهم جزءا متفاعلا من العالم بدلا من كونهم – كما يرى هذا النقد السينمائي الإنتقائي – جزءا معزولا عنه.

سوف تتغير نظرة العالم لأمريكا في المستقبل نتيجة لتسرب العولمة الى وجبات الاعلام الترفيهي المقدمة للجماهير في كل مكان. ولكن لحظة انطلاقهم كانت ما رأوه فعلا قادما من هوليوود في العقود القليلة الماضية – بضمنها ما استطاعت الجهود الرسمية في الدبلوماسية العامة من تحقيقه في مطابقة الصورة المصنوعة مع مصالح السياسة الخارجية الأمريكية ، مقابل المساعدة في توسيع أسواق السينما الأمريكية.

لقد وضعت هوليوود طابعها منذ بداية الأفلام الصامتة ، ولكن التعزيز الثقافي الذي رافق الانتصار على ألمانيا واليابان دعم القوة الأمريكية الاقتصادية والسياسية الطالعة والتي بدورها ساهمت باضطراد في نجاح هوليوود.

في أعقاب تلك الحرب المدمرة ، بزغت أمريكا على القمة . لقد كانت القوة العظيمة ذات النهاية السعيدة . وأصبحت الأفلام الأمريكية الناطقة بالإنجليزية مع ترجمات فرعية مصاحبة أو مدبلجة ، هي النموذج الرائج في بلدان كثيرة . أصبحت اللغة الإنجليزية هي اللسان المشترك. وقد ترجمت هذه الهيمنة على العالم بدورها الى القدرة على توسيع منافذ التوزيع حيث استغلت الحكومة الأمريكية أموال خطة مارشال بسخاء لتوسيع النفوذ اضافة الى أوامر فتح الأسواق لعرض الأفلام الأمريكية في اقتصاديات خائرة القوى في اوربا وآسيا.

واستقر نظام متألق له جاذبية عالمية بفضل دهاء نظام تسويق كان يبيع رسالة التألق والنجاح على الشاشة الفضية لجمهور عالمي يائس متشوق لذلك .

في وصف صورة أمريكا الصاعدة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كتبت مارثا بايلز بأنه " من الصعب رؤية كيف كان يمكن كسب المنافسة على الرأي العام في العالم في تلك السنوات بدون أفلام نابضة ومغرية مثل "الغناء تحت المطر" **1952** أو "على جبهة الماء **On the water front**" **1954** أو "دستة رجال غاضبين " **1967** أو "البعض يحبونها ساخنة" **1959** أو "الشقة" **1960** [39].

بهذا الإدراك، جهدت واشنطن لاستغلال تأثير هوليوود لكسب القلوب والعقول في الخارج اضافة الى تدعيم الرأي الداخلي لصالح أهداف السياسة الخارجية ، وقد تكثفت هذه الجهود مع الحرب الباردة ، ولكن جذورها تمتد بعيدا الى زمن ولادة هوليوود وأول "وزير دعاية" أمريكي في عهد وودرو ولسون . في اللحظات المصيرية، ساعدت الحكومة الامريكية في كسب الأسواق العالمية لصناعة الترفيه الأمريكية مقابل صناعة افلام وموسيقى ذات قيمة دعائية.

في **1917** أسس وودرو ولسون (لجنة المعلومات العامة) لتجنيد مواهب هوليوود الواعدة لصناعة أفلام مثل (الحانة **The Inn**) و(القيصر: وحش برلين) والتي دعمت قضية المشاركة في الحرب. وكان

---

[39] Bayles, M. “Goodwill Hunting” *The Wilson Quarterly*, Summer 2005

رئيس اللجنة ، جورج كريل **Creel** يؤمن صراحة بأن أفلام هوليوود يمكنها أن "تحمل انجيل الأمركة الى كل زاوية من كوكب الأرض" 40 . ورغم أن اللجنة قد أغلقت بعد الحرب العالمية الأولى ، فإن واشنطن كافأت هوليوود بفتح أسواق لإفلامها ، قسرا، في اوربا التي دمرتها الحرب. وأحد الأسباب هي انه بحلول العشرينيات من القرن الماضي، كانت الأفلام الأمريكية تشكل **35%** من العوائد الخارجية. وبحلول **1925** استولت الأفلام الأمريكية على **70%** من السوق الفرنسية 41

أحيت الحرب العالمية الثانية الرابطة بين جهود الحرب في واشنطن وقدرات هوليوود الإقناعية بالأفلام المناهضة للفاشية والتي تتراوح بين "لماذا نحارب" للمخرج فرانك كابرا الى أفلام اخوان وارنر "اعترافات جاسوس نازي" و "مهمة في موسكو" . ورغم ان واشنطن كانت معنية بشكل رئيسي بتحريك الأمريكيين لمساندة الحرب ، فإن وزارة الخارجية أدركت سريعا قيمة الأفلام الأمريكية في كسب القلوب والعقول في المناطق المتنازع عليها ، مع انتهاء الحرب. كان (مكتب معلومات الحرب) التابع لروزفلت يرسل الأفلام والكوكاكولا ليكسب ود السكان المحررين، في فرنسا وايطاليا، الى جانب المعسكر الأمريكي.

وكما حدث بعد الحرب العالمية الأولى ، جاءت مكافأة هوليوود مرة اخرى بشكل الوصول الأكبر الى أسواق جديدة في عالم دمرت الحرب

[40] Bayles, M. "*The Ugly Americans: How Not to Lose the Global Culture War*" AEI Online, Dec. 4, 2006
[41] Bayles, M. "*The Ugly Americans: How Not to Lose the Global Culture War*" AEI Online, Dec. 4, 2006

فيه، ثقافاته المحلية. وكما سرد ريتشارد بيلس **Pells** في كتابه (ليس مثلنا **Not Like Us**)، كان أحد أول التشريعات الهادفة لمساعدة هوليوود على إحراز حضور في أوربا بعد الحرب "برنامج ضمان الميديا المعلوماتية " لعام **1948**. **(Informational Media Guarantee Program" IMGP)** والذي بموجبه ضمنت الحكومة الأمريكية تعويض ستوديوهات هوليوود بالدولار، عن أرباحهم الأوربية بالعملات غير القابلة للتحويل.

في مقايضة هذه الصفقة حسب بيلس، هو أن وزارة الخارجية أرادت من هوليوود انتاج أفلام تعكس صورة جيدة عن أمريكا، "بعصابات أقل، وعنف أقل، وانطباع ايجابي عن الأمريكيين". وعلى الأخص لم تكن الوزارة ترغب بأية أفلام يمكن أن تغذي الانتقاد الشيوعي للرأسمالية الأمريكية مثل "عناقيد الغضب" الذي وافقت (رابطة السينما **Motion Picture Association**) ان تسحبه من التصدير . ومع ذلك ، يقول بيلس أن افلاما مشابهة في تصويرها السلبي للحياة الأمريكية، على الأقل في تلك الأوقات البريئة استطاعت النفاذ الى الأسواق الخارجية و منها "تعويض مزدوج **Double Indemnity**" و"شارع الغروب "**Sunset blvd)** و "كل شيء عن حواء" و "في عز الظهر" و "على جبهة الماء" و "ثائر بدون قضية" و "شرق عدن" و"سايكو" و "روعة العشب **Splendor in the grass**" وغيرها.

وقد عبرت مذكرة لوزارة الخارجية في **1948** عن الحماسة الطارئة على واشنطن لاستغلال تأثير هوليوود على الجماهير في الخارج بدلا من الداخل "الصورة المتحركة الأمريكية سفيرة نوايا حسنة، تعكس طريقة الحياة الأمريكية لكل شعوب العالم ، وقد تكون من وجهة النظر السياسية والثقافية والتجارية لا تقدر بثمن"42

ومع فتح أسواق خارجية للأفلام والثقافة الجماهيرية الأمريكية عموما، بلغ اندماج الدبلوماسية العامة مع الثقافة الجماهيرية الأمريكية ذروته في **1953** حين أنشأت الولايات المتحدة (وكالة المعلومات) في الوقت الذي تتصاعد فيه سخونة الحرب الباردة . مجتمع المخابرات يدخل الحلبة الآن.

حسب السرد التاريخي الذي كتبه هيو وليفورد لجهود السي آي أي **CIA** السرية للتأثير على الرأي العام في كتابه (أرغن المسرح **the Mighty Wurlitzer**) (وهو نوع من الأدوات الموسيقية الضخمة التي كانت تصنعها شركة ورلتزر الأمريكية ،واستخدمه الكاتب عنوانا لكتابه مع عنوان فرعي : كيف عزفت السي آي أي على أمريكا– المترجمة)43

تأسس مشروع (الحرية المحاربة **Militant Liberty**) في **1954** كجهد دعائي تشترك فيه عدة وكالات يهدف لاستخدام الأفلام

[42] Bayles, M. "Goodwill Hunting" *The Wilson Quarterly*, Summer 2005
[43] Wilford, H. (2008) *The Mighty Wurlitzer: How the CIA Played America.* Harvard University Press, pp. 116-17

كوسائل "لزرع قيم ديمقراطية على الطراز الأمريكي في الثقافات الأجنبية خاصة في الميادين الجديدة للحرب الباردة مثل امريكا اللاتينية والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا" وكانت ثمة مجموعة غير رسمية تسمى "كونسورتيوم هوليوود" هي التي تقدم الاستشارة للمشروع . من بين هؤلاء كان المخرج جون فورد والممثل جون وين وسيسيل دي ميل ومدير ستوديو فوكس للقرن العشرين داريل زانوك . ويقول ايريك جونستون خبير التسويق الخارجي حول هدف المجموعة " نحتاج ضمان قيام أفلامنا بعمل طيب في صالح أمتنا وصناعتنا" 44

خلال نفس الفترة ، وحسب ويلفورد، لم تسع ورشة الحرب النفسية في السي آي أي في زرع "الأفكار الصحيحة " في نصوص هوليوود فقط وانما بادرت بخلق مشاريع بضمنها نسخة كارتون من رواية "مزرعة الحيوانات" لكاتبها جورج اورويل تحت مسمى شركة واجهة باسم (**Touchstone** المحك) ومن بين التدخلات الأكثر صفاقة كان اقتراح بتغيير نهاية قصة اورويل حيث تواجه الخنازير والكلاب انتفاضة تحررية من بقية الحيوانات – وهي ستراتيجية تعكس خطط وكالات الاستخبارات الأمريكية في ذلك الوقت لقلب أنظمة الحكم الشيوعية في أوربا الشرقية.

ويقول ويلفورد أن وكالة المخابرات المركزية كان لديها فعلا عنصر مزروع في ستوديوهات بارامونت في هوليوود لمحاولة الحفاظ على مواكبة

[44] Wilford, H. (2008) *The Mighty Wurlitzer: How the CIA Played America.* Harvard University Press, pp. 117-18

النصوص مع أهداف السياسة الخارجية الأمريكية ، مثلا نصح بأن "معالجة النساء المسلمات" في الفيلم الكوميدي "نقود من الوطن" للممثلين جيري لويس ودين مارتن ، قد تسبب رد فعل سلبي في العالم الإسلامي. كما أشارالعنصر بأن الفيلم الذي ينوي بيلي وايلدر اخراجه حول طفل ياباني غير شرعي لجندي أمريكي "سيكون دعاية رائعة للشيوعيين"45

وطبقا للتحقيق الأصلي الذي قام به ديفد ايلدرج والذي اشار اليه ويلفورد، فقد اتضح أن عنصر السي آي أي في بارامونت كان لويجي جي لوراشي **Luigi G. Luraschi** أحد مديري بارامونت ورئيس الرقابة الخارجية والداخلية في الستوديو وكان وصف وظيفته هو "معالجة أي مشكلة سياسية او اخلاقية او دينية والتخلص من المحرمات التي يمكن ان تمنع عرض الأفلام الأمريكية في فرنسا أو الهند مثلا"46

وهناك مديرون آخرون كما يبدو في الستوديوهات الأخرى يتولون أعمال الرقابة الذاتية.

وحين شكلت رابطة السينما في أمريكا لجنة دولية في أواخر خمسينيات القرن الماضي ، كان على رأسها لوراشي.

---

[45] Wilford, H. (2008) *The Mighty Wurlitzer: How the CIA Played America.* Harvard University Press, pp. 120

[46] Eldrige, D. (2000) “Dear Owen: The CIA, Luigi Luraschi and Hollywood, 1953” *Historical Journal of the Film, Radio and Television* vol. 20, no.2

بحلول **1955** تجاوزت الدبلوماسية الثقافية الأفلام لتشمل الموسيقى . ومما يذكر في هذا المجال أن "صوت أمريكا" وهي قسم من أقسام وكالة المعلومات الأمريكية **USIA** ، روجت لموسيقى الجاز (موسيقى الحرية) لمستمعيها البالغ عددهم **100** مليون في انحاء العالم ، و**30** مليون منهم في الكتلة السوفيتية. وإذا كان الروائي الروسي فاسيلي اكسونوف ، مرشدنا ، فقد كان لإذاعة تلك الموسيقى تأثيرها المطلوب. وقد قال اكسونوف فيما بعد أن تلك الموسيقى كانت "سلاح أمريكا السري رقم واحد الذي كان يلقي بألقه الذهبي على الأفق" 47

ومهما كان تنسيق (هوليوود – واشنطن) للدعاية الأمريكية في العالم واعدا بالنجاح ، فقد تشظى هذا الأمل بتقصي جوزف مكارثي عن الشيوعين بين كتاب السيناريو وصناع السينما الذين شك في انهم يستخدمون قوى الإقناع السينمائي لتهديد الأمن القومي.

في الستينيات حاول جون كنيدي أن يعيد إحياء الدبلوماسية العامة حين طلب من الصحفي الشهير ادوارد مورو **Edward R. Murrow** أن يرأس وكالة المعلومات، وكانت في حينها وكالة مركبة تشمل "صوت أمريكا" و "موشن بيكتشر **Motion Picture**) وعملية صحفية لها عناصرها في **125** دولة. وجيء لمساعدته بالكاتب والمنتج جورج ستيفنز جونيور الذي أسس فيما بعد (معهد الفيلم الأمريكي) . وقد تحولت جهودهما المثيرة للاعجاب في تلك السنوات الى

[47] Bayles, M. “Goodwill Hunting” *The Wilson Quarterly*, Summer 2005

خيبة أمل الجمهور العريض بحلول عام **1967** حين انكشف تورط السي آي أي في تمويل الكونغرس من أجل (الحرية الثقافية) التي ترجع الى ماقبل زمن كندي واستمرت خلال رئاسته. وكانت فكرة الكونغرس هي تجميع كوكبة من الكتاب والفنانين الكبار لبناء إجماع على قيم الغرب الليبرالي ضد الشيوعية على الطراز السوفيتي. وقد أطار بمصداقيتها تماما، هذا التمويل السري، من أحد الأذرع المباشرة للسياسة الخارجية الأمريكية

ولكن مع انهيار الدبلوماسية الثقافية الرسمية ، انفجرت ثقافة البوب الأمريكية بدون أية مساعدة من الحكومة ، بل انتشرت مع ثورة الشباب العالمية . ومع انه في واقعة واحدة فكرت وكالة المعلومات الامريكية بجمع جوان بايز وفرقة فتيان الشاطيء **Beach Boys** و سانتانا لإقامة حفلة روك في لينينغراد برعايتهم ، ولكن ذلك لم يتحقق. ومع ذلك لم يقلل فقدان الرعاية الرسمية للروك آند رول من تأثير أمثال فرانك زابّا **Zappa** على ثوار الكتلة الشرقية مثل فاكلاف هافل.

ولكن ، حين كانت القوة السوفيتية تلفظ أنفاسها الأخيرة ، قرر رونالد ريغان والذي كان يؤمن من خلال الخبرة بقوة الصور والمعلومات ، إعادة تعزيز وكالة المعلومات الأمريكية بتعيين صديقه كلارك ويك **Wick** ، ونفخ الميزانية الى **882** مليون دولار وهو أعلى رقم . كان هناك بعض النجاحات المذكورة بضمنها "لتكن بولندا بولندا **Let Poland be Poland**) وهو برنامج تلفزيوني ظهر فيه فرانك

سيناترا وشارلتون هيستون لدعم استقلال بولندا، وقد قدم البرنامج مساعدة وغوثا لحركة التضامن ، ولكن بسبب ضيق الأفق الآيولوجي لدى ويك ، فإن ذلك ايضا انتهى الى لا شيء. وقد دفعه الخوف حتى من أن يقدم المذيع المهذب والتر كرونكايت – بمعارضته التحشيد العسكري الأمريكي – العون للعدو السوفيتي ، الى قيام ويك بمنع جولة أحاديث برعاية وكالة المعلومات الأمريكية للمذيع المعروف.

مع نهاية الحرب الباردة ، ضمت ادارة كلنتون وكالةالمعلومات الى وزارة الخارجية بعد أن افترضت انتصار الغرب في معركة الأفكار . وبين **1993** و **2001** وطبقا لمجلس العلاقات الخارجية ، خفضت ميزانية التبادل التربوي والمكتبات وجولات الكتّاب والترجمة بمقدار الثلث: من **349** مليون دولار الى **232** مليون دولار48 ، وبازدياد الاهتمام بشكل كبير على التجارة، ركزت ادارة كلنتون على حماية الملكية الفكرية وفتح اسواق جديدة لمنتجات هوليوود ، معززة بالجهود النشيطة التي بذلها جاك فالينتي رئيس رابطة السينما ، وكان خبيرا بأساليب واشنطن من أيام اشغاله منصب كبير مستشاري الرئيس ليندون جونسون.

وقد سقط افتراض الانتصار في معركة الأفكار سريعا في أعقاب **11** سبتمبر حين شن الرئيس جورج بوش معركة القلوب والعقول ضد الاسلام الأصولي اولا بتعيين مديرة الدعاية شارلوت بيرز **Peers** ثم

[48] Bayles, M. "*The Ugly Americans: How Not to Lose the Global Culture War*" AEI Online, Dec. 4, 2006

تعيين موضع ثقته لفترة طويلة كارين هيوز رئيسة لمكتب الدبلوماسية العامة والشئون العامة داخل وزارة الخارجية.

وفي محاولة لوأد مصادر العداء الإسلامي ، استهدف الجهد أولا توضيح المواقف الأمريكية للعالم الإسلامي يحدوهم الاعتقاد بأن المسلمين لو فهمونا فقط فلن يكرهوننا . حتى أن كارل روف جاء الى هوليوود لمناشدة العون من منتجي السينما والتلفزيون. ولكن خشية من أن يصطفوا الى جانب جورج بوش ثم يجدوا أنهم بنفس جهل واشنطن حول كيفية التواصل مع العالم الإسلامي ، رفض معظم المنتجين في هوليوود ثم تجاهلوا الفكرة تماما حين غيّر الإنزلاق الى الحرب في العراق، الأجندة.

(ملاحظة: جورج بوش عين كارين هيوز بمنصب وكيلة وزارة الخارجية لشئون الدبلوماسية العامة في **2005**، أي بعد غزو واحتلال العراق، وليس كما يفهم من النص ان التعيين كان قبل ذلك – المترجمة)

ولكن مع ذلك فقد حاول البعض ، مثلا توم باتيز **Pattiz** رئيس شبكة اذاعة ويستوود وان **Westwood one** القوية ، وهو عضو سابق في هيئة إذاعة المحافظين الأمريكية **US Broadcasting Board of Governors** وهي هيئة مستقلة حلت محل الذراع الإذاعي للوكالة الأمريكية للمعلومات، وساعد في إقامة راديو سوا في **2001** كوسيلة لتسويق حسن النوايا الأمريكية في العالم العربي من خلال نشر الموسيقى الأمريكية الشعبية . كما ساعد باتيز ايضا في انشاء فضائية (الحرة) الناطقة بالعربية والممولة أمريكيا، وتغطي **22** دولة في

الشرق الأوسط وتصل الى 30 مليون مشاهد من 350 مليون نسمة وقد أثبتت الأبحاث ان 70% من الجمهور يرى أن الاخبار لها مصداقية ويمكن الاعتماد عليها، رغم ان هؤلاء كانوا من المؤهلين – اصلا في المقام الأول – لدعم الولايات المتحدة ، مقارنة بمشاهدي وسائل الإعلام المحلية مثل الجزيرة والعربية.

كانت مهمة (الحرة) تقديم نموذج للاعلام الحر في التراث الأمريكي. في النهاية على أية حال، اعتبرت القناة فاشلة لأنه لايمكن أي قدر من بث حسن النية ان يغير فكر أي شخص طالما كان معظم العرب يرون في مايحدث في العراق احتلالا (من وجهة نظرهم) واستمرار الدعم غير المتوازن لاسرائيل باعتباره جوهر السياسية الأمريكية . وهكذا فإن أغلبية العرب اعتبروا ماتبثه (الحرة) من قبيل الدعاية.

وفي نهاية الأمر، فإن الدبلوماسية العامة او الثقافية التي مهدت للتأثير على الجمهور الأجنبي حققت أعظم انجازاتها (رغم ضآلتها) من خلال (صوت أمريكا) خلال الحرب الباردة، وفي مناطق كانت أفلام هوليوود أو الثقافة الشعبية الأمريكية لا تصل اليها بسبب الرقابة او انقطاع السبل للوصول الى الأسواق.

ولكن مع انفتاح العالم في الستينيات ومع اجتياح مختلف الثورات المعلوماتية والثقافية العالم ، انتشرت الأفلام والموسيقى الأمريكية انتشارا واسعا سرق الضوء نهائيا من المؤسسات الرسمية للدبلوماسية العامة.

والآن في عيون واشنطن الرسمية ، اصبحت "الثقافة" مرة اخرى كما في سنوات كلينتون، مجرد بضاعة للترويج عن مزيج من المنتجات الأمريكية التي تباع في الخارج، في السعي المحموم من أجل فتح أسواق جديدة. وكما قال دان جليكمان **Gleckman** رئيس رابطة السينما في **2008** : إن بعض الدول تحاول أن تمنع تصدير الأفلام الأمريكية – "التدفق الحر للمعلومات" باسم التنوع الثقافي ، مما يذكره بالوقت الذي كان فيه وزيرا للزراعة في عهد بيل كلنتون حين برزت مناهضة "الغذاء المعدل جينيا" على أساس انه ثقافة أجنبية ، واصفا ذلك بقوله "شوهد من قبل **Déjà vu**)

في أحسن صورها وأسوأها فإن قصة أمريكا ، كما أوجزناها في هذا الفصل، عرفها العالم هكذا من خلال مشاريع هوليوود وليس كما سعت الدبلوماسية العامة لوزارة الخارجية ان تصورها.

وقد قالت كاميلة باجليا **Camille Paglia** ، مرة ، "في المنظور الطويل لتاريخ الثقافة الممتد من الماضي السحيق الى اليونانيين ، سوف تظل هوليوود في الأذهان باعتبارها أهم ما قدمته أمريكا للعالم في القرن العشرين" . والسؤال هو : ماذا قدمت بالضبط ؟

الفصل الخامس

هوليوود تهزم الجيش الأحمر:

ذروة الجاذبية الثقافية الأمريكية

في يوم ربيعي من عام **1986** ، تقاطرت مجموعة من محللي السي آي أي بشيء من العجالة على صالة اجتماعات في مقر الوكالة الآمن في لانجلي. وكان قد استدعاهم واحد أو أكثر من المسئولين بعيدي النظر من مجلس الاستخبارات القومي لمناقشة معلومات مفتوحة المصدر جديدة كانت تقلل من شأن الافتراضات الرئيسية عن الاتحاد السوفيتي.

كان ذلك في الفترة الأولى من عهد ريغان وكان الذين يشغلون المناصب العليا في البنتاغون ووكالات الاستخبارات من المؤمنين بشدة بمهامهم والذين كانوا يشعرون أن عصر الردع قد منح الإمبراطورية الشريرة اليد الطولى ، ولن يكبح السوفيت سوى تحشيد عسكري جديد.

في هذا الضوء، كان عرض الموضوع مفاجئا. كان ريجيه دبريه **Regis Debray** أحد أشهر المتطرفين في العالم، وشريك في الثورة الكونية ، وصديق قديم لفيدل وتشي وسلفادور الليندي، اضافة الى انه كان كبير مستشاري الرئيس الفرنسي الاشتراكي فرانسوا ميتران ، قد صرح علنا بما كان يضمره لفترة طويلة " هناك قوة في فيديو موسيقى الروك، والأفلام وبنطلونات الجينز الزرقاء ، والوجبات السريعة ، وشبكات الأخبار والفضائيات أكبر من الجيش الأحمر برمته"49

[49] "The Third World: From Kalashnikovs to God and Computers" Interview with Nathan Gardels. New *Perspectives Quarterly*, (Spring 1986) vol. 3, no. 1 pp.25-8

سأل المحللون بعضهم البعض "هل يمكن ان يكون دبريه على حق؟ هل فاتنا شيء؟"

بالتأكيد فاتهم شيء، وكان دبريه مصيبا. في خلال خمس سنوات انهار الإتحاد السوفيتي. وأثناء الحدث، أكد مازح روسي وجهة نظر دبريه بقوله "الروك آند رول كان الديناميت الثقافي الذي فجر الستارة الحديدية"[50]

طبعا كان من الأسباب المهمة للانهيار : السياسات السوفيتية الداخلية بضمنها سياسات غورباتشيف المسماة بيرويسترويكا وغلاسنوست، وسنوات الإحتواء من قبل الناتو، وتوزان الرعب النووي مع الولايات المتحدة ، وتأثير الاستنزاف من حرب أفغانستان. ولكن شرعية النظام السوفيتي كانت قد تلاشت على مرّ العقود بالتعرض المستمر للحريات في الغرب بضمنها وقع طبول الثقافة الأمريكية الجماهيرية ولجوء الصفوة الثقافية الى الغرب، وفي كل مرة يهرب واحد مثل ميخائيل بارينشكوف او رودلف نورييف او فلادسلاف روستروبوفيتش الى الغرب، كان مثل ضربة ضد النظام . لقد لعبت القوة الناعمة دورا مهما في هزيمة القوة الخشنة .

ربما كانت اللحظة التي وصفها دبريه قبل خمس سنوات من نهاية الحرب الباردة، مؤشرا على أوج صعود تأثير الثقافة الجماهيرية الأمريكية عالميا.

[50] Bayles,M. “Good Hunting” *The Wilson Quarterly*, Summer 2005

كانت أحلام أمريكا : الحرية الفردية ، رفاهية الطبقة المتوسطة، الحراك الإجتماعي ، حكم القانون – هي الى حد كبير في ذلك الوقت ، أحلام العالم.

وحتى داخل الكتلة السوفيتية ، كانت أمريكا ، من خلال ثقافة البوب، هي المنارة الأسطورية التي تتطلع اليها الجماهير في كل مكان. وقد يكون نيكسون خسر أول مناظرة تلفزيونية مع جون كندي ولكنه بالتأكيد فاق خروتشيف في نقاش المطبخ المشهور مع القائد السوفيتي حول مستوى المعيشة. بيبسي كولا، سجائر مارلبرورو، ألفيس ، الجاز، ثم الروك، وحزمة الفئران **Rat Pack** (هم مجموعة الممثلين الذين ظهروا معا في أفلام مشتركة في الستينيات : فرانك سيناترا وسامي ديفز وبيتر لوفورد – المترجمة) وسيارة فورد موديل ثندربرد ، وفيلم "ذهب مع الريح" كل ذلك اكتسح المنافسة.

كان من السهل العثور على شواهد لعصف هوليوود بالقلوب والعقول في الخمسينيات والستينيات. وكما ذكر مارشال ماكلوهان **Mcluhan** في كتابه المهم (فهم الميديا **Understanding Media**) : في عصر يوم صيفي قائظ ، من عام **1956**، اخترق مجموعة من مديري هوليوود شوارع جاكارتا الضيقة والمزدحمة بالأكواخ الآيلة للسقوط. كانوا في طريقهم الى القصر الرئاسي حيث دعاهم سوكارنو لمناقشة مستقبل آسيا. كانت فيتنام تزداد حرارة وكانت شبه الجزيرة الملاوية تضطرم بالتمرد ضد البريطانيين.

حين وصل رؤساء السينما وجلسوا في نصف دائرة من المقاعد الوثيرة، بدأ بطل عدم الإنحياز في العالم الثالث بإسلوب جذاب "اعتبركم أصوليين سياسيين وثوريين ، ساهمتم في الإسراع بالتغيير السياسي في الشرق" لقد بدا وكأنه يوبخهم " مايراه الشرق في أفلام هوليوود هو عالم يمتلك فيه الناس العاديون سيارات ومواقد كهربائية وثلاجات. وهكذا فإن الشرقي يعتبر نفسه شخصا عاديا حرم من حقوق الرجل العادي"

كان من الواضح أن سوكارنو يفهم مزاج الناس. وعبر مضايق سنغافورة، كان كيشور محبوباني، قد عاش، وهو شاب، ماوصفه سوكارنو، كما سجل في أحدث كتبه (نصف الكرة الأرضية الآسيوي الجديد):

"مازلت أتذكر أني في طفولتي كنت اتفرج على استعراضات مثل – احب لوسي– وابنائي الثلاثة – في التلفزيون . وكان لها تأثير عميق في نفسي. لم أكن اشاهدها من أجل الأحداث فيها، بل كنت أشاهد بدهشة والتلفزيون يعرض مشاهد صف وراء صف من منازل الضواحي ، ولكل منزل حديقة ومسار للسيارة . كل المنازل فيها ثلاجات وتلفزيونات وهواتف وغسالات (لم اكن اسمع عنها) . وبشيء أشبه بالمعجزة كان في كل بيت سيارة او اثنتان . كانت تلك المشاهد التي تناقض تماما ظروف حياتي – وكنا قد ركّبنا لتونا دورة مياه فوارة– تقدم لي رؤية لما يمكن ان يكون عليه العالم المثالي" 51

[51] Mahbubani, K. (2008) *The New Asian Hemesphere: The Irrestible Shift of Global Power to the East*. PublicAffairs.

وفي عالم بعيد مختلف، كان الشاب كونستانتين كوستا – غافراس ، الذي سيقدم فيها بعد أفلاما رائدة مثل زد Z الذي يؤرخ للإطاحة بالحكومة الديمقراطية في اليونان، يتعرض لذات التأثير وهو يتشرب مشاهد من هوليوود النائية في دور عرض محلية في أثينا. يقول "أفضل الأفلام السياسية التي شاهدتها في حياتي كانت أفلام استر وليامز التي كنت أحبها وأنا صبي صغير. كانت جميلة وكان لديها أكبر سيارة وأفخم سجادة رأيتها في حياتي. كان كل شخص يبدو رائعا. كانت هذه أمريكا"52

وبنفس الطريقة، شغلت الأفلام الأمريكية مخيلة الأجيال اللاحقة.

بعد عقود على المقابلة مع سوكارنو ، كان طلسم هوليوود مازال يمارس سحره على قلوب وعقول الجمهور العالمي. في مذكرات رحلاته الباهرة في أواخر الثمانينيات (ليلة الفيديو في كاتامندو) يصف بيكو آير Pico Iyer مشهدا دفع فيه قرويون عدة روبيات للتحلق حول واحد من أجهزة فيديو بعدد أصابع اليد الواحدة في المملكة لمشاهدة تقليد هندي سيء لحركات مايكل جاكسون في فيلم (قصة مثيرة Thriller)، متوغلين بذلك في بريق قصي لعالم ليس عالمهم . كما يصف كيف أن مليون صبيا تسابقوا لرؤية رامبو في فيلم (الدم الأول First Blood) خلال عشرة أيام من عرضه الأول، وقد دفع بعضهم سبعة أضعاف سعر التذكرة الرسمي للسماسرة.

---

52 Gardels, N. (ed) (1997) “Resisting the Colonels of Disney” Interview with Nathan Gardels, in The *Changing Global Order.* Blacwell, p.231

في **1998** وجد الصحفي اورفيل شيل **Orville Schell** نفس الظاهرة في (الموقع المزيف : هملايا **Faux location: Himalayas**) حين تبع براد بت في جولته في أرجاء جبال الأنديز بالأرجنتين حيث كان يجري تمثيل فيلم "سبع سنوات في التبت"

يقول شيل"عادة ، مندوزا هي منطقة ريفية هادئة ونائية، تدور حياتها حول التعدين وحقول العنب. ولكن اليوم المدينة كلها في حالة جيشان بسبب "بريد بييت" . كان فيلمه (سبع سنوات في التبت) يعرض هنا وحين وصل "بريد" نفسه الى البلاد كان كأنه الدلاي لاما ظهر مرة أخرى بدون توقع في التبت. طاردته مجموعة من المراهقات في أروقة المطار" وقالت شابة طويلة الساقين تعمل نادلة في مقهى وسط المدينة للصحفي شيل "المكان كله تجنن" ويلخص شيل وقائع ماحدث "حتى هنا في ريف الأرجنتين ، يشعر المرء بالقوة الوحشية لصناعة الترفيه الأمريكية وهي تشع عبر العالم من أرض هوليوود، مثل موجات صاعقة من مركز الإنفجار.. من "لهاسا" الى "لاجوس" و"منسك الى مندوزا" كان براد بت أكثر جاذبية وحضورا للناس العاديين من أي رئيس دولة، وكان تواصله العالمي في مثل اتساع تواصل الحكومة الأمريكية وجيشها مجتمعين" 53

"تجننوا"(يعيد الكاتب استخدام التعبير العامي الذي استخدمته النادلة آنفا لوصف حالة المكان – المترجمة) مثل المراهقات الأرجنتينيات هو

---

[53] "The Third World: From Kalashnikovs to God and Computers" Interview with Nathan Gardels. New *Perspectives Quarterly*, (Spring 1986) vol. 3, no. 1 pp.25-8

الوصف المناسب لتدافع الصناعيين الأوربيين الوقورين في دافوس، متعثرين ببعضهم البعض وهم يحاولون التقاط صورة مع شارون ستون أو انجلينا جولي أينما شرفتا صفوة أصحاب الشركات العالمية بحضورهما.

حتى العائلات المالكة ليست محصنة. حين زار الملك حسين والملكة نور لوس انجيليس في **1994** قام مضيف العائلة الملكية ، ستانلي شاينبوم بدعوة صفوة هوليوود: هاريسون فورد كان موجودا وباربرا سترايسند، وكذلك أرنولد شوارزنجر من بين آخرين. كانوا قادمين لرؤية ملك حقيقي يقود طائرات مروحية ويشارك في حروب. ولكن كان أطفال الملك حسين هم المتحمسون والمأخوذون بصدمة رؤية النجوم. كانوا يقابلون الملوك المعاصرين : نجوم هوليوود! والملك الحالي للأردن عبد الله الثاني من شدة إعجابه بمسلسل ستار تريك ، ظهر في دور ثانوي في احدى حلقاته (رحالة ستار تريك **Star Trek Voyager**) 54

في أبريل **2006** قدم ثنائي "برانجلينا" (براد بت وزوجته انجلينا جولي) أملا جديدا لقارة أفريقيا المسحوقة التي تقاسي مصيرا أتعس من الإمبريالية . وكما كتبت صحيفة واشنطن بوست، مقتبسة عن سفير لاهث أن مسئولين من ناميبيا يأملون أن يترجم الصخب الإعلامي بزيارة نجمة هوليوود الحامل انجلينا جولي ورفيقها براد بت الى تسابق سياحي الى

[54] http://Memory-alpha.org/en/wiki/abdullah_ibn_al-Hussein

البلاد الأفريقية المشهورة فيما عدا ذلك بالكثبان الرملية العملاقة والمساحات الجرداء الشاسعة55 .

يستذكر المغامر الإسترالي بول رافايل عودته في أوائل التسعينيات لزيارة تمبكتو رمز العزلة الجغرافية النائية بعد سنوات عديدة، أجل ، مازال مشهد البدو وهم يسوقون الحمير الى السوق كما يحدث منذ قرون. ولكن كان هناك ايضا مشهد حشود من المراهقين يرتدون قمصانا عليها اسم وشعار فريق لوس انجيليس "ليكرز" ويقلدون حركات الراب التي شاهدوها في قناة إم تي في، منذ وصول الفضائيات! تمبكتو !!

وتستمر القائمة بطريقة مثيرة للدهشة . كان الفيلم المفضل لدى جمال عبد الناصر هو فيلم فرانك كابرا "انها حياة رائعة **It's a wonderful life**" وفيها يساعد ملاك سيدة أعمال عاطفية ولكنها محبطة بأن يريها كيف ستكون الحياة بدونه 56.

وقد انتشر في أنحاء هوليوود أن الرئيس الكوري الشمالي كيم يونج ايل كان قد حاول فعلا الحصول على دور في أفلام جيمس بوند. وكانت كيانج جينك زوجة ماوتسي تونج تشاهد بانتظام الأفلام الأمريكية في منزلها الخاص حتى حين كانت الثورة الثقافية التي قادتها ضد التلوث الغربي تجلجل في انحاء الصين. فيدل كان متحمسا للمخرج فرانسيس فورد كوبولا بسبب فيلمه (العراب) وطبقا للكاتب لورنس رايت في

[55] Hannon, E. “Brangelina” Namibia’s Biggest Game” *Washington Post*. May 28, 2006

[56] Zakaria, F. (2008) The Post American World. W.W. Norton

كتابه "البرج المهيمن **"Looming Tower**" أن البرنامج الذي كان يفضله أسامة بن لادن الطفل أثناء نشأته في السعودية هو "بونانزا" نفس البرنامج الذي كنا نشاهده كل ليلة أحد، والذي يدور حول والد وأبنائه الذين يقومون بفعل مشرف باستقلالية فظة حين تجابههم مشاكل الحياة في (مزرعتهم الحدودية) .

من الواضح أن بعضا من جاذبية هوليوود الهائلة هي الهوس المحض او الوله بالنجم، حسب الحالة اذا كانت مثل رجال أعمال دافوس أو مراهقات الأرجنيتن. ولكن الكثير من تلك الجاذبية هي بدون شك جاذبية اسلوب الحياة الأمريكية التي ترشح، وعادة بدون قصد، من كل أفلامنا وموسيقانا البوب. والإثنان معا بالنسبة للكثيرين بدون شك. ولم يكن مايكل آيزنر من شركة دزني بعيدا عن الواقع حين قال في **1995** بأن "جدار برلين لم يسقط بقوة الأيدي وانما بقوة الأفكار الغربية وماذا كان جهاز توصيل تلك الأفكار؟ ينبغي الإعتراف بأن ذلك يرجع بدرجة مهمة الى الترفيه الأمريكي، حيث يكمن في أفضل وأسوأ أفلامنا وبرامجنا التلفزيونية والكتب والتسجيلات ، احساس بالحرية الفردية ونوع الحياة التي يمكن أن تأتي بها الحرية. انها في أفلام ستيفن سبيلبيرغ وفي هزل بيل كوسبي وفي موسيقى مادونا" 57

مهما كانت النتائج الثقافية السلبية للستينيات والتي ستظهر بعد عقود لاحقة ، فإن انفجار الحرية في أوساط الكثير من الناس من بيركلي الى

[57] Gardels,N. (ed) (1997) “Planetized Entertainment” Interview with Nathan Gardels, in *The Changing Global Order*.Blackwell, p.228

باريس اضافة الى ثقافة الجنس والمخدرات والروك آند رول ، لقيت استجابة واسعة بين الشباب المحروم في كل مكان في سنوات انفجار الحضور الإعلامي عالميا. في تلك اللحظة ، كان انتشار ثقافة البوب الأمريكية عالميا أقل مدعاة للقلق من الانتفاضات المميتة لمجتمعات مغلقة في شهقاتها الأخيرة. هل كان هناك أي شك في أن "الموتى المتنين **The Grateful Dead**" كانوا مفضلين على الغربان المحنطين في المكتب السياسية للجنة التنفيذية للحزب الشيوعي؟ (الموتى الممتنون اسم فرقة روك تأسست في **1965**– المترجمة) . وطالما كان برجنيف يستطيع ان يعقد حواجبه الرهيبة ويرسل الدبابات الى براغ، لم يكن من الممكن اصدار الأحكام على أي أو كل ثمار الحرية.

هذه الديناميكية بلا شك عززت الإفتتان بثقافة البوب الأمريكية في لحظتها المنتصرة في نهاية الحرب الباردة كما وصفها دبريه.

وبالتأكيد هناك رسالة ضرورية تأتي مع منتجات الثقافة الأمريكية كما قال آيزنر بحق. وأحد أهم التحليلات العميقة المؤثرة في هذا المضمار هو ماقاله المخرج سدني بولاك الذي تشمل قائمة أعماله العديدة "انهم يقتلون الجياد" و "وتوتسي" "الخروج من أفريقيا" و "المترجمة" وقد توفي بولاك في **2008** ،ويقول المخرج الخبير "اول صانعي الأفلام في أمريكا كانوا مهاجرين"

"كانوا جميعا يبحثون عن طريقة لمخاطبة الجميع، لإيجاد لغة مشتركة من القصص والصور التي يمكن لكل الأمريكيين ان يتماهوا معها رغم خلفياتهم اللغوية والثقافية .

ولهذا كانت الأفلام الأولى دائما أنواعا أساسية من المسرحيات الأخلاقية : أساطير الخير ضد الشر. كان دائما هناك بطل وسيدة في محنة. ومن هذه البدايات ولدت صناعة الأفلام الهائلة ، وقد ازدهرت أولا في أمريكا والآن في كل مكان من العالم[58] .

بالنسبة لبولاك فإن هناك سر صغير في جاذبية السينما الأمريكية.

"البطل النموذجي في الأفلام الأمريكية يقف في وجه المصاعب ويتحدى السلطة . هو أو هي شخصية عادية وليست مقدسة . وهذه صفات تنال إعجاب الشباب الذين يشعرون بالاختناق من الثقافات التقليدية ولكن هناك رسالة أخرى : كل شيء ممكن . هذه رسالة مؤثرة. الأفلام الأمريكية تقول للناس في كل مكان " لا تحتاجون أن تكونوا أغنياء أو أقوياء لتحيوا حياة مميزة" قد تكون تلميذ مدرسة تضع جهاز تقويم على أسنانك في مدينة صغيرة وتحلم بالخروج منها والقيام بمغامرة ، ويمكنك أن تفعل ذلك . الأفلام تقول لك أن ذلك ممكن. يمكنك أن تكتب قصتك بنفسك . وأساسا، هذا هو معنى أمريكا حقا."

[58] Peres, S andPollack, S. “Out of Hollywook”. *New Perspectives Quarterly* (Fall 1998), vol. 15.no. 5

الرسالة التي تقول "اكتب قصة حياتك بنفسك" هي رسالة تخترق موسيقى البوب فحقيقة أن هب هوب – موسيقى الفقراء المهمشين في الولايات المتحدة – أصبحت شديدة الشعبية في أفريقيا أو الضواحي الباريسية ، ليست مفاجئة. ولكن حقيقة الها أيضا "صرعة" بين شباب شانغهاي ، تؤكد مسألة الجاذبية العريضة والعميقة لثقافة يمكن للمهمشين فيها أن يسردوا قصتهم بأنفسهم ويجدوا من يسمعهم ومن يعترف بهم.

وبقدر ما يمكن أن تكون عليه قوة جاذبية رسالة الحرية الشخصية ، فإن الحضور الطاغي للوسائط الأمريكية الذي تنشرها يمكن في أحيان كثيرة أن يكون خانقا لصانعي الثقافة الوطنية في كل مكان.. الأصدقاء منهم والأعداء.

الفصل السادس

الرد العنيف:

القوة الناعمة لا تزال قوة ولا تزال تصنع أعداء

حين يستحوذ الفائز على كل شيء، بضمن ذلك مزاعم كسب القلوب والعقول، فإنه يستدعي ردا عنيفا. ومن الواضح أن التأثير الكاسح للثقافة الجماهيرية الأمريكية عقب نهاية الحرب الباردة ، ناهيك عن أفكار الديمقراطية والحرية الفردية المتضمنة من أفلام هوليوود وبرامج التلفزيون وحتى في سوق الفن، قد تسببت في رد عنيف لمجرد تنوع الهويات الذي انطلق مع تجميد النظام ثنائي القطب.

وهنا تصح المشاعر التي عبر عنها جوزف جوف **Joffe** في الفصل الثاني، وهي أن ازدياد حضور الثقافة الجماهيرية الأمريكية بشكل كبير في الفترة مابين حربي الفيتنام والعراق قد ولد امتعاضا بين اولئك الذين شموا رائحة احتلال.

اذا كانت ثمة مقاومة للإحتلال العسكري، فهناك مقاومة مماثلة للاحتلال الثقافي. وبقدر استيعاب الجمهور العالمي لفيلم تيتانك او بقدر ماحمّل المستهلكون في أنحاء العالم، من الانترنيت، أحدث منتجات مايكروسوفت، فإنهم يريدون فضاءا ثقافيا لصناعة أختياراتهم الخاصة. في نظرهم فاقت الغطرسة الأمريكية كل الحدود: أن تهيمن أمريكا على عالم تعريف المعلومات والإيقونات والترفيه إضافة الى امتلاكها أفضل الجامعات والتقنيات في العالم، وفوق كل ذلك يتجاوز الصرف على جيشنا ماتنفقه، مجتمعة، الدول الثمانية التالية لنا في القوة.

في مثال نموذجي للإمتعاض في مابعد الحرب الباردة، احتجاج جونو سودارسونو وزير الدفاع الاندونيسي في يونيو **2006**على انتشار القوة الناعمة الأمريكية بقوله :" الولايات المتحدة مهيمنة وحاضرة بقوة ومكتسحة في كل قطاع من حياة الكثير من الشعوب والثقافات" وكان يشتكي في حينها لوزير القوة الخشنة الأمريكي دونالد رامسفيلد 59.

من سنغافورة الى اوتاوا، ومن مكسيكو سيتي الى سيئول، كان وزراء الثقافة المحليون والفنانون وصانعو الأفلام والسياسيون يشعرون بالقلق من اختفاء تراثهم الثقافي تحت وطأة أفلام ضخمة الإنتاج والإيرادات، وحافلة بالمؤثرات الخاصة، والتي وصفها مدير دزني السابق مايكل آيزنر مرة بأنها "ترفيه سيّار" (آثرت ترجمة كلمة **planetized** بكلمة سّيار بدلا من مكوكب مثلا– المترجمة)

واعترافا منه بهذه القضية يتفق المخرج سيدني بولاك بأن هيمنة الثقافة الجماهيرية الأمريكية، لابد أن تكون "مرعبة" لأن "قوة الصناعة الأمريكية تزيح الأفلام المحلية وتهمش الثقافات الوطنية. وفي بلدان كثيرة جدا يأتي معظم العائد الضخم لدور السينما، من الأفلام الأمريكية. وفي أماكن مثل اليونان وألمانيا فإن **80%** من الأفلام في دور السينما هي أمريكية. والناس بدأت تغادر ثقافاتها المحلية في شباك التذاكر"60

---

[59] Gordon, M. “In Indonesia, Rumsfeld is Warned on US Image” *New York Times*, June 6, 2006

[60] Peres, S. and Pollak, S. “Out of Hollywood” *New Persepctives Quarterly* (Fall 1998) vol. 15,no. 5

بالنسبة لأولئك الذين ينتقدون الدور الأمريكي في تهميش الثقافة العالمية، يرد بولاك بصراحة ، باللجوء الى إشكالية محور الثقافة الديمقراطية التي يبدو أن هوليوود بشكل عام تخلت عنها في محاولتها للإجابة على "مانوع الثقافة التي يمكن أن تكون لديك في مجتمع يحتفي بالشخص العادي ولكن لا يحب ذوقه؟" ويضيف قائلا:

"في الدولة الديمقراطية، وفي نهاية الأمر، تتساوى آراء الجميع. هل من الممكن فعلا القول "هذا مجتمع لن نقول لك فيه ماتراه وتفعله، فأنت البطل، البروليتاري، من الطبقة المتوسطة، الانسان العادي، ولكن يا أخي انت غبي وبلا ذوق! إذا تُركت لذوقك فسوف تختار أسخف الروايات وأسوأ الأفلام ". ينبغي على صانع الأفلام أن يعيش في تلك القيود والى حد ما ، يشكل هذا ماتفعله هوليوود باعتبارها صناعة. انها تميل في مشاريعها الى إلتقاط مايجذب الأغلبية ويزعج الأقلية. وأفضل وآمن رهان هو اختيار الفيلم الأقل تحديا والأقل تحريضا"

إذن ، ماهي هوليوود اليوم؟ ماذا نرى الآن من هوليوود؟

يجيب بولاك بنوع من الاستسلام:

"نرى، رهقنة العالم (اشتقاق كلمة رهقنة من مراهق وهو الفعل الذي آثرته مرادفا للكلمة المستخدمة في النص **adolescizing** أي حوله الى مراهق- المترجمة) إن قيم الترفيه الدافعة لهذه الصناعة هي قيم المراهقين: الجاذبية الجنسية والحركة السريعة . إننا نحول الجميع الى

مراهقين بأفلام من طراز أفلام إم بي في **MTV**. فأقوام الشيربا الذين يعيشون في الخيام (الشيربا تعني (القوم الشرقيون) وهم من التبت وارتحلوا الى نيبال منذ ثلاثة قرون ويعيشون في اعالي الجبال– المترجمة) يعلمون عن توم كروز أكثر مما يعلمون عن ثقافتهم. إن انتشار الثقافة الرائجة هي ظاهرة ، تمثل ازدهارا للإقتصاد الأمريكي، ولكنها في ذات الوقت ، خطر على كثير من الثقافات الأخرى وخطر على نضج ثقافتنا أيضا"

في هذه الملاحظات، يتنبأ بولاك بالقضايا المتناقضة التي بزغت مع انتشار الثقافة الأمريكية . إنها قد تنشر رسالة وعود الحرية، ولكنها تغرق في الحجم الهائل للبدائل الأخرى للترفيه والتي توجه باضطراد الى عقلية المراهقة.

أمثلة المقاومة وفيرة. لم يكن صانعو الأفلام من كوريا الجنوبية هم وحدهم في التكتل معا لمعارضة اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة التي يشعرون انها قد ترقى الى "استعمار" صناعتهم المحلية.

حين قدم آلان باركو ، الممثلة مادونا في دور إيفا بيرون في فيلمه "ايفيتا" بكى أهل الأرجنتين لأن هوليوود هي التي تقدم حكاياتهم. وقد أعلن الرئيس البيروني في ذلك الوقت (شاؤل منعم) معارضة لهذا التصرف باعتباره "امبريالية امريكية شمالية" .

ويظل جاك لانج وزير الثقافة الفرنسي في عهد الرئيس فرانسوا ميتران الرمز الأوربي للمقاومة الثقافية ضد أمريكا. وكانت آراؤه مثل بيان احتجاج ضد هوليوود في زمن كانت هناك ماتزال صناعة سينما مهمة في فرنسا، ولكنها مع هذا تعكس الفكرة المحمومة بأنه لا أحد يرغب في أن يخضع للهيمنة. وقد قال في أول اجتماع لمنتدى العالم الثقافي الذي عقد في البندقية عام **1991** "خلف كلمة – عالمية– البراقة، هناك دائما أشكال من الهيمنة" وأضاف:

"لقد تهاوت لتوها الامبراطورية السوفيتية التي دعت الى عالمية زائفة ونفذتها قسرا. ومع ذلك ألا يحق لرجال ونساء الثقافة أن يخشوا أيضا باسم عالمية جديدة: أن تفرض مجموعات مالية وصناعات ترفيه "عالمية ثقافية " على مستوى دولي؟ من أجل الا تطعننا فكرة "العالمية" ينبغي تحقيقها من خلال الإقرار بهوية كل واحد منا، ليس عن طريق التشريد الإجرامي للكنوز اللغوية والأشكال الثقافية المتنوعة الأخرى"**61**

كان لانج – بطبيعة الحال – يتكلم عن أفلام هوليوود التي كانت حتى في تلك الفترة تسيطر على دور العرض على طول الضفة الشمالية لمتراس شارع سان جرمان دي بريه وعلى طول الشارع النازل من السوربون. وفي تنبؤ بأثر الفضائيات والعصر الرقمي ، كانت عينا لانج على المستقبل في ذلك العام **1991**. وقد تساءل بلهجة مرتابة :" وماذا عن التكنولوجيا؟"

[61] Land, J. “The Higher the Satellite the Lower the Culture” *New Perspectives Quarterly* (Fall 1991) vol. 8 No. 4

"هل ستثرينا التكنولوجيا بخلق تنوع في القنوات لمزيد من التعبير الفني؟ أم هل تكون الحقيقة أكثر شؤما: كلما ارتفع القمر الصناعي ، هبطت الثقافة؟".

"إن اختفاء اللغات والأشكال الثقافية هو الخطر الكبير اليوم، هناك خطر أن يحل محل التنوع ثقافة جماهيرية عالمية بدون جذور او روح او لون او طعم"

رغم بلاغة لانج، فإن التيار تلك اللحظة كان جارفا في أوساط زملائه الذين احبوا سرا منذ فترة طويلة الممثل جيري لويس. ولابد أن ناقد أمريكا المخضرم يشعر بالإحباط العميق هذه الأيام مع الرئيس الفرنسي نيكولاس ساركوزي، المعجب أشد الإعجاب بالعولمة والذي يتبنى الوجه الآخر للقصة، فيقول بحماسة "نحن نحب الولايات المتحدة. إن حلم العائلات الفرنسية هو ارسال شبابهم الى الجامعات الأمريكية للدراسة. حين نذهب الى السينما، فذلك لمشاهدة الأفلام الأمريكية، و حين نتحول الى أجهزة الراديو، فذلك للإستماع الى الموسيقى الأمريكية "**62**

ومن الواضح ان فريق التسويق في "لوموند" رائدة الإعلام الفرنسي، يشارك وجهة نظر ساركوزي، وكانت الصحيفة في **20** مارس **2008** قد قدمت اسطوانة مضغوطة تحوي **47** فيلما حائزا على الأوسكار كهدية لشراء الصحيفة في أكشاك بيع الصحف. وهذا يستدعي الى

[62] Sciolino, E. “French Youth at the Barricades, But a Revolution? It Can Wait” *New York Times* , March 28, 2006

الذهن المرء ، العنوان العريض الشهير في الصفحة الأولى في لوموند في اليوم التالي لوقوع أحداث **11** سبتمبر والذي يقول "كلنا أمريكيون".

ولكن أصوات الثقافة الأوربية الأكثر عمقا من صوت ساركوزي، على أية حال، شاركت قلق لانج رغم تأييدها للأمركة . كان أحد تلك الأصوات: السير أشعيا برلين، وجيه اوكسفورد الراحل وأهم مؤرخ للفكر الغربي.

كان برلين مناصرا لفكرة يوهان غوتفريد هردر القائلة بأن لكل ثقافة روحها الشعبية المتوارثة **volksgeist** الفريدة التي تميزها عن الثقافات الأخرى. وكان هردر يرى أن كرامة كل انسان مرتبطة بشعوره بالإنتماء لتلك الطريقة الفريدة في الحياة. وقد كتب هردر أن شخصا غريبا لن يستطيع أن يدرك عظمة اسطورة اسكندنافية مالم يكن قد اختبر عاصفة في بحر الشمال.. أو أي حدث يشكل هوية هذه الثقافات الصغيرة.

ومع ذلك اذا كان مراهقو هذا العصر من بكين الى موسكو الى لوس انجليس يمكنهم المشاركة بنفس الإثارة التي تسببها مادونا سواء على مسرح حي او عبر أقمار صناعية ، فماذا يمكن أن يعني حقا تقرير المصير الثقافي الذي يفكر به لانج وبرلين؟

ولكن برلين ظل ثابتا على موقفه لإدراكه بأنه يسلك أروقة المستقبل القادم الموحشة ويرد قائلا :" مع ذلك " ويضيف:

"لاختلافات الماضي أثرها: إن النظارات التي يرى بها شباب بانكوك او فالباريسو مادونا ليست متماثلة. يقال أن اللغات الكثيرة لجزر بوليتزيا وميكرونيزيا لا تشبه أحداها الأخرى تماما ، وهذا ينطبق أيضا على القوقاز.

اذا حسبتَ أن كل هذا سوف ينتهي الى لغة وثقافة عالمية واحدة– ليس فقط لإغراض المعرفة أو السياسة أو العمل، ولكن للتعبير عن المشاعر وعن الذات الداخلية – إذا افترضنا حدوث ذلك، فلن يكون هذا وحدة الثقافة ، وانما موت الثقافة وأنا سعيد لأني في هذه السن المتقدمة " **63**

ومثل لانج وبرلين، شعر كوستا غافراس المخرج اليوناني الفرنسي الذي كان مأخوذا بالسينما الأمريكية في شبابه، بالخوف من تغلغل هوليوود في الثقافات الأخرى. ولكن في أعقاب إنشاء العملاق أي بي سي – دزني في **1995** ، تحدث غافراس بحكمة فيلسوف قائلا "أي شيء بهذه الضخامة وهذه السطوة على عقول الناس، يمثل خطرا على الروح الديمقراطية " ثم أضاف بأمل وهو يشير الى فيلمه **Z** "في نفس الوقت كما في اليونان خلال حكم الكولونيلات ، كل جولياث يستدعي بالضرورة ظهور داود".

---

[63] "Two Concepts of Nationalism" Interview with Isaiah Berlin by Nathan Gardels, *New York Review of Books* (Nov. 21, 1991), vol.38,no. 19, p.19

ويفهم كوستا غافراس كيف يعمل نظام التوزيع المهيمن للأفلام الأمريكية فيشير الى أنه "حين يأتي فيلم أمريكي كبير مثل (حديقة الديناصورات **Jurassic Park**) الى باريس، يملي الموزعون الأمريكيون الشروط فيقولون لك "يمكنك أن تعرض حديقة الديناصورات لمدة **10** اسابيع ، ولكن من أجل الحصول عليه ، لابد أن تأخذ أربعة أو خمسة أفلام أمريكية للعرض الى جانب الفيلم لمدة اسبوعين لكل منها" وهذا النظام يسمى "قطار تتبعه سيارات" وبطبيعة الحال، يوافق العارض لأنه لن يستطيع أن يحصل على فيلم حديقة ديناصورات آخر لجذب الجمهور. وهذا يعني ترك مساحة قليلة للعناوين الفرنسية أو الأوربية الأخرى في أي دار عرض" 64

ومن المهم ، الاشارة ، كما سنناقش في فصل لاحق، الى أن معادلة التوزيع هذه تغيرت بشكل كبير مع ظهور الإسطوانات المضغوطة والتحميل الرقمي للأفلام خارج منظومة دور العرض.

وقد شاركت مخاوف كوستا غارفاس في يونيو **1998** وزيرة التراث الثقافي الكندية شيليا كوبس **Copps** التي عقدت اجتماعا لوزراء الثقافة من **20** دولة في اوتاوا بهدف معلن هو مقاومة المجمع الإعلامي – الصناعي الأمريكي . وقالت "ينبغي النظر الى الثقافة بأكثر من مجرد ترفيه. في عالم حيث المعلومات فيه قوة ، ينبغي أن تكون للأطفال في كل مجتمع الفرصة للاستماع لحكايات أجدادهم وكذلك وضع طبعاتهم

[64] Gardels, N. (ed) (1997) “Resisting the Colonels of Disney” Interview with Nathan Gardels in the *Changing Global Order* (Blackwell) p. 231

الشخصية على مستقبل الثقافة المعاصرة "65 وأبلغت السيدة كوبس وزراء الثقافة الآخرين انها فخورة بالحصص التي تشترط أن يكون **30** بالمائة مما يبث في الإذاعة الناطقة بالأنجليزية في كندا، كنديا وأن يبث **65** بالمائة من المختارات في الإذاعة الفرنسية، باللغة الفرنسية. واقتبست من المهاتما غاندي قوله " لا أريد أن يحاط بيتي بالجدران من كل الجهات، وأن تكون نوافذي مغلقة . أريد أن تهب رياح ثقافات كل البلدان حول بيتي بكل حرية ممكنة ولكني أرفض أن تطيح بي أي من هذه الرياح".

وبعد خروجها من الوزارة ، ضغطت شيليا كوبس بنجاح على اليونسكو لرعاية التنوع الثقافي من اجل ايقاف هجمات "ثقافة موحدة كونية" وتنص المعاهدة على حق اية دولة في استثناء "البضائع والخدمات الثقافية " من اتفاقيات التجارة . وتبنت اليونسكو المعاهدة في عام **2005** بتصويت **148-2** (الصوتان المعارضان: الولايات المتحدة واسرائيل)

بالنسبة لبعض البلدان، ليس القلق فقط في أن هيمنة الثقافة الجماهيرية الأمريكية سوف تخسف بالثقافة الوطنية الأرض في تلك الدول ، ولكن الخوف هو أيضا من سلطة تلك الثقافة على تشويه الآخرين بطريقة تجردهم من قدرتهم على تأكيد هويتهم.

---

[65] Copps, S. "Celine Dion: Made in Canada" *New Perspectives Quarterly* (Fall 1998) vol. 15, no. 5, p.17

مازل هالوك شاهين أحد أكبر صحفيي التلفزيون التركي، حتى اليوم، يشعر بالغضب يغلي في داخله بسبب "الهوية الجديدة المقتحمة" التي وصمت بها تركيا بعد فيلم "قطار منتصف الليل السريع" الذي صور بلاده بالوحشية والعنصرية ووصفها شاهين بأنها"نجمة داود عصر الإعلام" (المقصود بالهوية الجديدة هي "تركيا قطار منتصف الليل" التي صارت مرادفة لاسم تركيا والمقصود بنجمة داود عصر الاعلام أن هذا التلطيخ لسمعة تركيا يشابه العداء الواسع لنجمة داود وماتمثله– المترجمة) وأسوأ من كل شيء ، مثل معظم الأتراك ، يشعر شاهين بالعجز عن المقاومة وقد كتب مقالة ساخطة بعنوان "كابوس تركي"[66] يقول فيها "فقدت مناطق واسعة من العالم – حيث تتجذر حضارات تميزت بالبلاغة في التعبير عن الذات – قدرتها على الكلام في نظام الإعلام الجديد. قد يكون لدى تركيا أقوى جيش في الشرق الأوسط ولكنه أثبت عجزه ضد هجمة الخيال الأشد فداحة من تفجير القنابل"

حين انتج ديفد بوتنام هذا الفيلم، اعتقد بأنه يقدم رسالة اجتماعية حول انتهاك الروح الإنسانية في السجون التركية . لم يتصور ان يستقبله الجمهور المحلي باعتباره إدانة لثقافتهم العريقة والمبدعة.

ومع الحرب في العراق، فإن الأثر الممتد لهذا الذوق السيء فيما يتعلق بفيلم "قطار منتصف الليل السريع" عزز العداء للأمريكيين المنتشر في تلك البلاد.

---

[66] Sahin, H. "Midnight Express 20 Years Later" *New Perspectives Quarterly* (Fall 1998) vol. 15, no. 5 , p. 21

وقد تجلى رد الفعل التركي العنيف بتأكيد الهوية الثقافية عن طريق تحقير أمريكا. وهكذا كان أكثر الأفلام رواجا في اسطنبول في ربيع 2006 بعنوان (وادي الذئاب – العراق) عاكسا مشاعر المسلمين العاديين في أرجاء المنطقة ، يصور الفيلم رامبو مسلم ينطلق في مهمة الانتقام من الأمريكيين في العراق الذين يصورهم الفيلم لصوصا ومغتصبين ساديين 67.

وكما كتب عمار بكشي من بوست جلوبال في عموده حول العالم، أن أكثر الروايات رواجا في تركيا عام 2004 والتي باعت 800 ألف نسخة كانت بعنوان (عاصفة المعدن) للمؤلف براق تُرنة ، والرواية تتخيل حربا مع الولايات المتحدة عام 2007 تنتصر فيها تركيا. تبدأ الحرب في شمال العراق، ويتسبب فيها رئيس انجيلي أمريكي كحجة للاستيلاء على موارد تركيا من اليورانيوم والثوريون والبوراكس وكجزء من الخطة الأمريكية للهيمنة على العالم. في الرواية الرائجة ، تشعل الولايات المتحدة تركيا بالنار وتستولي على العاصمة انقرة، وفيما كانت تهدد بتقسيم البلاد بين الجيران : ارمينيا واليونان، يهرع تحالف دبلوماسي بين روسيا والاتحاد الأوربي للإنقاذ وفي نفس الوقت يعرقل تنفيذ الولايات المتحدة لخططها . ويقوم عنصر تركي بتهريب قنبلة نووية في حقيبة عبر الحدود المكسيكية ويفجرها في العاصمة واشنطن، فتركع

---

[67] Ahmed, A. “From Media Mongols to Muslim Rambos” New *Perspectives Quarterly* (Spring 2006) vol. 23, no2 , pp. 22-3

أمريكا على ركبتيها. تنتهي الحرب، وتنتصر تركيا الطيبة وتخسر أمريكا الشريرة.

من المفارقة – ولكن ليس من الغرابة – ان هذه الرواية كانت من بنات مخيلة كاتب شاب فطم على ثقافة البوب الأمريكية . قضى ترنة طفولته يقرأ الكتب المصورة الأميركية مثل مانديك الساحر ومشاهدة "حرب النجوم " و "ستار تريك" و "انديانا جونز" وأفلام الغرب الأمريكي،

ورغم تشبعه باعلام الترفيه الأمريكي طوال حياته، لكن ما يسميه "إرادة القوة" في مواقف وسياسات الولايات المتحدة قد أثبطت من حماسته، محفزة إياه للبحث في مكان آخر عن المجتمع النموذج والقيادة الكونية الصالحة للأتراك[68].

تصور أحدث رواياته "الحرب العالمية الثالثة" انتقال القوة من الولايات المتحدة الى روسيا والصين. وقد قال ترنة في أسطنبول في يناير **2008** وهو يشرح سر رواج الرواية ، أنها تضرب على الوتر الذي يتشارك به الجمهور التركي "حتى والدتي تعرف أن هذا سوف يحدث"

وفي الحبكة المجازية فإن احتلال العراق ضد إرادة المجتمع الدولي يلتقي مع الإحساس بغطرسة الوجود الأمريكي حتى ضمن الفضاء الخيالي لثقافة

[68] Bakshi, A. C. (2007) “Metal Storm: Imagining US-Turkey War” *PostGlobal*

ترنة الخاصة التي تحرسها الجوامع الفخمة والتي تعكس زمن الإمبراطورية التركية.

لقد ارتبطت تركيا الحديثة مع الغرب على الأقل بواسطة الايديولوجية العلمانية لأتاتورك ، رغم ان هذه اصبحت الان ايضا في خطر من قبل حزب العدالة والتنمية الحالم والمتجذر اسلاميا الذين يتضمن وصول الأناضوليين المهمشين سابقا الى مركز القوة . وباعتبار الحزب حركة سياسية تمتد جذورها الى قاعدة دينية محافظة، فهي ربما تعارض محتوى ونبض الثقافة الجماهيرية الأميركية كما يفعل آخرون في العالم الإسلامي ناهيك عن المعارضين في الغرب نفسه.

وقد كتبت مارثا بايلز تقول "صانعو الأفلام الأمريكية لديهم اليوم حرية أكثر من سابقيهم أو نظرائهم . أحيانا تكون النتائج مدهشة، ولكن أحيانا تكون مهينة بشدة : منظور فارغ ومعالجة مراهقة مضحكة للجنس وخيال متطرف في عنفه. ونتيجة لذلك يشعر الملايين بالعدوان عليهم. وحين ترد هوليوود وواشنطن على هذه المخاوف بالقول أن الأفلام "مجرد عمل تجاري"، فالطين يزداد بلة 69.

والكثيرون في أوطانهم الغربية يشعرون بالإهانة كذلك بما تنتجه هوليوود، بدئا من البابا المبجل لدى بلايين من كاثوليك العالم

69 Bayles, M. “Risky Business for Hollywood” *International Herald Tribune*, May 8, 2008

الفصل السابع

الحروب الثقافية في الغرب: البابا ضد مادونا

ذات صيف بعد بضعة سنوات من بابويته، نظر جون بول الثاني من شرفة قصره غوندولفو ، المقر الصيفي للبابا خارج روما، غارقا في تأملاته وصلواته. كان الراعي الكوني يبحث عن إرشاد إلهي. أين يمكنه أن يجد أعظم تأثير لإنقاذ أرواح الناس فيما تبقى له من وقت على الأرض؟

كان يعرف أن ستالين الذي تساءل مرة "كم فرقة يملك البابا؟" كان مخطئا في سخريته من القوة الروحية للكنيسة.

وكما برهن بدعمه لصعود حركة التضامن التي ادت سريعا الى تقويض الحزب الشيوعي في وطنه بولندا، كان البابا بالتأكيد يملك الكثير من الفرق. إن القوة الناعمة للقلوب والعقول المؤمنة يمكن أن تهزم قوة الدولة القامعة الخشنة. وإسقاط الشيوعية الكافرة لم يكن عملا هينا بالتأكيد. وخطر على بال البابا الفيلسوف أن أصعب مهمة حتى الآن هي القضاء على مايراه من انتشار الفسوق في أنحاء العالم الغربي العلماني.

ثم فجأة أدرك البابا انه كما ذهب الى قلب الوحش بالعودة الى الوطن للاحتفال بالقداس خارج وارشو كراكوف، عليه – إذا أراد أن يواجه حالة التدهور الأخلاقي في الغرب، أن يعلن موقفه في المركز: هوليوود.

وكأنه تنبأ بمخاوف خلفه البابا بنديكت السادس عشر، بدأ جون بول الثاني يؤمن بأن قيم (مابعد الحداثة) التي تلون صناعة الترفيه : نهاية الإيمان وظهور الثقافة العلمانية العالمية ، ونسبية كل القيم، كانت من

عوامل تدمير رعيته وقد قال هذا في منشوره "روعة الحقيقة **Splendor of Truth**"

وهكذا في **1987** شدّ البابا الرحال الى ستوديوهات يونيفرسال في لوس انجيليس ليعرض قضيته بشكل مباشر على مديري هوليوود 70 . حين تجمعوا في صالة الاحتفالات في فندق شيراتون، لم يرتكب هفوة التقليل من شأن فرق القوة الناعمة لهوليوود كما فعل الشيوعيون مع قوة الكنيسة. بل خاطب الجمع قائلا "إن قوة صانعي الأفلام ، في خيرها وشرها، رائعة. ابداعكم لا يعكس فقط المجتمع الإنساني ولكنه يساعد في تشكيله. هناك مئات من الملايين من البشر يشاهدون أفلامكم وبرامجكم ويستمعون لإصواتكم ويغنون أغانيكم ويرددون آراءكم. الحقيقة هي أن أصغر قراراتكم يمكن ان تحدث تأثيرا في العالم. ومن النادر أن تجد قسا أو رجل دين أو حاخاما أو مرشدا أو سياسيا يملك قوة صانع الفيلم للارتفاع أو الانحدار بالانسان"

بعد سنوات عديدة ، وخلال زيارته للولايات المتحدة في **2008**، عبر البابا بندكت السادس عشر عن القلق من أن العلمانية الشديدة التي تعكسها وسائل الترفيه كانت تساهم في محو الأسس الدينية لأمريكا. وقد أبلغ الأساقفة الأمريكيين بأن "الطراز الأمريكي من العلمانية هو المشكلة . انه يسمح بحرية التدين ويحترم الدور العام للدين ، ولكنه في نفس

---

70 http://www.lapdonline.org/history_of_the_lapd/content_basic_view/1131

الوقت وبدهاء ينحدر بالإيمان الديني الى أوطأ قاسم مشترك والنتيجة انفصال مضطرد للعقيدة عن الحياة"71.

بالنسبة للبابا الحالي، فإن الفردية والمادية المفرطتين تفصلان الإنسان عن الآخرين وعن الله. وقال أثناء زيارته للولايات المتحدة "إذا كان هذا يبدو ضد الثقافة ، فإنه دليل آخر للحاجة الماسة لإعادة إحياء انجيلية الثقافة"

ويعاد – حتى الآن – انتاج وتمثيل الحروب الثقافية التي اندلعت داخل الغرب في أعقاب الستينيات في الإعلام ووسائل الترفيه.

إن صورة زعيمة العالم الحر كما عكستها هوليوود قد ولدت شكوكا ليس فقط في قلوب وعقول الناس في أرجاء العالم ولكن في داخل الوطن أيضا. ويشارك البابا في مخاوفه، الكثيرون من كل الطيف الأمريكي.

وكما كتبت مارثا بايلز "كانت الثمانينيات والتسعينيات عقودا عبر فيها الكثير من الأمريكيين عن خشيتهم من انحطاط الثقافة الشعبية. وقد قاد المحافظون حملات ضد كلمات الأغاني المنحطة، وإباحية الإنترنيت. وقد ضغط الديمقراطيون الليبراليون على لجنة الإتصالات الفدرالية لمنع أفلام العنف وألعاب الفيديو العنصرية وقد حاول ملايين من الآباء حماية أطفالهم مما اعتبروه صناعة ترفيه غير مسئولة اجتماعيا"72

---

[71] Fisher, I. and Stolberg, S.G. “Pope Praises US, but Warns of Secular Challenges” *International Herald Tribune*, April 17, 2008

[72] Bayles, M. “Goodwill Hunting” *Wilson Quarterly*, Summer 2005

إذا حكمنا بما جاء في استفتاء مؤسسة بيو **Pew** في ابريل **2005** والذي استشهدت به بايلز، فإن تلك المخاوف مستمرة. وحسب ذلك الاستفتاء "قال ستة من كل عشرة امريكي انهم في غاية القلق مما يراه ويسمعه الأطفال على شاشات التلفزيون (**61%**)، وفي كلمات الأغاني (**61%**)، وفي ألعاب الفيديو (**60%**)، وفي الأفلام (**56%**)

وقداهم بيل بنيت **Bennett** وزير التعليم في إدارة ريغان، هوليوود بأنها تحط من قدر القيم العامة في أمريكا. وعلى الجانب اللبرالي، أدانت تبر غور **Tipper Gore** (مؤلفة ومصورة وزوجة نائب الرئيس السابق آل غور لمدة اربعين سنة حتى انفصالهما في منتصف عام **2010** – المترجمة) ، إضافة الى أحد أبطال الترفيه وهو بيل كوسبي أغاني الروك والراب الهابطة أخلاقيا لما تتضمنه من ملامح التمييز ضد المرأة و الإشارات الجنسية الواضحة .

وفي كتابهما الصادر عام **2008** "هيا أيها الناس **Come on People** " يتساءل كوسبي وألفن بوسان "بماذا يفكر منتجو الإسطوانات عند مزج راب العصابات بخطاب معاد للمجتمع والمرأة ؟ هل يعتقدون أن ذكور الشباب السود لن يطبقوا ما يرددونه إن اصبحوا في سن الإستماع؟"73

[73] Cosby, B. & Poussaint, A. (2007) *Come on People: on the Path from Victim to Victors.* Thomas Nelson Inc. p. 16

وبالتأكيد فإن استفتاء آخر أجرته بيو **Pew** في نوفمبر **2007** أشار الى أن **71** بالمائة من السود يشعرون أن للراب تأثيرا ضارا على مجتمعاتهم، وخاصة بعد النصر الانتخابي الثاني الذي أحرزه جورج دبليو بوش والذي كان بفعل دعم اليمين المتدين. ومعظم هوليوود اللبرالية تدرك بحزن فجوة الإيمان التي تفصلها عن جمهورها. ويقول مديرو هوليوود أنهم يودون أن يصنعوا بكل سرور **200** فيلما دينيا في السنة اذا كانت تلك الأفلام ناجحة تجاريا. ولكن هذا القول مخادع تماما، حيث أن أعلى الإفلام عائدا في تاريخ السينما كان الفيلم الذي أخرجه ميل جبسون "شغف المسيح **The Passion of the Christ**" وكان جبسون قد أصر على موقفه في إخراج الفيلم في وجه استهزاء واسع من قبل المثقفين العلمانيين الذين يسكنون تلال هوليوود.

رغم أن مصطلح صامويل هتنغتون "صدام الحضارات" كان يقصد به علاقات الغرب مع آسيا الكونفوشية والميول اللاهوتية للعالم الإسلامي، ولكنه جدليا ينطبق بطريقة ما لم يقصدها، الى الصدام داخل الغرب نفسه والصدام أيضا بين البابا ومادونا، أي بين تهميش مابعد الحداثة لكل العقائد والسلطات من الأم الى الإمام من جهة، والثقافة الدينية التقليدية من جهة أخرى.

وكما لو كانت تريد تأكيد وجهة النظر القائلة أن الترفيه الأمريكي لا يحركه سوى "الذاتية" و"الرغبة"، مسرحت مادونا جولتها المعنونة "اعترافات" في **2006** بتعليق نفسها رأسا على عقب فوق صليب، مع

تاج من الشوك ومجاميع يرتدون ملابس جلدية يتراقصون حولها، على عتبة الفاتيكان. وفي عالم تمزقه الصراعات الدينية ، أدى هذا الى إدانة مشتركة نادرة لهذا التصرف من زعماء الديانات الإسلامية واليهودية والمسيحية. ولا شك أنهم كانوا يشاطرون تاتيانا مياسويدوفا **Myasoyedova** مشاعرها ، حين احتجت على حفلة مادونا لدى وصولها الى موسكو بقولها "الأمريكيون دمروا بلادنا أولا ثم دمروا اقتصادنا، والآن يرسلون هذه الشابة المريعة لتدمير أرواحنا" 74

إن تحول الثقافة الجماهيرية في أمريكا في أعقاب الستينيات يؤشر نهاية أيام آيزنهاور وعقلانية "اتركه لبيفر **leave it to beaver** " التي بنيت عليها بشكل واسع جاذبية أمريكا العالمية. وقد حدث هذا التحول في السينما والتلفزيون وبشكل خاص في الموسيقى الشعبية.

مادلين أولبرايت، وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة، على سبيل المثال، كانت متواضعة بشكل يثير الإعجاب فيما يتعلق بهذا الموضوع، مؤمنة بأن أمريكا تحتاج الى النقد الذاتي وامتلاك التواضع والإحترام لثقافتها الجماهيرية ، كما ينبغي أن تكون كذلك فيما يتعلق بوقائع سياستها الخارجية الخاطئة مثل الحرب على العراق.

"لا اعتقد اننا في أمريكا قد فهمنا تماما تأثير الستينيات حول رؤيتنا لأنفسنا أو رؤية الآخرين لنا، خاصة في العالم الإسلامي ، ولكن أيضا من

[74] http://articles.latimes.com/2006/sep/11/world/fg-madonna11

قبل شخصيات دينية عامة مثل البابا جون بول الثاني والآن البابا بندكت"

75

كان وصول الستينيات وحركة مناهضة حرب فيتنام قد غيرت الجاذبية العائلية الواسعة للثقافة الجماهيرية الأمريكية . وبينما حلت التأثيرات المنفعلة للثقافة المضادة عموما محل أمريكا التي خلدتها رسومات نورمان روكويل، برز توتر جديد داخل أمريكا حول تقدير محتوى تأثيرها عالميا.

وقد حدث في هذه الفترة، كما قال روجر ماهوني رئيس الأساقفة الكاثوليك في لوس انجيليس خلال زيارة البابا جون بول الثاني الى المدينة، أن بدأ إعلام الترفيه في تطوره من الحظر – اللامعقول الآن– لكلمة "حامل" حين كانت لوسي تنتظر ولادة ريكي الصغير، الى السماح باستخدام اية لغة أو موضوع تقريبا ، خلال برامج حوارات ما بعد الظهر، مثل برنامج جيني جونز المنتهي الآن، وبرنامج جيري سبرنغر الذي مازال ساريا، هذه البرامج التي تكاثرت في التسعينيات. وبالتأكيد، ليس هناك ستوديو اليوم قد يفكر ولو للحظة في صنع فيلم هوليوودي مهم بممثلين كبار يقومون بأدوار دينية كما في حالة فيلم **1948** الكلاسيكي ، وفيلم "زوجة الأسقف" مع ديفد نيفن وكاري جرانت ولوريتا يانج. وقد وصم كارل بيرنشتاين الذي اشتهر بفضحه قضية

---

[75] "Religion and Culture Are Key Parts of 21st Century Foreign Policy" Interview with Nathan Gardels for *Global Viewpoint*, syndicated by Tribune Media Services Intl. May 8, 2006

ووترجيت ، أمريكا الجديدة باعتبارها "أمة البرامج الحوارية" مجادلا بأنه "لأول مرة في تاريخنا، يصبح غريب الأطوار والغبي والسوقي، معيارنا الثقافي وحتى قدواتنا الثقافية"76

القضية أعمق بكثير من مجرد برامج تلفزيونية تافهة، انها تمتد الى قلب الصدام داخل الغرب وأيضا بين الغرب الإسلام كثقافة دينية. ويدور الصراع حول ما اذا يجب معاملة كل القيم بالمساواة باعتبارها مسألة اختيار، كما تفعل حين تتنقل من قناة الى أخرى أو اختيار الصف الذي تقف فيه لمشاهدة فيلم في مجمع دور عرض. وقد كانت ومازالت حجة هوليوود في رفض النقد الأخلاقي بأن (الاختيار) حق من حقوق المجتمع الحر، أي ان كل ما على الآباء فعله هو إغلاق الجهاز، أو تجنب دار العرض اذا لم يحبوا مايشاهدونه أو مايشاهده أطفالهم.

ولكن، في الواقع، في قلب صراع قيم ترفيه مابعد الحداثة، مع القيم الدينية التقليدية اليهودية –المسيحية او الاسلامية، تكمن ايديولوجية "مهما يكن **whatever**" ، حيث "كل شيء صالح للسوق".

يؤمن البابا بندكت بأن هذا التيار من القوة حتى أنه يسميه "دكتاتورية النسبية" 77 . إنها أداة محو خبيثة للإيمان تحدث عنها في زيارته الى الولايات المتحدة في **2008**.

---

[76] Bernstein, C. “Unlike Watergate, This is National Madness” *New Perspective Quarterly*, (Fall 1998) vol. 15, no. 5, p. 39
[77] Dionne, E. J. “Cadinal Ratzinger’s Challenge” *Washington Post*, April 19, 2005

وطالما أن الثقافة، خاصة ثقافة هوليوود الجماهيرية القوية ، هي ناقل للقيم التي يؤمن بها مجتمع ما فلا نستطيع الحديث الجاد عن الاندماج بالاحتكاك، والمنافسة في المربع الجماهيري العالمي بدون معالجة لغز الخيار هذا داخل الحضارةاللبرالية. ليس هناك أجوبة سهلة.

لقد قدم الراحل إشعيا برلين التمييز الشهير بين الحرية "السلبية" و"الايجابية" : الأولى "حرية من" الطغيان والتدخل، والثانية "حرية من أجل" القيام بما يرغبه المرء في منطقته الخاصة المنيعة على التدخل . الحرية من أجل تحقيق الذات.

وقد تقبل المجتمع الدولي الى حد كبير الحرية السلبية، نظريا إن لم يكن عمليا ، منذ انتهاء الحرب الباردة. حتى في الصين ازدادت اتساعا منطقة الفضاء الشخصي.

ولكن الحرية الايجابية "الحرية من أجل" ماتزال قاصرة – تعريفا على الأقل في عالم متنوع– من اكتساب منظور عالمي. فبعض الناس يريد حرية من أجل ارتداء الحجاب، والبعض الآخر يريد حرية من أجل الزواج المثلي.

بعد "نهاية التاريخ" حين انتصر الاختيار على الايديولوجية الشيوعية القامعة، فإن معظم الصراعات الآن هي حول الحريات الإيجابية لاختيارات طراز الحياة التي تقوم وسائل الإعلام بالترويج لها والتعبير عنها.

يتفق في ذلك فوكوياما ، صاحب النبوءة الشهيرة "نهاية التاريخ" حيث يقول :

"معظم الدول الديمقراطية اللبرالية استطاعت تجنب هذا السؤال حول اي نوع من الحريات الإيجابية يريدون تشجيعها، لأنه لم يعارضهم أحد. الآن تعارضهم الأقليات، المهاجرون المسلمون في اوربا مثلا– أو بشكل ما، الثقافات الصاعدة في آسيا، التي لديها احساس قوي بمجتمعاتها الإخلاقية ذات القيم غير اللبرالية". ويضيف فوكوياما بأنه في أوربا خاصة :

"تلتقي قضية الهجرة والهوية مع المشكلة الأكبر وهي انعدام القيم في مابعد الحداثة. لقد تسبب صعود النسبية في صعوبة تأكيد قيم ايجابية ومن ثم المعتقدات المشتركة التي يطالب الأوربيون بها المهاجرين كشروط للمواطنة. لقد تطورت صفوة مابعد الحداثة الى ماوراء الهويات التي يحددها الدين والأمة، لما يعتبرونه مكانا أسمى ولكن الى جانب احتفائهم بالتنوع والتسامح اللامتناهي، يجدون صعوبة في الاتفاق على مادة الحياة الجيدة التي يتطلعون اليها معا".

ورغم أن أمريكا مجتمع أكثر تدينا بكثير من أوربا، فإن نفس النزعة النسبية تسود ثقافة الترفيه فيها.

لهذا السبب، فإن فوكوياما، مثل اولبرايت ، يعتقد أن على الأمريكيين أن يكونوا أكثر تواضعا ونقدا للذات طالما أن كل ثمار الحرية ليست

جذابة بالضرورة ، ويمكنها أن تنحدر بالمرء كما تسمو به، بغض النظر عن جاذبية شباك التذاكر.

"جانب أمريكا الأسوأ معروف في العالم جيدا. صورة أمريكا التي يتبناها الكثير من المسلمين الساخطين، سواء كانوا متطرفين أو لا ، ليست بعيدة عن الحقيقة. أحد أوهام السياسة الأمريكية بعد **11** سبتمبر، هي الإفتراض أنه اذا كان هناك عداء للأمركة في الخارج، فإنه ليس بسبب سياساتنا أو صورة هوليوود ولكن لأننا غير مفهومين. وهذه فكرة طائشة مغرية ، لأنها تعني انه ليس علينا أن ننظر في دواخل أنفسنا لنغيرها أو نغير سياساتنا"78

من الواضح أن الغرب العلماني ، الذي تنقل الثقافة الجماهيرية الأمريكية قيمه عالميا، يعاني من مشكلة معرفة أي حدود يزيل وأي حدود يرسم.

تناقضات هذه المعضلة وفيرة. عيان هرسي علي المهاجرة الصومالية والناشطة في مجال حقوق المرأة ، ومؤلفة كتاب (كافرة **Infidel**) هربت من المعتقد الى العقل باسم الحرية، هاربة من رحم الإسلام لتصبح "اصولية تنوير" كما يتهمها منتقدوها، وملحدة. وقد تبنى الفيلسوف الفرنسي برنار هنري ليفي قضية مطالبة الإتحادالأوربي لتوفير الحماية الشخصية لها طالما انها تؤمن بالفكرة الرئيسية في أوربا: حرية العقل

[78] "The Challenge of Positive Freedom" Interview with Nathan Gardels, " *New Perspective Quarterly*, (spring 2007) vol. 24, no. 2, pp. 53-6

العالمية. وحياتها معرضة للخطر منذ ان قتل المخرج ثيو فان جوغ في امستردام على يد متطرف إسلامي وكان قد شاركها صناعة فيلم ينتقد معاملة النساء في الثقافات الإسلامية.

ومع هذا فإن أشهر مفكر لبرالي علماني في أوربا وهو يورغن هابرماس يرى الآن انه طالما يعجز مجتمع مابعد الحداثة عن توليد قيمه الخاصة، فإنه يستطيع فقط أن يعتاش على المنابع الدينية ، بالنسبة له، فإن القيم الغربية : الحرية والضمير وحقوق الانسان – مستمدة من التراث اليهودي المسيحي.

حسب هابرماس فإن "الذاتية غير المقيدة" – وهي نسبية الاختيار الشخصي، كمعيار للايمان، كما تسود اليوم– تصطدم مع " ماهو مطلق ، وهو حق كل مخلوق في الحصول على التقدير باعتباره صورة الخالق".

هذه المشكلة التي تتمحور حول توليد القيم في المجتمعات العلمانية ومعظمها مجتمعات ما بعد الحداثة ، مشكلة مهمة ونحن نمضي قدما الى داخل البيت الزجاجي العالمي حيث ينبغي على الغرب، وأمريكا بالذات التنافس عالميا من اجل كسب القلوب والعقول في ميادين إعلامية اكثر تسطيحا.

يوضح فوكوياما ذلك بقوله:

"إن المشكلة العملية هي ما إذا كنا نستطيع توليد مجموعة من القيم يمكنها أن تخدم سياسيا المقاصد اللبرالية الموحدة التي نريدها. وهذه مسألة

معقدة لأنك تريد أن تكون هذه القيم ايجابية وذات معنى، ولكنك لا تستطيع أن تستخدمها كأساس لإقصاء مجموعات معينة من المجتمع.

من الممكن النجاح في تطبيق احدها دون الآخر. على سبيل المثال، أسباب نجاح التجربة السياسية الأمريكية هو في خلقها مجموعة من الفضائل "الإيجابية" التي تخدم كأساس للهوية الوطنية، ولكن يمكن أن تكون أيضا في متناول الناس الذين ليسوا من البيض أوالمسيحيين (أو ذوي صلة دم وتراب) بشكل ما، مع مؤسسي هذه البلاد من البروتستانت الأنجلو ساكسون.

هذه القيم هي فحوى العقيدة الأمريكية: الإيمان بالفردية، الإيمان بالعمل كقيمة، الإيمان بحرية الحراك وسيادة الشعب.

وهذه يسميها صامويل هتنغتون "قيم الأنجلو بروتستانت" ولكنها في هذه المرحلة قد اقتلعت من هذه الجذور يمكنك أن تؤمن بها بغض النظرعن هويتك أو موطنك الأصلي . وهي أفضل حل عملي لمشكلة القيمة الإيجابية. وأظن أنه يمكنك بهذه القيم أن تحل مشكلة تعريف "الحياة الجيدة" بدون الحاجة لحل القضية الأعمق فكريا" 79

في هذه الوصفة، وقع فوكوياما على شيء بالغ الأهمية، ونحن نتأمل فحوى الثقافة الأمريكية وانتشارها العالمي. إن هذه العقيدة الأمريكية

---

[79] "The Challenge of Positive Freedom" Interview with Nathan Gardels, " *New Perspective Quarterly*, (spring 2007) vol. 24, no. 2, pp. 53-6

العملية المتكونة من "روح **geist**" بدون "الشعب **volk**" هي فعلا محور جاذبية أمريكا الفريدة في العالم. وفي جوهرها تقول العقيدة لمنافسينا في المعركة الكونية لكسب القلوب والعقول بأنه في عالم من ثقافات هجينة ، هناك مساحة لكل شيء الا حلم النقاء، وكل الأصوليات – الطبقة او العرف او الدين – تعتمد على هذه النزوة المميتة للإنغلاق بدلا من الإنفتاح، الاقصاء بدلا من الاحتضان. في هذا المجال، يكون المفكر الفرنسي برنار هنري ليفي مصيبا بقوله:" في تاريخ البشرية الحديث، اصبحت كراهية أمريكا احدى الصلات الهيكلية الرئيسية بين الشموليات الثلاثة: الفاشية والشيوعية والاسلاموية" 80

مما لا يمكن تفاديه حتما، إن تبني الإعلام الترفيهي ل"التلوث" الذي يرافق التعددية سوف يهين حساسيات ويتحدى معتقدات، عندما يتجاوز حدود المجتمعات.

ومن الدروس المهمة للغرب المتشبع بالإعلام الترفيهي هو أنه لايمكن حماية حرية التعبير، في عصر تقنيات انتشار الرسائل والصور فورا عبر العالم ، بقانون في كتاب، ولكن باحساس اللياقة والمسئولية من جانبيْ منتجي الثقافة ومستهلكيها على السواء.

---

[80] "Anti-Americanism in Old Europe" Interview with Nathan Gardels, " *New Perspective Quarterly,* (spring 2003) vol. 20, no. 2, pp. 5-11

وحسب تعبير الفائز بجائزة نوبل وول سوينكا،لا يمكن لنظام عالمي لبرالي ان يسمح لقوى التعصب بتحديد "منطقة الإهانة"[81] كما حاولوا ان يفعلوا في الجدل المثار حول الكاريكاتير الدنماركي عن النبي محمد. بالنسبة لسوينكا، ليس للنبي حق الأسبقية على "ربّة الإستهانة **Muse of Irreverence**"

وفي نفس الوقت، لمستهلكي الثقافة المسئولين، في المقابل، كل الحق، في النظام اللبرالي، في إدانة الإهانة أو التنميط ، ولهم الحق في التعبير المنافس عن وجهة نظرهم – مثلما فعل ميل جبسون حين مول وأنتج وأخرج "شغف المسيح" الذي كان بمثابة بيان مضاد لهوليوود العلمانية أو كما يفعل العالم الثقافي الواسع الموازي للبرامج الإنجيلية في التلفزيون والمطبوعات المسيحية، ولكن مايتجاوز المسموح هو العنف والترهيب كما في حالة فتوى آية الله الخميني ضد سلمان رشدي مثلا.

الثقافة اللبرالية تعني بالضرورة التفاوض على القضايا كل واحدة على حدة، بضمنها قضايا: الأخلاق والذوق ومفاهيم الإهانة، ولكن في حدود هذه الشروط.

إن مجرد الوعي بأن الصدام اليوم داخل الغرب وبين الغرب والآخرين هو، الى حد كبير، صراع حول التعبير الثقافي عن الحرية، خطوة كبيرة الى الأمام. أما الوعظ كما فعل جورج بوش تكرارا خلال عهده الكارثي

[81] Soyinka, W. “Psychopaths of Faith vs, the Muse of Irreverence” *New Perspective Quarterly*, (spring 2006) vol. 23, no. 2, p.12

بأن "الحرية" هي الحل لكل مصائب العالم، فهو خطاب كسيح وخطر ويماثل ماينادي به المتطرفون السلفيون من أن "الاسلام هوالحل" بدون التمييز بين الإيمان برب واحد، وفرض الشريعة على طراز طالبان.

إن الفهم الأعمق للقوى خلف الصدام داخل الغرب نفسه، يقدم رؤية قيمة أيضا لعنف رد الفعل بين الاسلاميين المحافظين ثقافيا، على أساليب الغرب. الإرهاب هو الحافة النازفة من ذلك الصدام.

الفصل الثامن

كتائب عاصفة الإعلام الغربي ضد الإسلام

قبل أن يفكر أسامة بن لادن بالهجوم على البرجين التوأم في نيويورك بوقت طويل، استشعر أكبر أحمد وهو باحث باكستاني وسفير سابق الى بريطانيا، عقلية الحصار التي تجتاح العالم الإسلامي. بالنسبة لأحمد كانت أفلام هوليوود و(سي إن إن) و(إم تي في) (كتائب عاصفة) الغرب في عيون الكثير من المسلمين. وقد كتب في **1986** [82] بعد رحلة طويلة في أرجاء قرى الحدود الباكستانية– الأفغانية حيث بدأ طالبان " لقد هلّ فجر وسائط الإعلام الترفيهي في المجتمع الإسلامي" وأضاف:

"يحتاج المسلمون أن يواجهوا حقيقة أن لا مهرب الآن ، ولا تراجع، ولا مخبأ من الشيطان. وكلما ازدادت الثقافة الدينية التقليدية في عصر الإعلام هذا، ازداد الضغط على تلك الثقافة للاستسلام. وتحت طبقات من الفوارق الدقيقة التي لا تكاد تدرك ، يصبح الإصطدام بين الحضارة الكونية النابعة من الغرب ، والاسلام، حربا مباشرة بين مقاربتين للعالم، فلسفتين : أحداهما مؤسسة على المادية العلمانية والأخرى على الإيمان. أحداهما رفضت المعتقد تماما والأخرى وضعته في مركز نظرتها للعالم ". ويستمر أحمد "الآباء المسلمون ينفرون من الإعلام الترفيهي الغربي بسبب عالمية وقوة وانتشار صوره التدميرية وبسبب خبثه وعدائه للاسلام. وأفلام الفيديو التي تصاحب أغاني البوب تظهر صورا أكثر غرابة من مادونا وهي تمارس العادة السرية الى مايكل جاكسون وهو ينسخط الى نمر"

[82] Ahmed, A. (1995) “Media Mongols at the Gates of Baghdad” in N. Gardels (ed) *At Century’s End*. Algi, pp.22-4

وتخيل أكبر بأن الأمر كان ولابد "مثلما حدث في **1258** حين تجمع المغول خارج بغداد لتحطيم أعظم امبراطورية عربية في التاريخ الى الأبد. ولكن في هذا الوقت ، سيكون القرار نهائيا. إذا هزم الإسلام فلن يعود ثانية" *

وبطرق عديدة تعتبر ملاحظات أكبر، رغم انها وصفية، صدى لأفكار سيد قطب المتشدد السلفي التي اصبحت مشهورة الآن، وهو الذي ألهم أسامة بن لادن وأتباعه بأفكار انحلال وانحاط الغرب الذي اختبره (سيد قطب) أثناء زيارة للولايات المتحدة في **1948**.

وأفكاره توضح انشغال المسلمين المستمر وخشيتهم من التأثير الثقافي الأمريكي المتفوق والزاحف الى قلوب وعقول الأمة.

وتروي بعض مقاطع كتابات قطب القصة كلها. بالنسبة له تبدو أمريكا "قطيع طائش مخدوع لا يعرف سوى الشهوة والمال" ومثل الكثير من الإسلاميين المتطرفين يبدو مهموما بالجنس وحرية المرأة "تنظر اليك فتاة، تبدو وكأنها ملاك ساحر أوعروسة بحر هاربة، ولكن ما أن تقترب، لا تشعر الا بالرغبة الصارخة داخلها ويمكنك أن تشم رائحة جسدها المشتعل، ليس رائحة عطر وانما مجرد لحم "83

أكبر أحمد أقل خوفا فيما يتعلق بالهيمنة المطلقة اليوم طالما هناك انفجار في الإعلام الإسلامي، خاصة في العالم العربي من الجزيرة الى

---

[83] Wright, L. (2006) *The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/11*. Alfred A. Knopf, pp.11-12

مهرجان الفيلم في دبي الى انتشار مواقع الانترنيت ، التي تشمل لسوء الحظ المواقع الجهادية التي تشجع على الإرهاب، مباشرة. هناك أكثر من **200** قناة فضائية عربية ، ومع ذلك فإن جوهر مخاوفه تظل : حرب ثقافية تصطم فيها وسائل الاخبار الغربية والترفيه العلماني اللبرالي بقوة مع أفكار التقوى الإسلامية اضافة الى تغذية الغضب حول الإذلال على أيدي الغرب متمثلا باستمرار بما يرونه من احتلال ظالم لفلسطين.

يشارك أفكار أحمد الى حد ما، فرانسيس فوكوياما الذي يرى الصدام الكوني امتدادا لحروب أمريكا الثقافية فيقول" هناك حرب ثقافية داخل الولايات المتحدة منذ فترة طويلة فطالما انتقد المحافظون ثقافيا واليمين المتدين هوليوود للاستهانة بقيم العائلة والعقيدة ، بمعنى أن موقفهم لا يختلف عن موقف أسامة بن لادن. إن انعدام القيم الذي تعكسه الثقافة الجماهرية الأمريكية هو المشكلة "84

ولكنه سرعان مايضيف "من الواضح أن المتطرفين المسلمين لايقبلون الإطار الأساسي للتسامح اللبرالي الذي تشن في حدوده الحروب الثقافية الأمريكية ولكن هناك علاقة ما. مانراه اليوم على المسرح العالمي هو بشكل ما، امتداد لحروب أمريكا الثقافية."

يشارك زبجنيو برجنسكي ، مستشار الأمن القومي المتشدد في عهد جيمي كارتر، رؤية فوكوياما ، ربما لأنه كاثوليكي روماني محافظ. يعتقد

[84] "The Challenge of Positive Freedom" Interview with Nathan Gardels. *New Perspectives Quarterly* (Spring 2007), vol.24, no.2, pp.53-6

برجنسكي أن الثقافة الأمريكية أصبحت "الوفرة الإباحية" مما يقلل من قدرة أمريكا على أن تكون قدوة للآخرين. ويقول "على الأمريكيين مواجهة حقيقة أن ثقافتنا الجماهيرية تكثف الإنشقاقات الثقافية في أرجاء العالم"

"وبخلافه، فإننا لسنا في وضع يمكننا أن ننتقد الثقافات الأخرى بسبب مبادئها الدينية المتعلقة بالعلاقات بين الجنسين"[85]

ربما أكثر القضايا صعوبة للبحث هو الى أي مدى يمكن أن تكون رسالة الاعلام الأمريكي أداة للتحرر، مقابل المدى الذي تلهم به ردود أفعال عنيفة ودفاعية تتبلور بشكل تحديات سياسية. هذه أحجية جديدة لا سابقة لها في التاريخ من أحجيات مابعد – بعد الحرب الباردة لأمريكا والغرب عموما.

ومثل (بنت عمها) الماركسية في الفلسفة، تفترض اللبرالية عالميتها، وقد افترضنا أن تعريفنا لمصطلح (الحياة الجيدة) سيشاركنا فيه الجميع لو خلى الطريق من القسس والأوتقراط والقوميساريون والمتسلطون . وبالتأكيد لم تخطر على بالنا في أيام انتصارنا بعد الحرب الباردة، فكرة ان البعض قد لايتبنى تطرف الحرية ، بل ربما قد يفضلون الإنضباط والسلطة، وقد يكون لهم النفوذ في يوم من الأيام لرفض خطابنا العلماني

[85] "Hostility to America Has Never Been Greater" Interview with Nathan Gadels. *New Perspectives Quarterly* (summer 2004), vol.21, no.3, pp.5-9

واللبرالي . ومثل الماركسية ، بهذا المعنى، لم تكن لدينا نظرية سياسية حول كيفية التعامل مع التعددية الثقافية.

وطالما أن الثقافة ليست كائن ميت فلا يمكن قياس تطورها ، وصداماتها المستمرة وانصهاراتها، بسهولة. ولكن يمكننا على أية حال فحص الحالات الجديدة التي توضح بجلاء، التأثير ذا الحدين للثقافة الجماهيرية الأمريكية على العالم وخاصة العالم الإسلامي.

الخروج من الإطار

قال ألفن توفلر **Alvin Toffler** المؤمن بالنظرية المستقبلية ومدمن الأفلام ، ومبتكر مصطلح "صدمة المستقبل" ، ذات مرة ، بأن قوة السينما أو برامج التلفزيون انها يمكن ان تنقلك الى واقع بديل بدون مخاطر النزوح وعدم الاستقرار والأمان الذي يصاحب التغيير عادة. ويرى عالم الدراسات الإجتماعية للإعلام مانويل كاستيلز **Manuell Castells** نفس قوة النقل التي قال بها توفلر، ولكنه يمنح وزنا أكثر للتأثير.

المغامرة في داخل واقع آخر ، بالنسبة لكاستيلز ، من خلال السينما او اي وسيلة صورية أخرى او حتى متخيلة ليست بدون تكلفة، لأن إلقاء نظرة على واقع مغاير، يمكن ان يحث على التجديد "أريد أن أعيش بهذه الطريقة" أو يحرض على رد فعل "طريقة الحياة هذه خطر على

طريقة حياتي" وبالتأكيد ، يفسر هذا التحليل، الخليط الغريب والغامض من الحب والكره الذي تبعثه الثقافة الجماهيرية الأمريكية حول العالم.

توضيحا لكيفية اختلاف اشعاع موشور الثقافة الشعبية الأمريكية باختلاف الناس، نشير الى مناقشات أجريناها مع أربع نساء لتقييم التأثير على القلوب والعقول. النساء هن : عيان هرسي علي مؤلفة كتاب (كافرة) وهي مذكرات تحولها عن الإسلام ، ومعصومة ابتكار التي كانت طالبة اصولية وصعدت لتشغل أعلى منصب لإمرأة في الحكومة الإيرانية ، وبنازير بوتو رئيسة وزراء الباكستان لمرتين والتي اغتيلت في **2007**، ومادلين أولبرايت وزيرة خارجية امريكية سابقة. ولنختتم الموضوع أوردنا انطباعات هاريس سيلاديتش رئيس وزراء البوسنة خلال الحرب حول كيفية تأثير الصور في إحباط الناس او الإرتقاء بهم في مجتمعات تمر بمراحل انتقالية صعبة.

(من المعجب الخفي الى كافرة)

"اذا ذهبتما الى "بيت الشيطان" سوف تفقدان روحيكما وتجلبان المصائب على حياتيكما" هكذا حذرت الجدة علي وهي امرأة امية من البدو الصوماليين ، عيان وشقيقتها وكانت ترعاهما في نايروبي. كان يوما قائضا طويلا حد الملل من أيام **1984**، ولكن على أية حال، لم تستطع عيان وكان عمرها **15** سنة وشقيقتها من كبح جماح فضولهما وانطلقتا ، بدلا من قراءة القرآن كما كانت جدتهما تطلب منهما كلما

خرجت من المترل، الى ارتداء حجابيهما والتسلل عبر أزقة نايروبي الى السينما.

هناك ولأول مرة في حياتيهما ، شاهدتا شيئا صادما: ولدا يقبل بنتا في العلن على الشاشة بشكل طبيعي وصريح وكأنهما يقشران البطاطا الحلوة تحضيرا للعشاء في المترل. كان الفيلم بعنوان "المعجب الخفي" – وقد انتجه للمصادفة احد مؤلفي الكتاب الذي بين يديك – كان من الأفلام الهازلة التي لايمكن تذكرها بالنسبة لمن شاهده في أمريكا ، ولكن الفيلم غيّر حياتيهما.

ماهو هذا الكوكب الآخر الذي يعيش فيه الناس هكذا؟ كانت أمريكا المعروضة على الشاشة تقدم واقعا بديلا لم تستطع الفتاتان – بسبب تجربتهما الخاصة– تخيل مثله.

ومع اندفاع الطوفان وتحطم الأبواب وانتشار التلفزيون في حي هيرسي علي ، اعتاد المزيد من الأطفال مشاهدة البرامج التلفزيونية، مستدعين الشيطان الى بيوتهم. تتذكر هرسي علي بشكل خاص مسلسل "ضربات مختلفة" وفيه يعيش جاري كولمان مع عائلة بيضاء.

بشكل ما، كانت جدة هرسي علي محقة، فإلى جانب تجارب أكثر خطورة : من قطع بظريها في سن مبكرة الى زواج مدبر، كان الطريق الذي حطت عليه هذه الفتاة الصومالية الشابة في ذلك اليوم بتعرضها لفيلم هوليوودي سخيف، قد أدى بها بعد سنوات الى الإلحاد والتصدي

للإسلام التقليدي وقوانين الشريعة الإسلامية التي تعتبرها هرسي علي اليوم "قانون عشائري متقدم"

وكما تسرد في مذكراتها (كافرة) فقد حلت المصيبة في حياتها بالتأكيد بعد هجرتها الى هولندة وكتبت سيناريو فيلم "خضوع **Submission**" حول اساءة معاملة النساء في الثقافات الإسلامية . وقد اغتيل صانع الفيلم ثيو فان جوخ وهو من رواد السينما ومتحدر من عائلة الرسام الهولندي الشهير، على يدي مسلم متطرف في شوارع امستردام. نحرت رقبته وثبتت على صدره بسكين ورقة تقول "عيان هرسي علي التالية" .

تعيش هرسي علي الآن في الولايات المتحدة وتحاول ان تنظم حمايتها الخاصة، طالما أن الحكومة الهولندية لا توفر لها ذلك الا على أراضيها وهي ذات المكان الذي يزداد فيه الخطر على حياتها. ولكن لأنها تقف في تحد على حافة مفصل الصراع بين الغرب والإسلام المتطرف – دور النساء – فإنها بالتأكيد وبحق تشعر انها مهددة في كل مكان.

وبعد أن جربت تأثير السينما على حياتها الخاصة، فهي مصممة الآن على إقناع هوليوود بالتوقف عن اغفال مسئوليتها وتركيز مواهبها على المساعدة في ارتقاء المرأة المسلمة خاصة تلك التي في أفريقيا والعالم العربي، حيث تسود الأعراف، الى مايتجاوز حياة القمع التي تعيشها النساء هناك، بتقديم صورة مقارنة للمرأة المعاصرة في المجتمعات الأخرى وهي تعيش حرة وبكرامتها.

من الشاه الى سبايس جرلز (بنات التوابل)

خلال نشأتها في إيران الشاه، كانت معصومة ابتكار فتاة جادة ومتدينة ، يغضبها ما تراه من انحلال وفساد في النظام المواكب للعصر والمتحالف مع الولايات المتحدة ، وبدلا من أن تنجذب الى الغرب بما تراه في الأفلام أو تسمعه في موسيقى الروك آند رول ، نفرت منه. ومع ازدياد قمع الشاه وميل ايران نحو الغرب، تحولت معصومة الى ثورية متطرفة، وعلى خلاف الكثير من الفتيات المراهقات كان معبودها آية الله الخميني وليس مايكل جاكسون.

حين هرب الشاه في **1979** وعاد الخميني من المنفى، لم تكن فقط من بين الطلاب الذين اقتحموا السفارة الأمريكية واحتجزوا الدبلوماسيين رهائن ولكنها كانت الناطقة الرسمية. وكانت خطبها النارية المنفعلة اليومية الصادرة عن مقر السفارة ، تمهيدا لتطهير كل الأصوات العلمانية والمعتدلة في الثورة، لتفسح الطريق لحكم اسلامي حسب الشريعة.

بعد أكثر قليلا من عقدين من السنين ، صعدت ابتكار الى منصب نائب الرئيس ووزيرة البيئة في حكومة محمد خاتمي الإصلاحية مما جعلها المرأة الأعلى مرتبة في إيران. وكان ذلك في **1998** حين وافقت على الحديث معنا، كجزء من "حوار الحضارات" الذي بادر به خاتمي وأهمل الآن، من أجل تحديد شروط مستقبل العلاقات الإيرانية مع الغرب.

جاءت مسربلة بشادور اسود من أعلى رأسها الى أخمص قدميها، وقد تجنبت مصافحة ايدينا حين التقيناها. كان السؤال الرئيسي واضحا: الحوار بين الحضارات لايعني الجلوس مع صامويل هتنغتون في صالة ندوة أكاديمية. بل يعني معالجة كيف تنوي الثورة التي اطاحت بالشاه، ان تتعامل مع (إم تي في) وموسيقى الميتال الثقيلة التي راجت كما قيل بين المراهقين الذين يستمعون اليها في غرف مظلمة في حين يجوب حراس الفضيلة الشوارع في الخارج.

أقرت بسرعة قائلة "إن ابواب العالم اليوم مشرعةعلى مصراعيها، أردنا ذلك أم لم نرد. إن شبابنا مثل الشباب في المجتمعات الأخرى – ينجذبون الى البريق الظاهر لثقافة الترفيه هذه . أليس من حقنا أن نمرح في مجتمعنا الإسلامي؟" وتقول نصيرة المرأة الإسلامية هذه انها تُسأل دائما "هل الاسلام دين يمنع الجميع من التمتع بالحياة؟ ولا يمكن انكار انه من الصعب على الثورة الإسلامية ايجاد نموذج آخر للمتعة والإشباع غير نوع الحياة الجامحة التي تروج لها – اذا استخدمنا التعبير الشائع – هوليوود باعتبارها عالمية"

من وجهة نظر ابتكار، انها مسألة تنوع ثقافي:

"هل يجب علينا أن نتلزم بوجهة نظر هوليوود عن الطبيعة الانسانية، التي تؤكد دائما على ماهو حقير في البشرية بدلا مما هو نبيل؟ ماذا عن الكرامة الإنسانية ، خاصة تصوير النساء على أنهن لايزدن عن

كونهن سلعا جنسية. أليس هناك شيء في الوجود أكثر من الحالة الإستهلاكية وبعض لحظات المتعة في حياة بغير ذلك فارغة ولامعنى لها؟

أعتقد أن الإرث الأساسي لثقافة الغرب الإستهلاكية لما بعد الحداثة هي الاستمتاع اللحظي بالحياة ، على حساب عدم الاهتمام ببقية المجتمع او مستقبل العالم، كما لو انه من الممكن أخذ إجازة دائمة من الواقع . بشكل أساسي هذا هو العيش بدون مسئولية . إن أعظم مأساة في زمننا كامنة في ثقافة هوليود"حياة مجردة من بُعدها الروحي"

حين نتذكر أيام نضالها وهي تحتجز رهائن في السفارة الأمريكية ، وهو أمر لا تعتذر عنه، تقول ابتكار وهي تدرج مهام الثورة "لقد واجه جيلي الهيمنة السياسية والعسكرية للغرب. كان علينا أن نتعامل مع الشاه. على الجيل الأصغر أن يواجه سبايس جرلز **Spice Girls** . ليس على الغرب اليوم ان ينشر جيوشه وأساطيله البحرية، فقط فضائياته وبثه التلفزيوني . وهذا خطر أكبر على الإسلام"

بحلول **2005** خسرت الحكومة الإصلاحية التي خدمت فيها ابتكار بمناصب رفيعة ، أمام محمود احمدي نجاد الأكثر تطرفا والذي أصبح رئيسا. في **2006** عادت ابتكار وإصلاحيون آخرون بعد أن اكتسحوا الانتخابات المحلية في طهران وأماكن أخرى في مؤشر على سخط الشعب على الإداء السيء لأحمدي نجاد الذي كان يبعثر جهوده في انكار الهولوكوست بدلا من خلق وظائف.

وحقيقة أن معصومة ابتكار هي من كبار المصلحين في المضمون الإيراني يؤكد الهوة الثقافية بين المؤمنين الإسلاميين والغرب.

في الجارة العراق ، هناك الكثير الذين لايشترون ما تبيعه أمريكا من الناحية الثقافية.

والمرء ليتساءل ماذا كان سيدور في خلد آية الله العظمى علي السيستاني الزعيم الشيعي الذي سلمته الولايات المتحدة، العراق ، من خلال انتخابات ديمقراطية ، لو كان قد شاهد جانيت جاكسون خلال تغطية دوري كرة القدم قبل عدة سنوات. لابد أنه كان سيجلس مربّتا على لحيته البيضاء الطويلة في غرفته الصغيرة بمعتكفه في النجف، مفكرا بأنه يكفي سوءا ماتفعله فرنسا، مهد الغرب العلماني ، من تحريم الحجاب للبنات المسلمات . و لكن الأسوأ – كما قد يكون دار في ذهنه– هو إصرار جانيت جاكسون على فرض الفسوق بتعرية ثديها أمام عشرات الملايين من المشاهدين. هل هذا مانريده في ديمقراطيتنا الإسلامية ؟ ربما كان هذا هو السؤال الذي سيطرحه. بدون شك، كان سيوجه أي شخص يريد جوابا لذلك السؤال الى موقعه www.sistani.org الذي يبدأ بإسباغ البركات على الخطاة ومن ذلك "السلام على النساء الطاهرات اللواتي انتزع منهن الحجاب" كما أن الموقع يرد على أسئلة المؤمنين

بالنصيحة، مثلما قيل جوابا على سؤال رجل من الإمارات العربية :"كلا .. عزف الجيتار ، حرام"86

طالبان والزوجات اليائسات

منذ 11 سبتمبر ، كان الجسر المفترض بين الغرب والإسلام هو باكستان، ولكن الهوة ازدادت اتساعا . إمرأة اخرى متفرنجة تماما أكثر من أي زعيم آخر في أي بلد مسلم، قدمت رؤية تفسر أسباب ذلك .

حاولت بنازير بوتو التي اغتيلت أثناء حملتها لعودة الديمقراطية في أواخر 2007 أن تضع حدا للاسلاميين الرجعيين خلال فترتي حكمها كرئيسة لوزراء باكستان بضمنها كبح جهاز استخباراتها الذي كان يخطط بنجاح لتنصيب طالبان في الجارة أفغانستان.

حين كانت في المنفى ناقشت تأثير الثقافة الجماهيرية الأمريكية على شعبها المصطف حاليا، ولو من خلال دكتاتورية ، الى جانب الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب – خلال زيارة لمنزل قريب لها في التلال التي يحيطها الضباب فوق بومونا في كاليفورنيا. قالت:

"داخل العالم الإسلامي ، كلمة – جنس– ممنوعة . الجنس لا يناقش. لهذا هناك رد فعل ضد الجرعة الجنسية المكثفة التي تأتي عبر

86 Sistani, A.A. (2005) Sistani.org: The Official Website of Grand Ayatollah Sistani; “When Janet Jackson Meets Ayatollah Ali al-Sistani” *New Perspectives Quarterly* (spring 2004), vol.21, no.2, pp.2-4

الثقافة الجماهيرية الأمريكية من الموسيقى الى الأفلام الى مسلسلات التلفزيون. انظروا الى "ربات بيوت يائسات **Desperate Housewives**" على سبيل المثال. في مجتمعات أمية وعشائرية في الغالب، ينظر الى أمريكا من خلال هذا المنظور على أنها مجتمع لا أخلاقي" وتضيف وهي تعدل حجابها :

"إن الصدام في العالم الإسلامي اليوم هو بين اولئك الذين يريدون الفوز المادي واولئك الذين يسعون للفوز الروحي. الساعون الى الفوز المادي يريدون أن يواكبوا المسيرة العالمية ولكن المتشددين يقولون "كلا .. ينبغي الا تسعوا وراء المال والحياة المرفهة . بل ينبغي طلب الحياة البسيطة كما كان المسلمون الأوائل يعيشونها"

تقول بوتو أن المتشددين يستغلون التوتر ليدفعوا الناس للشعور بأنهم يبيعون الإسلام اذا تعاطفوا مع الغرب. "إنهم يستغلون المجتمع المفرط في الجنس والبعض يقول المنحل ، الذي يعكسه الإعلام الغربي ويقولون أن مواكبة العولمة يعني أن تكون فاسدا روحيا. هذا رغم حقيقة أن المجتمع الأمريكي في معظمه شديد التدين بغض النظر عن الصور التي تعكسها هوليوود"

مما يؤسف له أن بوتو كانت تفهم الوضع جيدا جدا. حين اغتيلت في ديسمبر **2007**، اشارت الحكومة الباكستانية الى أن المدبر الرئيسي هو بيت الله مسعود وهو وثيق الصلة بمولانا قاضي فيض الله المعروف محليا في منطقة القبائل في جنوب وزيرستان بلقب "ملاّ إف إم

"Mulla F.M" الذي يجامل رعيته المتطرفة بإدانة تعليم البنات ومقاومة تلوث الثقافة الغربية بحرق أجهزة التلفزيون. وكان يقول لأتباعه أنه في عين الله "حرق جهاز تلفزيون يعادل قتل ثلاثة يهود"[87]

إهانة في كانساس ، إهانة في كراتشي

ربما لأنها لم تكن المرأة الأولى فقط وإنما الأم الأولى التي تصبح وزيرة للخارجية ، فإن مادلين اولبرايت تنظر الى العالم بشكل مختلف كثيرا عن سابقيها.

بالنسبة لها ، فإن الشئون الدولية ليست فقط معاهدات رسمية أو حجم القوات المسلحة ولكنها ايضا الثقافة واسلوب الحياة والإلتزامات الدينية. تحدثت معنا في مارس **2006** حول هوليوود والستينيات والآباء والإسلام.

"بالتأكيد كان لروح الستينيات تأثير كبير على نظرة العالم الإسلامي المحافظ والتقليدي، لأمريكا. بدون شك إن الوجه الذي نعرضه شديد الإباحية . لابد أن اقول لكما اني أشعر بالرعب كلما شاهدت بعض مسلسلات التلفزيون الأمريكية على شاشات اسطنبول او القاهرة. ماذا يمكن أن يدور في رأس هؤلاء الناس حول أمريكا؟ لقد قلل ذلك فعلا من قدرتنا على تقديم أنفسنا كنموذج يحتذى به.

[87] Ali, Z and King, L "Pakistan Signs Truce with Militant Faction" *Los Angeles Times*, May 22. 2008

المشكلة هي أن التحديث ، مثل العولمة ، ليس شيئا يمكنك إيقافه. عليك أن تدبر إمكانية تلطيف أسوأ جوانبه. ونحن نواجه وقتا عصيبا في اللحظة الراهنة ، لإننا لسنا في مركز يؤهلنا للترويج للجوانب الإيجابية بسبب كثرة الأشياء السلبية. يمكنني ان أفهم تماما شعور أهل كراتشي بالإهانة من انحرافات الثقافة الجماهيرية الأمريكية لأن هناك مثلهم في كنساس أيضا. هناك رد فعل للإباحية المفرطة التي نراها في ثقافتنا. أشعر اني مثل عجوز نكدية وأنا أقول هذا ، ولكني أفهم هذا تماما. لقد أنشأت عائلة ولا استطيع أن اعدّ الأوقات التي كنت اطفيء فيها التلفزيون أو أغير القناة أثناء تنشئة بناتي.

جزء مما حدث يرجع الى أن جوانب معينة من أمريكا مما رآه الناس حين كانوا يشاهدون مسلسلات مثل دلاس أو ديناستي قد أصبح جزءا من الثورة العالمية للآمال الصاعدة. لقد خلقت الرفاهية الظاهرة في هذه المسلسلات رغبة لدى الجمهور في مواكبتها وأيضا الحسد، بسبب الحرمان منها. لقد جعلت هذه المسلسلات الفرق بين العالم الغني والعالم الفقير واضحا. الآن لدينا شيء آخر: العنف والجنس والسوقية. وهذه أشياء تؤذي مشاعر الناس. هذا ليس مايسعون للوصول اليه. وهذا مجتمع لا يرغبون في الإقتداء به.

ماذا يمكن أن نفعل لتصحيح ذلك ؟.

سؤال طرحناه على وزيرة الخارجية السابقة . أجابت:

"لايمكن أن نلجأ الى الرقابة والمنع. مانستطيعه هو أن نناشد المبدعين في صناعة الترفيه أن يطوروا احساسا باللياقة. ينبغي أن يكون لديهم شعور بالمسئولية ولكن ببعد عالمي لأن هذا هو العالم الذي نعيش فيه اليوم. لايمكن لأي فرد في الغرب ان يصرح علنا بأنه ينبغي منع نشر هذه الرسوم المصورة للنبي، ولكن ماينبغي أن يفعله المرء هو ادراك انه هناك حاجة للياقة والمسئولية اذا أردت ان تعيش في مجتمع يحمي حريتك للتعبير.

ما نحتاج الى إدراكه فوق كل شيء ، هو أننا نعيش الآن في عصر تقنية المعلومات التي يمكن بواسطتها نشر أي شيء. يمكن نشر الدين أيضا بهذه الوسيلة. في الواقع اننا نرى ذلك مع المبشرين الإذاعيين. البعض يساعد بنشر رسالة أمل وحب ووحدة وتسامح ومسئولية وآخرون ينشرون رسالة كراهية وفرقة. (نحن) ضد (هم). هذا جزء من الموشور الذي ينبغي رؤية السياسات والعلاقات الدولية اليوم على ضوئه. لايمكنك إغفاله لأن وسائل الإعلام تربطنا جميعا."

عصر اللامعلومة

ربما أكثر التحليلات دقة للتحديات التي تجابه الإسلام في عصر المعلومات هو ما قدمه هاريس سيلاجيك رئيس وزراء البوسنة من 1992 الى 1995 وكان سيلاجيك قد أنهى تعليمه الديني في ليبيا، وكان والده إماما في أكبر مساجد سراييفو.

وفي رأيه أن البوسنة مثل ايران ومصر وملاييزيا وباكستان تحاول أن تخطو نحو الحداثة فيقول:

"في حين أن ثورات التعليم والإتصالات والسفر قد عرضت المسلمين العاديين للرموز المادية البراقة للحداثة، فإن مثل هذا الواقع يظل بعيد المنال عن الجميع ماعدا واحد أو اثنين بالمائة من السكان. وهكذا هناك إحباط وغضب. ومن أجل ملء هذه الفجوة بين الأحلام والواقع يميل الناس الى التمسك بما يثقون به ! هويتهم الثقافية ودياناتهم. ودين الإسلام خاصة ، يمنح الراحة ، لأنه شامل، فهو يقدم أجوبة لكل أحوال الحياة بضمنها جواب على الفراغ الروحي للغرب"[88]

ومما يقلق سيلاجيك أن الغرب يعتبر هذه العودة لحضن الدين الدافيء تطرفا :

"مثل مسلمي الشرق، فإن رؤوس الغربيين هذه الأيام مثقلة بالمعلومات الى المدى الذي لايستطيعون معه تنظيم عالمهم إلا بالتصنيفات والإرتكان الى التحيز.

صور الأماكن النائية تصبح واقعا. وسواء نظرت من الشرق الى الغرب أو بالعكس، فإن فهم التعقيدات يبدو رفاهية لا يتحملها زماننا سريع الإيقاع، وتسارع وسائل الإعلام لتقريب الناس أكثر من أي وقت

[88] Silajdzic, H. (1997) “Islam: Postman of Civilization”, in N. Gardels (ed), *The Changing Global Order*, Blackwell, pp. 44-5

مضى ولكن الناس ليسوا مستعدين بعد. طبيعة الإنسان تدرجية ، تحتاج الى وقت لاستيعاب التغيير والتكييف والتعايش الحضاري. المعلومات يمكن ان تكون مفيدة ولكنها يمكن ان تكون خطيرة أيضا، اذا كانت سرعة الطوفان لا تخلق سوى افكارا كاذبة وقلقا وريبة"

ومع قدوم عالم متعدد الأقطاب حقا، ثقافيا وسياسيا واقتصاديا، سوف تتفجر تعددية هائلة من سرد القصص. السؤال هو ما إذا كنا سنلتقط عبر منابرنا المتشظية كما يخشى سيلوجيك ، مقاطع موسيقى او كليبات فيديو أم سوف ننصت حقيقة ونفهم قصص الآخرين؟

الفصل التاسع

قصص جديدة ،

جماهير جديدة في عصر العولمة

عازف التشيلو يويوما المشهور بمشروعه "طريق الحرير" الذي يدعو الى التبادل الفني على طول طريق التجارة الذي كان يربط العالم قديما، ينظر الى مستقبل عولمة الثقافة عبر النظر الى الماضي.

الثقافة في نظر يويوما هي "نسيج" يحاك من خيوط كثيرة تأتي من تاريخ ماض كما تأتي من كل ركن من العالم ويقول موضحا "في جوهر ريبرتوار أي عازف تشيلو هناك معزوفة باخ "مقطوعات التشيلو **Cello Suites**" وفي قلب كل مقطوعة حركة راقصة تسمى سربند. وهذه الرقصة تمتد جذورها الى موسيقى البربر في شمال أفريقيا حيث كانت رقصة بطيئة وحسيّة. ثم ظهرت فيما بعد في أسبانيا حيث حظرت باعتبارها داعرة وشهوانية. ونقلها الأسبان الى الأمريكيتين . ولكنها انتقلت أيضا الى فرنسا حيث أصبحت رقصة البلاط. في عشرينيات القرن الثامن عشر دمج باخ السربند في معزوفته "مقطوعات التشيلو" . اليوم أنا أعزف باخ. وأنا موسيقي أمريكي مولود في باريس من أصل صيني" 89

سوف تنتج العولمة هذه الأيام خليطا جديدا من التأثيرات الثقافية عبر الأشكال الفنية ووسائط الإعلام الترفيهي لهذا العصر – ليس فقط من خلال الموسيقى والفنون الجميلة ، ولكن ايضا من خلال مسلسلات الإنترنيت وألعاب الفيديو والتلفزيون والأفلام ، سوف يكون هناك

---

[89] Ma, Y.Y. “Paths of Globalization: From the Berbers to Bach” *International Herald Tribune*, Jan. 29, 2008 (from Global Viewpoint)

العديد من مركبات التأثير، من الحضور المتزايد للأفلام الإيطالية والصينية في الغرب الى دراما التلفزيون اللاتينية شديدة الرواج الى الاستقلال الثقافي للشاشات الفضية الوطنية في كل مكان، من الانتاج المشترك عبر العالم من قبل شركات عملاقة مثل دزني الى الظهور المؤمل لسينما معولمة جديدة.

باختصار، إننا في عالم الإعلام والترفيه، نرى لازمة "صعود البقية" التي وصفها فريد زكريا وباراج خانا في عالم السياسة والاقتصاد، بضمنها حضور أعظم في الغرب للمنتجات غير الهوليوودية ومنافسة ثقافية أكبر في أسواق كانت تسيطر عليها هوليوود سابقا.

في اكتوبر **2008** وعد فلاديمير بوتين بمنح صناعة السينما الروسية **76** بليون دولار من أجل انتاج إفلام "تهدف الى خلق نظام من القيم يتناسب مع مصالح المجتمع الروسي والأهداف الستراتيجية للتنمية الوطنية ". وقد أذهل الجماهير في الغرب انفجار السينما الهندية في افلام مثل "زواج موسمي **Monsoon wedding**" وحتى بعض الإفلام الموسيقية من بوليوود. أما فيلم أنج لي "النمر الرابض ، التنين الخفي , **Crouching Tiger, Hidden Dragon**" فهو أكثر الإفلام ،غير الناطقة بالانجليزية، ايرادا في كل الأوقات[90].

[90] Pocha, J. “The Rising “Soft Power” of India and China” *New Perspectives Quarterly* (winter 2003) vol. 20, no. 1, pp 4-13

ويمكن أن ترى نفس الظاهرة في التلفزيون، فعلى مدى سنوات كانت أكثر البرامج شعبية في العالم هي "الجريء والجميلة **The Bold and the Beautiful**" وهو انتاج أمريكي اجتذب **500** مليون مشاهد من **98** دولة حتى عام **2000** . اليوم مسلسل "عائلة سمبسون" حسب صحيفة "هوليوود ريبورتر **Hollywood Reporter**" " يجتذب ، على أكثر احتمال أوسع مشاهدة تلفزيونية عالمية في أي وقت، و ثمة أجيال مضاعفة من المعجبين يقدر عددهم بالملايين في أنحاء العالم يحولون القناة على المسلسل كل يوم. تبين الإحصاءات أن هناك **50** مليون مشاهد في أكثر من **100** دولة يشاهدون هذا المسلسل يوميا كل اسبوع"[91]

ولكن هذه المسلسلات الرائجة تعرض، هذه الأيام، على أية حال، على الشاشات الصغيرة في كل مكان، الى جانب الدراما التلفزيونية من أمريكا اللاتينية التي تجتذب **2** بليون مشاهد في **100** دولة، بضمنها روسيا والصين[92].

تنتج هذه الدراما التلفزيونية **Telenovelas** في فنزويلا والبرازيل وكولومبيا ولكن الواجهة الأصلية هي مدينة المكسيك "مع الدراما التلفزيونية ، لديك منتَج عالمي : ضحك ودموع بسعر جيد جدا" كما قال مارتن لونا اورتيجوثا مدير انتاج الدراما لتلفزيون ازتيكا **Azteca**

[91] Brennan, S. "Simpsons' News Piques Interest of Foreign Press" *The Hollywood Reporter*, Sep. 18, 2008
[92] Chaffin, J. "Hispanics Warm to Telenovelas with an American Twist" *Financial Times*, May 25, 2006

ثاني أكبر منتج للدراما التلفزيونية ، في حديثه لصحيفة اريزونا ريبابلك **Arizona Republic** [93]

ويبدو أن هذه البرامج تتجاوز الانقسامات السياسية ايضا، فالمشاهدون في اسرائيل وجيرانها العرب يستمتعون بنفس المسلسلات. في الدول الإسلامية المحافظة، يقول مارسيل فيناي، نائب رئيس تلفزيون ازتيكا للمبيعات الدولية، تعدل النصوص ويمنتج الفيلم لحذف القبلات أو تفسير حالات الحمل خارج الزواج. وفي اسرائيل، يعدل المترجمون الفقرات والمفاهيم الكاثوليكية.

وطبقا لما يقوله لونا اوتيجوثا فإن مبيعات دراما التلفزيون في ازدياد بنسبة **25%** في السنة ، ويتسارع معدل المبيعات في اوربا الشرقية. وقد قام ستوديو تيليفيزا **Televisa** وهو المنتج رغم واحد للدراما التلفزيونية الشهيرة مثل (روبي **Rubi**) و(امرأة من خشب **Woman of wood**)، باطلاق مواقع بالروسية والإنجليزية للمعجبين[94].

بعد عودة جينادي زوجانوف، رئيس الحزب الشيوعي المنكمش، خلال أول انتخابات ديمقراطية في روسيا بعد انهيار الإتحاد السوفيتي في التسعينيات، ذهب صحفي لإجراء حوار معه، وأثناء انتظاره في المكتب

[93] Hawley, C. “World Staying Tunes to Mexico Telenovelas” *Arizona Republic*, Sept. 23, 2004
[94] Hawley, C. “World Staying Tunes to Mexico Telenovelas” *Arizona Republic*, Sept. 23, 2004

الخارجي، شهد سكرتيرات رئيس الحزب مأخوذات بمشاهدة المسلسلات المكسيكية اليومية، وعلى أسفل الشاشة شريط الترجمة الروسية.

وبشكل متصاعد، رغم ميلودراميتها المقصودة ، تتحول الدراما التلفزيونية الى قوة ثقافية. على سبيل المثال، حين تناول مسلسل برازيلي بعنوان (روابط عائلية) شخصية تحتاج الى زرع نخاع العظم بعد اصابتها باللوكيميا ، تغير الرأي العام عموما تجاه التبرع بالأعضاء حسبما نشرت البي بي سي.

وفي حين أن المنتجين الرئيسيين للدراما في المكسيك والبرازيل تعرضوا للنقد لولائهم للقوى السياسية الراهنة وعدم السماح لأي نقد للحكومة ،فإن هذا يتغير الآن حسب ماريا لوزا ألفيز من تلفزيون أزتيكا.

تقول" المزيد من الوقائع المثيرة للجدل بدأت في الظهور في الدراما المكسيكية" وتضيف "لقد تناولوا المثلية، وولادة طفل ذي احتياجات خاصة ، والإجهاض، والجنس قبل الزواج، وفي مجتمع كاثوليكي متعصب، أعتقد أن هذا شيء كثير للعرض في تلفزيون عام في وقت الذروة." 95

في بعض البلدان ، تضاءل المحتوى الأمريكي في التلفزيون وفي الأغاني الى حد كبير. في كوريا الجنوبية ، مثلا، فإن **92%** من برامج التلفزيون وألعاب الفيديو تنتج محليا. في أسبانيا بحلول عام **2000** شكلت

[95] Lizarzaburu, J. “How Telenovelas Conquered the World” *BBC News*, April 1, 2006

الموسيقى التي يقدمها فنانون من أسبانيا وأمريكا اللاتينية **60**% من قيمة المبيعات الإجمالية البالغة **1** بليون دولار، رغم ان "عائلة سمبسون" تذاع عدة مرات في الإسبوع.

في نفس الوقت يجد المضمون العالمي طريقه الى الولايات المتحدة. فمسلسل "بيتي القبيحة **Ugly Betty**" هو أصلا مسلسل كولومبي وقد تم تعديل الشخصيات المستنسخة المكسيكية والأمريكية لمواءمة المسلسل. وهذا ليس إلا مثل واحد، الى جانب مسلسلات مثل (المكتب **Office**) يظهر اسلوب هوليوود بتعديل "نصوص أجنبية" للبث في أمريكا من أجل التواصل مع أفكار جديدة يمكن أيضا اعادة تصديرها. يقول بن سلفرمان الرئيس المشاركة في شبكة إن بي سي للترفيه وستوديوهات يونيفرسال ميديا "اننا نفتح أبوابنا للعالم كله" ويضيف:

"اننا لا نتطلع الى مكان واحد فقط للبحث عن هذه الأفكار. أود أن اجلب طاقة مبادرات لقناتنا ونعمل مع شركاء أجانب لأن السوق الأجنبية غنية الى حد لا يصدق في الوقت الراهن، وإذا استطعنا الحصول على أفكار تبيع عالميا منذ البداية مثل (ابطال **Heroes**) فسوف تفيدنا حسب تمويلها[96].

[96] Fernandes, M.E. “Television Foreign Affair” *Los Angeles Times*, April 20, 2008

وكما أشارت لوس انجيليس تايمز في التقرير عن هذا الإتجاه "هذا النوع من التبادل الإبداعي يفيد الطرفين وهو دليل قاطع على تقلص مجال الترفيه العالمي" 97

وكما تنظر هوليوود حولها بحثا عن تأثيرات جديدة، يظل تأثيرها شديدا. فكثير من المسلسلات الرائجة في أمريكا تلقى شعبية في أنحاء العالم مثل : **CSI: Miami** ومفقودون **Lost** والأبطال **Heroes**

ومن غير شك أن هذا التبادل ذا الإتجاهين، سوف يتسارع كلما مكنت ثورة الإنتاج الرقمي والتوزيع كل الثقافات، وحتى الأفراد، للمنافسة في المربع الجماهيري العالمي.

لقد وفر انتشار المنابر عالميا فرص إعلام ترفيهي جديد هائل. إن "تسطح العالم" الذي سببه انتشار الاقتصاد الاستهلاكي الرقمي، يؤكد تخمين سامنر ريدستون رئيس فياكوم حيث قال "إن توزيع الإعلام الترفيهي العالمي هو بشكل متنام تيار موجي ذو اتجاهين" 98 فالبرامج الأمريكية تتدفق الى الخارج كالسابق ولكن يتزايد تمويل البرامج المحلية في الخارج من قبل شركات ابتكارية مثل فياكوم او دزني التي تسعى لتصبح لتقبّلها كعلامة تجارية محلية وليست أجنبية.

---

[97] Fernandes, M.E. “Television Foreign Affair” *Los Angeles Times*, April 20, 2008

[98] ملاحظات قدمها سامنر يدستون في مؤتمر نيلسون للاعلام والمال في نيويورك ، 7 نوفمبر 2007

أكثر من نصف مشاهدي فياكوم على الإنترنيت يتواجدون خارج الولايات المتحدة ، وأصحاب ام تي في **MTV** المستقرون في دول أخرى يخلقون برامجهم عبر **142** قناة تلفزيونية و **300** موقع و **35** قناة تلفزيونية نقالة . وقد أطلقت فياكوم منذ وقت قصير ام تي في العرب **MTV Arabia** وسوف يتبعها نيكلوديون (موجهة للأطفال حتى **14** سنة – المترجمة) وكلها تتناول بشكل مناسب، المواضيع المثيرة للجدل مثل كيفية تصوير اختلاط الصبيان والبنات بدون زواج، وكيفية تعديل الأغاني المستفزة من الهيب هوب الأمريكي التي قد تظهر في الخلطة.

وقد قدم ريدستون ملاحظات أمام مؤتمر نيلسون للميديا والمال في نيويورك في نهاية **2007** ضمت عدة تحليلات نافذة حول الطريقة التي يولّد فيها التقدم التكنولوجي قصصا جديدة ومشاهدين جدد.

في المرتبة الأولى يرى ريدستون أن "المضمون" مازال الملك، أيا كان الوسيط الإعلامي، لأن الترفيه "ينتعش برواية قصة جيدة على الطريقة القديمة . إن السيطرة على تجربة الإعلام الترفيهي بدأت في الهجرة باتجاه المستهلك منذ سنوات، ولكن الميزان تغير الآن وقد أمسك المستهلك بزمام الأمور، ولا رجعة عن ذلك . لقد ولت الى غير رجعة أيامنا في البث لجمهور مفتون. إن مزج سرعات الإنترنيت والإندماج وصعود

الشبكات الإجتماعية الرقمية وقوة البحث، كل ذلك يحتاج محتوى حيويا وقويا وسهل الإستخدام" 99

وفي رأي ريدستون، فإن رسالة الإعلام الجديد النموذجي هي "إنقل الجبل الى محمد" أي انقل المحتوى الذي يريده المستهلك اليه بأي وسيلة يختارها أو تختارها رجلا كان أو امرأة. وتكمن الفرص الجديدة الهائلة في "اصطحابنا معها أينما ذهبت"

ومن وجهة نظر ريدستون انه كلما زاد عدد الوسائط التي يظهر فيها محتوانا – وهو يرى أن الوسائط النقالة هي التي ستكون وسيلة مشاهدة الذروة القادمة – "كلما ازداد تدفق الموارد، وبوجود **500** قناة و **8** بلايين موقع انترنيت، فإن "الرقمية" تعني دولارات لمن لديه أفضل محتوى"

ويضيف ريدستون "فياكوم أكبر منتج للمحتوى النقال في العالم، ونحن عالقون مع المحتوى الشاب، الحاد، والقابل للتقطيع ، في الكوميديا والموسيقى . كل المواد الشبيهة بالوجبات السريعة التي يحبها الجمهور في وسائطه اللاسلكية ذات المهام المتعددة".

وفي حين يمضي ريدستون والآخرون الى حيث تأخذهم السوق، يبدو أن رهقنة الثقافة، التي قلق بشأنها سدني بولاك، تمضي في تسارع.

---

[99] ملاحظات قدمها سامنر يدستون في مؤتمر نيلسون للاعلام والمال في نيويورك ، 7 نوفمبر 2007

وحيث يرى ريدستون علامات الدولار، يراها الآخرون تنوعا. إن الشاليه الصغير وردي اللون في فندق بيفرلي هلز قرب الموقع الذي تتسكع فيه نجمات السينما الصغيرات ، لاهيات، حول حوض السباحة الذي تحيطه اشجار النخيل، هو مكان لا تتوقع أن تجد فيه رئيس وزراء ماليزيا المسلم . ولكن كان ذلك هو المكان الذي جاء اليه مهاتير محمد أشهر بعبع لأمريكا اللبرالية مع جاره المستبد الى الجنوب، رئيس وزراء سنغافورة لي كوان يو لعقد صفقات مع هوليوود.

وكان رئيس وزراء ماليزيا الذي شارك في تأليف المجلد الضخم "آسيا التي يمكن أن تقول لا" مع الناشط القومي الياباني شنتارو ايشيهارا يبحث عن مستثمرين في "الممر المتفوق لوسائط الإعلام المتعددة" في بلاده ، راجيا أن يحول ذلك دولته الصغيرة الى محور استوائي لعصر المعلومات.

لم يكن العداء لأمريكا هو الذي يطرز رؤاه حول مستقبل عصر المعلومات، وإنما ثقته بمستقبل آسيا الواعد.

في توقعه في التسعينيات من القرن الماضي للتغييرات التي تحدث حاليا، اشتكى مهاتير حينها من أن "الترفيه يكاد يكون في مجمل محتواه أمريكي الثقافة . الشخصيات أمريكية ، مشاكلهم أمريكية ، حوارهم أمريكي . معظم بقية العالم يجابهون هذا على مستوى سطحي بسبب البريق والمؤثرات الخاصة التي قد تكفي الآن. لهذا نجد أن أفلام الحركة هي الأكثر شعبية خارج أمريكا. ولكن التكنولوجيا سوف تجعل هذه المزايا

تختفي. فالترفيه الرقمي القائم على الحركة والمؤثرات الخاصة يمكن انتاجه في أي مكان ، سوف يصبح أبطال الحركة الرقمية أكثر واقعية" 100

وبالتأكيد بحلول **2006** أصبحت كوريا الجنوبية واليابان سادة في أفلام الحركة الرقمية.

ويستطرد مهاتير قائلا:

"هذه الواقعية تتقارب مع أخرى. ففي حين تزداد الدول النامية ثراءا، سوف يحتاجون الى المزيد من المضمون المحلي للترفيه في بلادهم، قد تكون الأفكار عالمية، ولكن الآسيويين سوف يفضلون بشكل متصاعد الترفيه المحلي بلغاته وأساطيره وموسيقاه وشخصياته.؟ إننا نرى ذلك فعلا الآن في التلفزيون وعاجلا أو آجلا سوف ينمو نفس التوجه في السينما وألعاب الكومبيوتر.

الناس في كل مكان يرغبون قبل كل شيء، في أن يقرنوا تسليتهم مع طموحاتهم المادية، وكلما شعروا بالأمان من خلال نجاحاتهم ، تطلعوا الى إرضاء أعمق. يريدون أن يطوروا أنفسهم: أن يصيبهم شيء أكثر من الماديات أو الهروب من الواقع.

هذا هو عالم الدين والثقافة والقيم الأخلاقية التي تتطلب محتوى يتجاوز ثقافة البوب الأمريكية. في آسيا،الثقافات الرئيسية هي

---

[100] "From Mosque to Multimedia" Interview with Nathan Gardels, in N. Gardels (ed) (1997) *The Changing Global Order*, Blackwell, p. 71

الكونفوشية والإسلام والهندوسية، ولكل منها تاريخ غني هو مصدر متجذر للمضمون الإبداعي" 101

وبفضل صعود البقية والتي لا تتحدى الهيمنة الأمريكية فحسب، وإنما وجودها ذاته، فإن طروحات مهاتير تحت الإختبار. يكشف مسح توضيحي للصين والهند والعالم العربي الصراع والتقارب في الوقت الذي تتعرض فيه رقعة الإعلام الترفيهي العالمي للتحولات"

في صين مابعد الرئيس ماو، أدرك قادة البلاد قوة التلفزيون في أرضهم الشاسعة كوسيلة لدعم رؤيتهم لاصلاحات السوق والانفتاح. بحلول **1987**، في الوقت الذي انطلقت فيه اصلاحات دينج زياوبنج. وافق هيو كيلي **Qili** منظّر الحزب في ذلك الوقت، عرض برنامج "مرثية النهر الأصفر **Yellow River Elegy** " وهو يروج لفكرة أن رفاه الصين لن يكون بالنظر الى الخارج عبر البحر وانما بالنظر الى النهر الأصفر في الداخل.

ومؤخرا في **2007**، عرض التلفزيون الصيني مسلسلا تاريخيا طويلا بعنوان "صعود أمم عظيمة " وهو رسالة للمشاهدين الصينيين تشرح كيف يمكن تحول أمة من الأمم الى قوة كبيرة. ومن بين الأمثلة كان صعود بريطانيا والذي عزاه المسلسل – وهذا شيء غريب بالنسبة

[101] "From Mosque to Multimedia" Interview with Nathan Gardels, in N. Gardels (ed) (1997) *The Changing Global Order*, Blackwell, p. 71

لتفزيون حكومي – الى الماجنا كارتا **Magna Carta** و استبدال الحق الإلهي للملوك ببرلمان منتخب! 102

استاذ جامعة نيويورك ينج زو تابع أنماط مشاهدة التلفزيون في الصين لعدة سنوات ملاحظا أن البرامج الأكثر مشاهدة في بداية العقد كان دراما سلالة كنج **Qing Dynasty** وهي من النوع الذي تحدث عنه مهاتير، وكانت تركز على الفساد والانحطاط الثقافي ثم فيما بعد الرفاه والوحدة الوطنية المرتبطة ببداية عهد كنج.

يلاحظ ينج العبور المجازي بين وسائط الإعلام المرئي والسياسة، مقترحا أن المسلسل التلفزيوني الرائج في **1999** و كان بعنوان سلالة يونجتشينج **Yongzsheng Dynasty** يذكر الصينيين برئيس وزرائهم السابق زو رونجي **Rongji** الذي اشتهر بحملاته ضد الفساد في عهد الرئيس وقائد الحزب جيانج زيمين، ويقال ان تزو نفسه كان شديد الإعجاب بالمسلسل103.

إن تتبع أثر صعود الحلم الصيني الجديد للحراك الإجتماعي والفرص في نسخة من معبود الجماهير الأمريكي **American Idol** وهو بعنوان فتيات الصوت المتفوق **Super Voice Girls** وقد اجتذب رقما هائلا من المشاهدين يصل الى **400** مليون مشاهد في مارس **2006**

---

[102] Yew, L. K. "China Must Convince the World Its Rise is Peaceful" *New perspectives Quarterly* (Spring 2008) vol. 25, no. 2, p. 23

[103] Mahbubani, K. (2008) *The New Asian Hemisphere: The Irresistible Shift of Global Power to the East*, PublicAffairs, p. 148

حين كانت ثمة فتاة ضامرة من منغوليا اسمها "فتاة الرايب " تتنافس على اللقب . وكانت شبكة إعلام شانغهاي التي تنتج البرنامج ، توفر ايضا بروتوكول الإنترنيت، وكانت تتقاضى من كل مشاهد **50.7** دولار شهريا.

ومثلما يحدث في كل مكان آخر، ولكن بشكل أكبر، انفجر استخدام الإنترنيت في الصين، مع تضاعف عدد مستخدميه (**150** مليون في **2006**) وهذا أكثر من عدد أعضاء الحزب الشيوعي هناك، مما جعل بيدو **Baidou** (وهي نسخة الصين من جوجل) احدى أكبر الشركات في العالم.، وفي الصين الآن **75** ألف مدونة والرقم يتصاعد.

ولكن – كما أدركت شركتا جوجل والياهو، هناك صبغة مميزة من "القيم الآسيوية" لكل المشهد الإعلامي في الصين والذي تصطدم معه الشبكة العنكبوتية الغربية الجامحة.

لكل جامعة في الصين طاقمها من المشرفين الذين يحاولون قيادة غرف الدردشة والمناقشات ومن ضمن مهامهم مسح حوارات كاملة حين يشعرون بأنها غير مناسبة طبقا لعرف الأخلاق الإشتراكية التي تتلخص في "قائمة الشرف والعار الثمانية" 104

وهذه هي :

[104] French, H. W. (2006) “As Chinese Students Go Online, Little Sister is Watching” *New York Times*, May 9, 2006

احب وطنك ولاتمسه بسوء

اخدم الشعب، لاتتردد في خدمته

اتبع العلم وانبذ الجهل

اجتهد ولا تتكاسل

توحدوا وساعدوا بعضكم الآخر ولايثري أحدكم على حساب الآخر

كن صادقا وأهلا للثقة ولاتبع الإخلاق بالمكاسب المادية

كن منظما وملتزما بالقانون وليس فوضويا وخارج القانون

عش بسيطا واعمل جاهدا، لاتغرك الكماليات والمتع 105

في النهاية ، بطبيعة الحال، ليس من الممكن السيطرة بكفاءة على الإتصالات الجماهرية الذاتية بدون قراءة كل رسالة تمر عبر فضاء الإنترنيت. وكما يعرف جيدا كل طالب صيني، أن الأمر لا يستلزم عالم صواريخ ليدرك ان عليه تجنب استخدام "كلمات بحث" يحظرها مراقبو الانترنيت.

وبلا شك فإن شكل التحديث الذي سوف يبزغ من كل هذا، هو شيء بين الإنفتاح الغربي الجامح والجهود المضنية لحكماء الكونفوشية. يقول وزير خارجية سنغافورة جورج يو **Yeo** " لم يعد ممكنا حظر تدفق

[105] Dan, L. (2006) New Moral Yardstick: "8 Honors, 8 Disgraces" *Chinese Government's Official Web Portal*. April 5

المعلومات بشكل تام. ولكن إذا أثرت ضجة حول قضية فسوف يجري حوار في المجتمع حول ماهو صالح وماهو طالح. إن فكرة الحظر رمزية فهي ترسخ الفرق بين الخطأ والصواب، وبهذا تحافظ على وحدة المجتمع وإدراكه بما يمثله".

من الواضح أن الهم الرئيسي للسلطات الصينية هو ليس فقط التمسك بثقافتهم اللاغربية ، ولكن أيضا التمسك بسوقها الثقافي والمعلوماتي. وقد توضح هذا بجلاء في خريف **2006** حين أمرت وكالة صحافة شنخوا **Xinhua** بأن توزع وكالات الأخبار بلومبرغ **Bloomberg** واسوشيتد برس وغيرهما أخبارهما في الصين من خلال وكالة شنخوا نفسها.

تبرز رقابة السوق اللينينية أكثر وضوحا في صناعة الأفلام، حيث، كما أوضحنا سابقا، تحدد الصين بشدة العدد الإجمالي للأفلام العالمية الى **20** كل سنة، من اوربا وأمريكا ودول اسيوية أخرى– وهو مايعني عادة انه لا يعرض في سنة من السنوات أكثر من فلمين أمريكيين أو ثلاثة. كما أن الصين تقص بكرم أي شيء في أي فيلم قد يعكس صورة سيئة للصين، سواء كان مشهدا جنسيا في فيلم انج لي "الشهوة–الحذر **Lust-Caution**" أو حارة مظلمة تتناثر فيها المخلفات في شنغهاي كما ظهرت في فيلم (المهمة المستحيلة **3**)

يشرح سبب ذلك، ها جن **Ha Jin** الكاتب الصيني في المنفى الذي فاز بجائزة الكتاب الوطني عن كتابه (انتظار) في **2003** بقوله أنه لهذا السبب يكتب بالإنجليزية بدلا من الصينية .

"تحاول الحكومة والسلطات الصينية استغلال الثقافة لأغراضهم الخاصة. إذا كتبت باللغة الصينية لا يمكنني تفادي ذلك. حين يصنع فيلم ، يجتمع المسئولون حيث يدلو كل منهم بدلوه حول الخاتمة المطلوبة. وقد حدث هذا حتى للمخرج العظيم زانج يمون **Zhang Yimon** وهذا يخلق كل أنواع العراقيل، حتى الإضرار بالعمل. لو كنت أكتب بالصينية، سوف أتعرض لوجع القلب الذي لا ينتهي. ولكن حين أكتب بالانجليزية فإني أحافظ على وحدة النص الذي أكتبه" 106

أحرج صانعو الأفلام والنقاد الصينيون في صيف **2008** حين راج وانتشر فيلم متحرك لشركة دريم وركس **Dreamworks** بعنوان "باندا الكونج فو" ويدور حول باندا خارقة اسطورية ، وقد اكتسب الفيلم شعبية كبيرة بين الجمهور الصيني حتى أن بعض الأصوات القومية طالبت بمقاطعة هذا الفيلم الأمريكي. وتساءل كثيرون : لماذا لم يصنع هذا الفيلم الرائع الذي يستوحي أساطيرهم ، في بلادهم؟ وقد كتب أحد المدونين معلقا على الموضوع :

[106] Mahbubani, K. (2008) *The New Asian Hemisphere: The Irresistible Shift of Global Power to the East*, PublicAffairs, p. 148

"تملك الصين مخرجين من الدرجة الأولى، وكتاب سيناريو من الدرجة الأولى وممثلين من الدرجة الأولة ولكن من العار أن لدينا رقابة. إذا لم يعجبهم عملك فلا مجال لأن يجد طريقه الى الشاشة " 107. وكتب لو شوان **Lu Chuan** وهو مخرج أفلام شاب في صحيفة الصين اليومية **China Daily** حول جهده لصنع فيلم متحرك للألعاب الأولمبية "استمر ارسال التوجيهات والأوامر الي من الأطراف ذات الشأن حول كيفية صناعة الفيلم. وتحت مثل هذا الضغط، شعرنا – انا وزملائي في العمل – بالاختناق. وفي النهاية لم يخرج الفيلم المتحرك المقصود الى الوجود." 108

هذا العارض ليس غريبا عما يسمى الجيل الخامس من صانعي الأفلام الصينيين. وأصل التسمية هي انهم من المتخرجين عام **1982** من أكاديمية بكين للسينما والذين قضوا شبابهم في الثورة الثقافية – وحسب صحيفة فاينانشال تايمز فإن الأفلام الشهيرة مثل "السرغوم الأحمر" (السرغوم نبات مثل الذرة، ومنه يصنع نوع من الخمر المعروف في الصين والمقصود بالعنوان هو خمر السرغوم – المترجمة) من إخراج زانج يمون و "وداعا محظيتي" للمخرج شن كيج **Chen Kaige** و "سارق الحصان" للمخرج تيان زوانج زوانج **Zhuangzhuang** حصلت كلها على

---

[107] Pocha, J. “Individualism Arrives in China” An Interview with Ha Jin. *New perspectives Quarterly* (winter 2003) vol. 20, no. 1, pp. 13-21
[108] Chuan, L. “Kung Fu Panda Gives Food for Thought” *China Daily*, May 7, 2007 (distributed by Xinhua)

التقدير وحتى على بعض الجوائز في الخارج، ولكنها منعت من العرض في الصين ووصمت بأنها "إهانات للصين" 109

ولكن الوضع، على أية حال، في تحسن كما يوضح ربما فيلم "حياة جامدة **Still Life**" للمخرج جيا زانج كي ، وهذا الفيلم هو دراما حول الحياة التي يعترضها بناء سد الممرات الثلاثة (**The three gorges dam**) وهو من اكبر السدود المولدة للكهرباء في العالم – المترجمة) وقد سمح له بالعرض في السينما في بكين عام **2008**، ولكن كما تقول الصحفية الفنية افينتورينا كنج **Aventurina King** ، اقتصر العرض على حفلة الساعة التاسعة صباحا أمام مقاعد تكاد تخلو من الجمهور.

يقول مخرج الفيلم جيا زانج كي "أهم شيء في – حياة جامدة – انه بدأ يثير نقاشا حول ماهية الأشياء التي ينبغي على السينما تناولها . لقد نشأ الناس في الصين على فكرة أن السينما هي للترفيه والدعاية. الآن يقولون "هذا الفيلم يقول لنا شيئا عن حياتنا اليوم ، ذكرياتنا، مجتمعاتنا . أليس هذا هو الدور الصحيح للسينما؟" 110

جيا يشعر بالتفاؤل ، فيقول في حوار مع فيل تيناري في صحيفة جود **Good** في عام **2008**111 "إن الانفتاح والحرية في الصين اليوم،

---

[109] Andrews, N. “The China Syndrome” *Financial Times*, Dec. 14, 2007
[110] Andrews, N. “The China Syndrome” *Financial Times*, Dec. 14, 2007
[111] Jia Zhang-ke “Moving Pictures” *GOOD Magazine*, May-June, 2008, p. 72

جعلت من المستحيل على الحكومة ان تقيد نشاط صناعة الأفلام لأي شخص. اليوم، العمل في ظل حظر لايعتبر شيئا مميزا حقا. فهو لا يحتاج الى جرأة معينة ولا مجازفة في ظل خطر حقيقي . سابقا كنت تحتاج الى الحصول على مواد فيلمية ثم تهرب الفيلم خارج البلاد ليتم مونتاجه. الآن استطيع أن أخفي شريطا مضغوطا ممغنطا في جيبي. والأكثر امتاعا ان نسخا مقرصنة على دي في دي من فيلمي قد بدأت توزع في داخل الصين. طبعا القرصنة تعني الإضرار بنا نحن صانعي الأفلام. لا نحصل على عوائد من التوزيع داخل الصين، ولكن في النهاية فإن التقنية الرقمية وانتشار الانترنيت قد عطل بشكل دائم سيطرة الحكومة على أفكار صانعي الأفلام وعلى وسائل الإنتاج والتوزيع"

بالنسبة للمخرج جيا، فإن القرصنة نعمة أيضا لأن هناك تجارة سرية للسينما العالمية كذلك.

"مع أن الكل يدرك أن القرصنة جريمة، ولكنها فتحت عالم السينما للناس. بين ليلة وضحاها، كان الأمر كأن أرشيف ألف فيلم قد انفتح في نواصي الشوارع: أفلام فنية، هزلية واباحية. كل شيء موجود" وحين تتحول القرصنة الى مبيعات قانونية، وتجد السينما الصينية جمهورها الشعبي، قد تنحني أمام رغبات السوق وهكذا تقل أسباب قلق الرقابة اللينينية.

قال الممثل وصانع الأفلام جيانج ون **Jiang We** في مهرجان البندقية للسينما عام **2007** "من جانب صدم فيلم –السرغوم الأحمر–

السينما العالمية والصين، ومن جانب آخر لم يتسبب في تغيير جذري. قبله كانت دور العرض الشعبية مليئة بأفلام فنون الحرب، بعده ماتزال مليئة بأفلام فنون الحرب، ومخرج الفيلم يخرج الآن نفس نوعية تلك الأفلام112، وهكذا فلا أدري ماذا تغير"

تلاحظ أفينتورينا كنج نفس الظاهرة لدى كتاب روايات البوب مثل جوو جنج منج "من كتاب مابعد الثمانينيات" ذي الاربع وعشرين عاما ، والمولع بارتداء أزياء دولتشي وجابانا **Dolce&Gabbana** ، فإن اكثر رواياته رواجا مثل "مدينة الفانتازيا" تمزج بين التجارية والفردية غير السياسية للشمولية الناعمة التي تتجنب القضايا الإجتماعية " 113

مهما كانت حدود الحرية الثقافية فإن الهيمنة الثقافية الأمريكية قد أوغرت صدور السلطات الصينية والفنانين لوقت طويل. كلهم يريدون أن يكون للصين تأثير أكبر في العالم، أن تُحترم وتُسمع كلاعب رئيسي. ولبلوغ هذا الهدف، حتى المعارضين مثل وانج دان قائد طلبة تيانانمين، شعروا بالفخر العظيم حين استضافت الصين الأولمبياد، وقد تفجر الكامن من الوطنية في اعماق الجيل الصيني الشاب، في أعقاب النقد العالمي حول التبت أثناء التحضير للأولمبياد. وبدون شك، تجد المشاعر الوطنية التعبير في تأكيد الذات الثقافية تجاه الخطاب الغربي. وبقدر الإعجاب الذي قد يحمله الصينيون للجامعات والتقنيات الغربية، فإن ذلك لايقارن مع الزهو

[112] Andrews, N. “The China Syndrome” *Financial Times*, Dec. 14, 2007
[113] King, A. “China’s Pop Fiction” *New York Times Book Review*, May 5, 2008, p. 27

الصيني بإحياء حضارتهم باعتبارها مركز جاذبية رئيسي في القرن الواحد والعشرين.

كذلك ترغب الهند اعترافا أكبر واحتراما أشد لحضارتها القديمة في عالم اليوم. وكان هذا بشكل خاص خلال حكم الحزب الوطني الهندي **BJP** الذي يبقى تأثيره سائدا. وكما يقول جهاجير بوشا فإن أجلى توضيح لجهود الهند في استخدام القوة الناعمة كأداة للسياسة الخارجية، كان حين أطيح بحكومة طالبان في أفغانستان، طار وزير خارجية الهند جاسوانت سنج الذي كان يتطلع أن تحل الهند بدلا من الباكستان جارا مؤثرا، الى أفغانستان كأحد أوائل الشخصيات المهمة التي ترحب بحكومة قرضاي حاملا معه "ليس مؤنا من الأغذية والدواء أو الأسلحة وانما شرائط أفلام وأغاني بوليوود تم توزيعها بسرعة في كل أرجاء كابول"114

في الهند، كان لحركة نزع السلاح السياسية التي أعقبت الفترة الكولونيالية والحماية الإقتصادية اضافة الى عدد سكانها الهائل، أثر واضح في نمو أكبر صناعة سينمائية في العالم: بوليوود.

كتب المؤلف الهندي شاشي ثارور قائلا:" بوليوود هي السلاح السري للثقافة الهندية". انها تنتج ماقدره خمسة اضعاف انتاج هوليوود، مقدمة الهند الى العالم بواسطة نوع الترفيه الجذاب الخاص بها، ليس فقط للهنود المتغربين في الولايات المتحدة وبريطانيا، وانما أيضا لشاشات السوريين

---

114 Pocha, J. “The Rising Soft Power of India and China” *New Perspectives Quarterly* (winter 2003) vol. 20, no.1 pp. 5-9

والسنغاليين" ويتذكر ثارور الذي كان أيضا كبير مساعدي كوفي عنان في الأمم المتحدة، دبلوماسيا هنديا في دمشق لاحظ قبل عدة سنوات أن الصور الوحيدة المعروضة في الشوارع كانت صور الرئيس آنذاك حافظ الأسد وأميتاب باتشان، الذي يصفه ثارور بأنه "مارلون براندو الهند"115

ويرى الدبلوماسي السنغافوري كيشور محبوباني أهمية كبيرة في حقيقة أن الأفلام الهندية التي تنتج لجمهور هندي، تلقى رواجا لدى المسلمين "هناك شيء فريد تتميز به الثقافة السياسية والإجتماعية الهندية، روح من الإحتضان والتسامح تسود الروح الهندية، في حين أن الغرب يحاول غالبا أن يناقش العالم بشروط الأسود والأبيض مميزا نفسه عن امبراطورية الشر أو محور الشر، ولكن العقل الهندي قادر على رؤية العالم بألوان متعددة"116

ولكن على أية حال كانت ردة فعل بعض المحافظين المسلمين المتشددين على الأفلام الهندية كما هي على الثقافة الجماهيرية الأمريكية، مع أنه وياللمفارقة، يرى القوميون الهندوس، بتطرف مضاد، في الإسلام تلويثا للروح الهندية بسبب عقيدة التوحيد.

في أوائل يناير **2008**، التقى المجلس الإسلامي في أفغانستان مع الرئيس حامد قرضاي للشكوى من جماعات التبشير المسيحي والإلحاد

---

115 Mahbubani, K. (2008) The New Asian Hemisphere: The Irresistible Shift of Global Power to the East, PublicAffairs, p. 170

116 Mahbubani, K. (2008) The New Asian Hemisphere: The Irresistible Shift of Global Power to the East, PublicAffairs, p. 173

أيضا التي تجتاح البلاد. والتحول عن الديانة الإسلامية يعتبر ردة في نظر زعماء القبائل هؤلاء. ولكنهم أيضا حثوا قرضاي على إيقاف المسلسلات والأفلام الهندية على شاشة التلفزيون المحلي – وهي تلقى رواجا شديدا في أفغانستان – بسبب احتوائها على "قبائح ومشاهد لا أخلاقية" 117

على أية حال، يتفق صانعو الأفلام القادمون من العالم العربي مع نقد محبوباني لثنائية هوليوود الملونة "بالنسبة للأمريكيين ليست هناك طريقة لصنع أفلام عن العرب سوى الإرهاب أو القتال أو الحرب" هذا مايقوله نبيل عيوش وهو مخرج مغربي يبلغ الثامنة والثلاثين من العمر وقد أوحى له ولع زوجته بالرقص الشرقي و خيبته من التصوير الهوليوودي العنيف للواصل الثقافي باخراج فيلم (كل ما ترغب به لولا Whatever Lola wants) ويستطرد "ولكن هناك بالتأكيد بعض القصص العادية التي يمكن أن تروى ، بأشخاص بسيطين من أجزاء مختلفة من العالم وهم يلتقون ببعضهم البعض، دون أن يحتاجوا أن يكونوا في الجيش أو السي آي أو ارهابيين"118

في العالم الإسلامي الشاسع الذي لم يكن لديه في وقت ما، بديل شهير لمصادر الأخبار الغربية، انبثقت القنوات الفضائية المحلية وشبكات

---

[117] "Afghan Clerics Warn Karazai Against Missionaries" New York Times, Jan. 6, 2008 ,p.9

[118] Daragahi, B. "Some Normal Stories to Tell" Los Angeles Times, Dec. 10, 2007, E10.

التلفزيون والانترنيت. وقناة الجزيرة هي أشهر بديل لمصادر الأخبار الغربية، ولكن هناك الآن أيضا "العربيةّ" وغيرها.

ظاهرة جديرة بالذكر هي أسرع الكتب المصورة مبيعا في العالم العربي :" ال **99**" وحسب فرونتلاين **Frontline** فإن هذه المجلة تصور شخصيات لها قوى خارقة تستند الى اسماء الله الحسنى بضمنها الحكمة والكرم، كما يذكرها القرآن. مؤلفها نايف المطوع كويتي في السادسة والثلاثين من العمر درس في الولايات المتحدة وكان في طفولته قد التهم مجلات مارفيل **Marvel** وألغاز "أولاد هاردي **Hardy boys**" وهناك منتزه مواضيعي يجري بناؤه استنادا الى أبطال هذا العمل.

كانت القاهرة في وقت من الأوقات مركز السينما العربية ، وكان لها مخرجون مهمون مثل يوسف شاهين الذي فازت أفلامه مثل "ابن النيل" بجوائز في مهرجان البندقية السينمائي منذ الخمسينيات.

شاهين الذي توفي في **2008** كان يصطف ضد الأصولية الإسلامية وأيضا ماكان يعتبره امبريالية أمريكية. والآن تزدهر صناعة السينما العربية في كل مكان بضمنها المملكة العربية السعودية بتمويل من الأمير السعودي وليد بن طلال الذي يمكن لتصويره الإيجابي للمرأة في المجتمعات الإسلامية القامعة أن يكون له آثار ثورية. أحد الأفلام التي انتجها في **2006** ، مثلا بعنوان "كيف الحال" حول امرأة شابة تحلم بمهنة بدلا من عريس، ومعارضة أخيها المتشدد ضد اختياراتها.

شيئا فشيئا يتجه العالم العربي الى انتاجاته كطريقة لدعم هويته في مواجهة الغرب. على سبيل المثال، هناك برنامج رائج جديد في تلفزيون أبو ظبي بعنوان "شاعر المليون" وهو يحاكي نموذج "معبود الجماهير الأمريكي **American Idol** ". وقد شجع نجاح البرنامج على انتاج برنامج مماثل بعنوان "أمير الشعراء" ويقول محمد خلف المزروعي المدير العام لهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "اننا ننمو بسرعة شديدة، ولكننا نحتاج الى حماية ثقافتنا. لقد أعدنا الشعر الى الحياة وجعلنا له مكانة" 119

في القاهرة انتج أحمد أبو هيبة وهو كاتب ومنتج تلفزيوني مصري نسخة عربية أكثر احتشاما من مسلسل "اصدقاء **friends**" بعنوان "ولاد وبنات" وبرنامجا على طراز اوبرا ولكن المضيف فيه رجل دين. يقول أبو هيبة "فكرتي ليست إدانة الغرب، ولكن بناء ثقافتي الخاصة باحتياجاتها الخاصة. إني قلق من الثقافة الغربية أكثر من السياسات. انها تؤثر على التفكير والقيم. إننا نجابه خطرا كبيرا على معتقداتنا وقدواتنا وعاداتنا. إذا فقدت ثقافتي سأكون غريبا في بلادي" 120

وللتعليق على نوع الظاهرة التي يمثلها أبو هيبة، يقول اميل سليلاتي وهو مخرج فيديو من بيروت، عن البحث العربي الجديد عن الهوية في

---

[119] Khalaf, R "TV Poetry is Epic Success as Arabs Return to Roots" Financial Times, March 4, 2008, p. 8

[120] Fleishman, J. "Islam in a New World" Los Angeles Times, April 6, 2008

وسائط الإعلام " انهم يريدون أن يكونوا أحرارا على النمط الغربي ولكن في نفس الوقت يريدون أن يكونوا محافظين " 121

والجهود التي لاتحصل على التوازن الصحيح في العالم الإسلامي تجابه بجدل كبير.

في أفغانستان، أطلق برنامج جديد في **2007** بعنوان نجم الأفغان **Afghan Star** على شاكلة "معبود الجماهير الأمريكي" حيث يتنافس المشاركون على جائزة بقيمة **5000** دولار. ورغم إمتلاء البرنامج بالأغاني الوطنية حول الوحدة الوطنية وأغاني الحب التقليدية بكلمات مهذبة مثل "آه ياعزيزي متى تكون ضيفي؟" فقد أغضب البرنامج رجال الدين المحافظين الذين يطالبون وزارة الثقافة حظره لأن إداء النساء لايتفق مع الأخلاق. 122

مع انتشار القنوات الفضائية في ارجاء العالم العربي، راجت مقاطع الفيديو الغنائية بشكل **MTV** مما ولّد نجوما جددا، و جمهورا كبيرا من المعجبين. وقد جوبهت هذه المقاطع ايضا بالمعارضة. في أبريل **2008** صادق كل أعضاء برلمان البحرين الذي يسيطر عليه الإسلاميون، ماعدا واحدا على طلب يحث الحكومة على حظر حفل تحييه المغنية اللبنانية

[121] Fleishman, J. “Fighting Fire with Fire” Los Angeles Times, April 6, 2008

[122] Boone, J. “Afghan TV Show’s Search for Star Pitches Pop Culture Against Religion. Financial Times, March 22, 2008

هيفاء وهبي . كانوا يتوقعون أن يكون إداء نجمة البوب مثيرا جنسيا مما "ينتهك الأعراف الإسلامية وتقاليد البحرين" 123

هذا الجدل في الجزيرة الصغيرة وهي إحدى أشد حلفاء أمريكا الجيوبولتيكيين في المنطقة ، قد أتبع بخطوات مؤسفة مماثلة في بداية السنة حين أجبر اعتراض شعبي عام على أيقاف عرض نسخة عربية من "الأخ الأكبر **Big Brother**" بعنوان (الرئيس) . وقد نظمت العديد من الجمعيات النسوية البحرينية ، وقفات احتجاجية على البرنامج أمام مبنى وزارة الإعلام. وقد قالت مدرسة عمرها **34** سنة لهيئة الإذاعة البريطانية "لقد شاهدت البرنامج ويجيب إيقافه. لدينا قيم عظيمة تقول بعدم اختلاط الصبيان والبنات. هذا البرنامج خطر على الإسلام. هذا ترفيه للحيوانات" 124

في القاهرة، تسببت مقاطع الفيديو لمغنية البوب روبي وهي محبوبة الشباب على نطاق واسع، في رد فعل بين الآخرين في مصر التي يتصاعد فيها التيار الإسلامي والمجتمع المحافظ منذ سنوات السبعين اللبرالية . وبسبب تغنجها واسلوبها المغري وملابسها الكاشفة فقد طالب بعض أعضاء البرلمان المحافظين بمنع أغانيها.

وقد ذكر محمد عجمي (**30** سنة) وهو مساعد محاضر جامعي في حوار مع البي بي سي في **2005** بأن اسلوب روبي قد انتشر مثل النار في

[123] Harrison, F. “Lebanese Singer Causes Gulf Storm” BBC News, April 30, 2008
[124] “Arab Big Brother Show Suspended” ” BBC News, March 1, 2003

الهشيم بين طلابه. "انهم يحفظون أغانيها عن ظهر قلب وينسون أي شيء عداها. ثقافتهم مزيج من التأثيرات السيئة التي تبعدهم عن الإسلام. ليس لديهم أحلام ماعدا إرضاء غرائزهم والعيش مثل نظرائهم في الغرب. إنهم يقتدون بالسيء من الثقافة الغربية – مثل العلاقات المتحررة بين الرجال والنساء" 125

أثار "نور" مسلسل تركي يدعم فيه زوج وسيم طموحات زوجته خارج المنزل، جلبة كبيرة وأغضب رجال الدين في المملكة العربية السعودية حيث يشاهده **3-4** مليون مشاهد يوميا ، لكونه "ضد الإسلام".

لا حاجة للقول أن التطور الأوسع لوسائط الإعلام الوطنية حول العالم، سوف يكتسب خواصه حسب مد وجزر الأزمنة وتوازن القوى داخل منظومة ثقافية معينة . في بعض الأماكن سوف تنتهي السينما والتلفزيون وترفيه الفيديو بمحاكاة أسوأ مافي الثقافة الأمريكية الشائعة ، مما يخلق رد فعل عنيف. وسوف يسعى آخرون الى التوازن. ومع ذلك فسوف يظل آخرون مثل الفيلم التركي (وادي الذئاب) الذي ذكرناه آنفا في هذا الكتاب، معاديا للسامية وللأمريكيين وينادي بالوطنية.

ونأمل أن تبين العقلانية العالمية النامية في كل الثقافات الوطنية ، بضمنها أمريكا، بعض اللياقة فيما يخص المعايير الأخلاقية، إضافة الى

[125] Sharp, H. “Sexy Stars Push Limits in Egypt” BBC News, August 4, 2005

تخفيف وسائل التسويق الرائجة لبيع صور في الوط، على حساب العالم المجهول خارج الحدود الخاصة بكل بلاد.

أشد الاحتمالات إثارة هي أن هوليوود نفسها سوف تتخذ صيغة كوزموبوليتانية. بسبب تاريخ التأثير التراكمي لتركز الموهبة والتقنية في هوليوود، فهذه ربما لا تستبدل ولكنها سوف تتطور الى مصنع للأحلام العالمية– سينما كونية جديدة– تروي قصص العالم كله. بمعنى أن هوليوود يمكنها أن تدور دائرة كاملة عودا الى أصولها باعتبارها مكمن انتاج آمال وأحلام ثقافة كوزموبوليتانية مهاجرة. ولكن بدلا من بيلي وايلدر، وفريد زنمان أو بقية المخرجين الأوربيين الذين يهيمنون على المشهد، سوف نجد أنج لي، وزانج يمو، والفونسو كوارون، واليخاندرو جونزاليز أنياريتو، وبيدرو المودوفار، وجيليرمو دي تورو، وآخرين.

لقد استشعرنا هذا المستقبل المحتمل بصورة جلية في موسم جوائز هوليوود عام **2007**. فالأفلام الأجنبية مثل (بابل) التي لم تلق رواجا في شباك التذاكر ، حصدت أعلى الجوائز، في حين أن أفلام هوليوود التي تحطم شبابيك التذاكر في الخارج، قد تم تجاهلها حقيقة حتى ان التقدير الذي ناله فيلم كلنت ايستوود في ذلك الوقت كان بسبب تصويره لمعركة ايوجيما من وجهة نظر أجنبية (يابانية) . ومع انه في النهاية فاز فيلم مارتن سكورسيس "المغادر **The Departed**) بالأوسكار، فإن ذلك كان مثل تربيت على قفا أحد رجال الصناعة من الداخل الأمريكي أكثر منها مؤشرا على تيار أعمق.

عالج فيلم اليخاندرو جونزاليز انياريتو (بابل) ارتباط مصائر الناس في الأصقاع النائية من المكسيك الى المغرب الى اليابان ، بطرق لا تخطر على بال بواسطة خيوط العولمة . أما فيلم المودوفار (فولفر **Volver**)، وهو فيلم أسباني رشحت بطلته بنيلوبي كروز لجائزة أفضل ممثلة، فهي حكاية معقدة عن تعرض النساء الى أجيال من الإساءة من الأزواج والآباء واللواتي يجدن داخل انفسهن معينا من القوة للتصرف والنجاة.

رحب النقاد بهذه الأفلام لأنها استطاعت كسر دائرة إعادة نسخ القصص ذاتها، وهي دائرة علقت بها هوليوود، وذلك بسرد حكايات جديدة، وهو شيء كان صانعو الأفلام الأمريكيون الذين يفخرون بخيالهم وابتكاراتهم، يمتازون به في العهود الماضية.

هذه الأيام ومع استثناءات تتضاءل كل يوم، يعمد صانعو الأفلام الأمريكيون غالبا الى خلطة أفلام الصدمة والرعب بمقاديرها التي أصبحت مضرب الأمثال من العنف والجنس والمؤثرات الخاصة التي قد تكسب معركة شباك التذاكر في صباح يوم الأثنين، ولكنها تخسر الحرب من أجل كسب القلوب والعقول. ومع كل عضلاتهم القوية ، فإن صانعي الأفلام، مثل الجنرالات في العراق، هم في خطر خسارة معركة القصص المهمة.

وكما ناقشنا، فإن العولمة قد نقلتنا كلنا الى نفس الحيّ، وفي الخارج ، يزداد اضطرادا عدد الجمهور على المحيط السينمائي السابق، والذين يريدون أن يروا قصصهم على الشاشة، ليروا ما في مخيلتهم وثقافتهم،

على الأقل، بقدر ما قد يستمتعون بأحدث ما تقدمه شركة لوكاس فيلم أو بيكسار. وقد أدى هذا الى المزيد من التنافس، وحتى التعاون داخل أطر هوليوود.

أفضل من أدرك مايحدث هو جونزاليز انياريتو مخرج فيلم (بابل) الذي يقول "العالم يتغير وقد اصبح مجتمع السينما مجتمعا عالميا الآن. لم يعد الأمر حول الثقافة وحاجز اللغة، وانما العاطفة والإنسانية. إننا نستخدم قوة السينما لعبور الحواجز. إننا ندرك الآن وجود صلة لابد أن تحدث. تحدث الجميع عن العولمة الإقتصادية ، ولكن العولمة لم تندمج بالعقلية الثقافية . ويمكن للسينما أن تساعد في ربط تلك النقاط" في عصرنا العولمي ينبغي ان تكشف السينما "وجهات نظر الآخرين ، وجهات نظر اولئك الذين على الطرف الآخر" 126

إذا كان جونزالز انياريتو مصيبا، فإن هذه التطورات ربما تمهد لوصول عهد جديد من الثقافة الشعبية (المخلوطة) أو (الهجينة) حيث تصبح البنى التحتية الهوليوودية وقيم الإنتاج الضخم صناعة عالمية أكثر منها أمريكية وحيث القصص التي تهم حياتنا والتي تستمد من تجاربنا هي التي تعرض بقدر الفظاعات والمؤثرات الصوتية المصاحبة.

بالتأكيد سوف يكون هناك دائما دور لأفلام الصدمة والترويع المحطمة لشباك التذاكر، وكما سيكون هناك دور لحاملات الطائرات، وسوف

---

[126] “Hollywood Must Portray Point of View of Others” Interview with Nathan Gardels, New Perspectives Quarterly (spring 2007) vol. 24, no.2 pp. 7-9

تهرع الجماهير أفواجا الى مثل هذه التسليات فخمة الإنتاج، ولكن الأمل الذي يرعاه رواد مثل جونزاليز انياريتو، هو أن هوليوود يمكن ان تكون ادارة إتصال حقيقي بين الثقافات في عصر المعلومات حيث المعرفة الصغيرة الثمينة عن الآخرين منثورة بين نقاط الصورة.

إن ادراك جونزاليز انياريتو الجديد هو جانب واحد فقط من عولمة هوليوود. وتسعى شركة دزني من بين شركات أخرى، باهتمام منصب على حصة السوق أكثر من الاهتمام بالتلاقح الثقافي، الى تعريف نفسها على انها شركة عالمية بدلا من الإسم الأمريكي الشهير الذي اتخذته الشركة دائما وذلك بإقامة ستوديوهات للانتاج المشترك لقصص محلية ، في الصين والهند، وبعضها سيتدفق عائدا الى السوق الأمريكية. ومثال على هذا : انتاج دزني للاسطورة الصينية (مولان **Mu Lan**) التي لاقت رواجا هائلا بين الأطفال في أمريكا. وتسعى سوني و وارنر اخوان وفياكوم الى صفقات انتاج مشترك في آسيا.

حين وصل بوب آيجر **Iger** الى رئاسة دزني بعد طرد مايكل آيزنر من قبل هيئة الرئاسة في **2005**، ركز فورا على "المحلية" باعتبارها أفضل طريقة لنمو هائل محتمل في السوق العالمية. وخطة المحلية تسمح لشركة مثل دزني ان تلتف على القيود مثل القرار الذي اصدرته هيئة السينما الصينية بعرض **20** فيلم أجنبي فقط في السنة، ويمكن أن يسيل لعاب شركات الإعلام الترفيهي حول حقيقة أن هناك **3600** دار عرض في

الصين مقارنة بــ **30000** في أمريكا، مما يجعل الصيني، حسب التعبير السينمائي، يعاني من نقص كبير في شاشات العرض. 127

يقول ستانلي تشينج نائب رئيس تنفيذي ومدير إدارة في شركة دزني فرع الصين ، في حوار مع مجلة فارايتي **Variety** في يونيو **2007** "نريد أن ينظر إلينا على اننا شركة والت دزني الصينية. لا نريد أن نعتبر مجرد شركة والت دزني التي تعمل في الصين . من أجل ذلك علينا أن نتجاوز عملية نقل المادة التي انتجناها عالميا لوضعها في الصين"128

بعد توزيع أفلام مثل "الملك الأسد **The Lion King**" والمسلسلات التلفزيونية مثل "مفقودون **Lost**" أو "ربات بيوت يائسات" منذ **1995**، قفزت شركة دزني قفزة كبيرة في **2007** بإطلاق فيلم صيني بعنوان "اليقطينة السحرية **The Magic Gourd**" جمع **2.1** مليون دولار في أول اسبوعين من عرضه على **200** شاشة129 . وتعكس قصة الفيلم قيما عائلية عن صبي تحقق رغباته يقطينة عملاقة سحرية ولكن على حساب الآخرين. وقد صور الفيلم في ماندارين مع نسخة مدبلجة باللغة الكانتونية. وقد انشدت أغنية المقدمة احدى الفائزات بمسابقة الفتاة المتفوقة **Super Girl** وهي نسخة صينية من برنامج معبود الجماهير الأمريكي، اسمها زانج **Zhang** وكانت فتاة

[127] Lee, D. (2008) Memo to Mike Medavoy, "Fact and Figure for Chinese Film Industry"

[128] Frater, P. "Disney Takes Local Route in China" Variety, June 29, 2007

[129] http://ent.sina.com.cn/m/c/2007-07013/19391636694.shtml

البوستر لراعي البرنامج ، شركة ألبان مينجنيو **Mengniu Dairy** وهي الآن شريك لديزني في الصين. 130

وكجزء من ستراتيجيتها الآسيوية الشاملة، تملك ديزني حقوق توزيع فيلم "اليقطينة السحرية" في تايوان وسنغافورة ومالايزيا والفلبين وتايلاند

في يوم الذكرى **Memorial Day** عام **2007** أطلقت ديزني فيلم "قراصنة الكاريبي: عند نهاية العالم" في **10** آلاف دار عرض في **104** دولة . وقد اختير ممثلو الفيلم، والجمهور العالمي في الذهن، بضمنهم النجم الآسيوي تشو يون فات، ويقول مارك زورادي رئيس قسم التسويق والتوزيع في ستوديو ديزني لصحيفة نيويورك تايمز "إنه فعلا مايمكن وصفه بأنه امتياز ديزني للعصر الحديث. لدينا ممثلون عالميون وقصة لا تقتصر في أماكنها على أمريكا الشمالية، وهكذا فإن هذا هو الفيلم المثالي تماما للإنفتاح على أساس عالمي. كانت هذه هي الستراتيجية " 131

في الهند تملك ديزني "قناة ديزني" ، كما انها تدير ديزني تون **Toon Disney** وهانجاما **Hungama** على الشبكة العنكبوتية ، وتنتج برامج تلفزيونية محلية مثل "فيكي اور فيتال" و"دوم مانتشاو دوم" .

---

[130] Frater, P. “Disney Takes Local Route in China” Variety, June 29, 2007

[131] Zoradi, M. “Pirate’s Haul So Far Estimated at $401 million” New York Times, May 28, 2008

في **2007** دخلت ديزني في مشروع مشترك مع شركة ياش راج **Yash Raj** لانتاج فيلم كارتون كل سنة. 132

في ابريل **2008**، وقعت وارنر اخوان صفقة فيلم متعدد مع ستوديوهات اوتشر **Ocher** الهندية لإنتاج أفلام بلغات اقليمية سوف تطلقها شركة وارنر، كما انها تنتج فيلمها المتحرك الأول في الهند مع شركة جويل سكرين كرافت **Goel Screen Craft** . 133

للوهلة الأولى لاتعتبر صفقات المشاركة في الانتاج بين شركات أمريكية وأجنبية شيئا جديدا. وكما تذكرنا المؤرخة السينمائية فانيسا شوارتز في دراستها عن السنوات الأولى لمهرجان "كان" السينمائي، فقد حدث نوع من شبه العولمة في الثقافة خلال الفترة التالية مباشرة للحرب العالمية الثانية حتى الستينيات حين انتجت أفلام (أمريكي في باريس) و (جيجي) و (الوجه المضحك) وهي كلها انتاج أمريكي اوربي حتى قبل الموجة الفرنسية الجديدة وأفلام الواقع الإيطالية والتي وجدت طريقها من خلال شبكة التوزيع الهوليوودية الى الولايات المتحدة.

في الستينيات، كان لشركة الفنانين المتحدين دور نشط جدا في أوربا. وقد مولت أفلام الغرب الأمريكي للممثل كلنت ايستوود التي صورت في أسبانيا وبعضا من أفلام فيليني. وكانت قد انتجت خصيصا للسوق العالمية ، ماعدا الولايات المتحدة.

---

[132] Frater, P. “Disney Takes Local Route in China” Variety, June 29, 2007

[133] Frater, P. “WB’s Indian Invasion” Variety, June 2, 2008

وحقيقة رواج هذه الأفلام مثل النار كانت مفاجأة . لقد تم تمويل فيلم برناردو برتولوتشي "التانغو الأخير في باريس" بطولة مارلون براندو ، والأوربيون في الذهن بسبب توقع احتمال نجاح هذا الفيلم في اوربا. وحقيقة ان بولين كايل كتبت نقدا رائعا للفيلم وانه حصل في الولايات المتحدة على تقدير (X) أدهش الجميع في الفنانين المتحدين.

وبالتأكيد، كما تقول شوارتز، في تلك السنوات أصبح "كان" ليس مجرد مهرجانا سينمائيا ولكنه أيضا مهرجان للصور بفضل هجوم المصورين الباباراتزي الذين حولوا النجوم الى مشاهير. ولكن كما في حالة ولادة هوليوود، كان هذا تغريبا أوسع للثقافة من العولمة التي نراها اليوم والتي تتضمن آسيا وأمريكا اللاتينية وأماكن أخرى. 134

[134] Schwarz, V. (2008) It’s So French: The Cannes Film Festival and the Birth of Cosmopolitan Culture. University of Chicago Press

الفصل العاشر

إعادة ابتكار الدبلوماسية الثقافية

في عالم المصادر المفتوحة ، في عالم من بيوت زجاجية، عفا الزمن على الدعاية السياسية لأنه لم يعد من الممكن إخفاء الواقع . أصبح في إمكانك، بمجرد إجراء بحث على آلة البحث جوجل، أن تكشف الأكاذيب والتزويق ، ومن شأن بضع لقطات فيديو مصورة بهاتف نقال تنشر على الانترنيت، أن تودي بمحاولة أي شخص لتلوين التاريخ.

حين منع رهبان التبت المضرجين بالدماء، من الظهور على شاشات التلفزيون الصيني كما ألمحنا سابقا، نبعوا على يوتيوب. إن المعايير المزدوجة والتي يمكن كشفها بسهولة في عصرنا هذا ، تؤشر على المسافة بين المصالح الذاتية والمباديء العالمية . وكل امرء يعرف هذا .

في هذه البيئة الضاخة للمعلومات ، يُمنح ولاء القلوب والعقول بالتراضي بوسائل الإقناع – نتيجة لقوة المثال وليس مثال القوة ، حسب التعبير الموفق لبيل كلنتون . إن سياسيات ارادة القوة الأحادية ترتد على صاحبها لأنها تفتقر للشرعية. ومهما كان حَبك الأكاذيب فإن ذلك لن يغير اتجاه الناس حتى لو كانت قنوات الجزيرة والعربية وقنوات العالم ناهيك عن السي إن إن او الإعلام الغربي أو مدونات الجنود، هي التي تتناول الموضوع. لذلك فإن مفتاح استعادة أمريكا لمكانتها هي القيادة الساعية للحصول على إجماع على رؤيتنا للنظام العالم الذي نريده، بالعمل مع الآخرين وباجتذاب الدعم من خلال التمسك بتطبيق مثلنا.

سيكون من الخطأ الاعتقاد بأنه حين نضع هزيمة حرب العراق وسياسات ادارة بوش المدمرة خلف ظهورنا، فإن كل شيء سيكون على أحسن مايرام كما حدث بعد حرب فيتنام، وأن مكانتنا ستعود آليا.

وبالتأكيد من الصائب، الإفتراض أن الدول التي تعتنق نظام ديمقراطية السوق وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية بثقافتها المرنة ، تقوم بتصحيح نفسها بسبب النقد الثري الذي تقدمه المجتمعات المفتوحة. اننا نتعلم ونتغير. ولكن تصحيح الذات لا يعني العودة الى الوضع القائم ولكن الى تطور متقدم مبني على شروط جديدة.

في سنوات فيتنام، ظل العالم متجمدا داخل اطار الحرب الباردة، من الناحية الجيوسياسية والجيو ثقافية. لقد منعت الحرب الباردة التدفق الحر لرأس المال والمهارات والمعلومات والتكنولوجيا عبر الحدود. ولكن هذا لم يحدث في السنوات التي أعقبت **11** سبتمبر **2001**. في عصرنا المتصف بالصدمة المستقبلية والتغير المتسارع على نطاق عالمي، هناك تيار جارف من التحولات يتدفق تحت الجسر، من النمو الحثيث المضطرد للصين الى الدمقرطة الرقمية للمعلومات.

لم تبدأ التغييرات في هذه الفترة من الصفر ولكن من بداية متسارعة. خلال السنوات الثماني الماضية من حكم كلينتون ، كانت العولمة التي تقودها أمريكا هي التي ساعدت على اطلاق جماح هذا التيار. وللمفارقة، فإن تلك العولمة قيدت أمريكا من خلال الاعتماد المتداخل العميق (مثلا من خلال عدم توازن الحساب الجاري مع الصين التي تمول استهلاكنا)

وأيضا من خلال قيام أمريكا برعاية توزيع القوة على مراكز أخرى، ليس الاتحاد الاوربي وحده من ضمنها ، وانما أيضا دول "اسواق صاعدة" مثل البرازيل والهند والصين وهي دول اصبحت من اللاعبين الراسخين.

يبزغ الآن نظام عالمي متعدد الأقطاب– ثقافيا وجيوسياسيا– وهو على وشك أن يطل برأسه. وللمفارقة ، فإن رد الفعل الذي أثارته العضلات الأحادية لادارة بوش هو الذي دفع بالنظام الوليد خارج رحم مابعد الحرب الباردة. بهذا المعنى، فإن تراجع القوة الناعمة الأمريكية كان هو القابلة التي ساعدت على ولادة تأكيد الذات الثقافي الجديد حول العالم.

أخيرا، وربما الأكثر صوابا ، أن السنوات التي أعقبت **11** سبتمبر هي التي ادت الى ملل الرأي العام العالمي من مزاعم أمريكا بأحقيتها بتسيد العالم. لقد تبين أنه حتى هذه الأمة الإستثنائية تاريخيا ، الضامنة بدون نظير لنظام العالم الحر، قد تراجعت مثل كل دولة عن مبادئها حين ضيق الخوف ادراكها بمصالحها الوطنية. لم تعد أمريكا ذاتها في عيون العالم.

والطريق الى استعادة مكانة أمريكا كما تقدمه مؤسسة السياسة الخارجية التقليدية يسمى "القوة الذكية" حسب تعبير استاذ هارفارد جو ناي **Joe Nye**. وهذا يعني أساسا اعادة توازن القوة الخشنة مع فيض من القوة الناعمة من خلال التبادل الثقافي المطور، وتنشيط التحالفات والمؤسسات متعددة الأطراف، والسياسات الهادفة الى المحافظة على اقتصاد عالمي مفتوح – "التزام بالقواعد العالمية للانفتاح التي تنشر

المكاسب على نطاق واسع" طبقا لكلمات جون آيكنبيري **Ikenberry 135** – والانضمام الى المعركة ضد الفقر وارتفاع حرارة الكوكب. في الحملة ضد الإرهاب وانتشار السلاح النووي ، ينبغي ان تستخدم القوة الخشنة بحكمة ، مدعمة بشرعية متعددة الأطراف الا في الحالات الاستثنائية القصوى. ينبغي أن تسعى القوى الذكية الى التراجع عن الايديولوجية الى البراغماتية التي اشتهرت بها أمريكا ونالت بسببها سابقا اعجاب الجميع .

بدون شك إن اقتراح براك اوباما لانشاء "بيوت أمريكا" في الخارج والتي تحوي مراكز شباب ومكتبات خاصة في العالم الإسلامي ، سيكون مفيدا كما هي فكرة جون مكين التي أعلنها في حملته الإنتخابية ، من انشاء وكالة مستقلة واحدة للاشراف على كل دبلوماسية امريكا العامة والتي سوف تضم مكتبات امريكية واتصالات الانترنيت مع "فيالق مهنية من خبراء الدبلوماسية العامة الذين يتحدثون لغة محلية وتكون مهامهم هي ترويج القيم والأفكار والثقافة والتربية الأمريكية " **136**

وقد جمع السيناتور الأمريكي سام براونباك مفهوم هذه الأفكار في تشريع قدمه في اواخر عام **2008**. وكانت مسودة اللائحة تنص على اقامة المركز القومي للاتصالات الستراتيجية باعتباره وكالة مستقلة كما

---

[135] Ikenberry, J. "China and the Rest Are Only Joining the American-Built Order" *New Perspectives Quarterly* (Summer 2008), vol. 25, no. 3, pp.18-21

[136] Barnes, S. "Whose Face to the World?" *International Herald Tribune, May 23, 2008*

كانت (الوكالة الامريكية للمعلومات) في حينها، لخوض "معركة الايديولوجية على نطاق واسع " ضد افكار الاسلام المتطرف. والعنصر المشترك بين كل هذه المقترحات هو انها موجهة الى تمكين أمريكا من تحسين رواية قصتها للعالم.

ولكن لو كانت هناك عبرة مؤثرة حقا من المسار المدمر الذي سلكته امريكا بعد 11 سبتمبر فهو ان أي فكرة بديلة مثل " القوة الذكية" لابد ان يدعمها اولا جمهور مطلع في الوطن. حيث أن كل كبوة او مغامرة فاشلة او خطأ حسابات او مصيبة نتجت عن السياسة الخارجية الأمريكية يمكن أن تعزى الى نقص المعلومات واقصاء الجمهور الديمقراطي في بلاد القوة العظمى في العالم. إن فجوة المعلومات في هذا الزمن في كل مفاصل الحياة هو خطر على الأمن القومي مثله مثل اية فجوة عسكرية خلال الحرب الباردة.

في أفضل أيامنا ، وتحت قيادة فرانكلين روزفلت ، بضمنها ايام ثرثراته بجانب المدفئة و اعلانات الأفلام ، كانت القيادة الأمريكية تفهم وظيفتها التربوية في دولة ديمقراطية – النقاش من اجل افضل المسارات والحصول على دعم الشعب بعد التأكد تماما من فهمهم لما يكتنفه ذلك المسار من أخطار ومجازفات.

ولم تكن أمريكا أحوج الى هذا مما هي إليه في زمن العولمة حيث اصبحنا مرتبطين بعرى لا تنفصم بآخرين لا نفهمهم غالبا. وفيما نحن نتقدم الى المستقبل ، لايحتاج الأمريكيون فقط الى تطوير قدرة

كوزموبوليتانية للتعاطف والفهم مع اولئك الذين نشاركهم العيش في هذا الكوكب المتقلص، بل يحتاج الأمريكيون ان يتعلموا احتضان قواعد اشتباك العولمة التي تتطلب تأسيس قواعد مشتركة وعادلة للعبة.

بسبب قوتنا التي مازالت مهمة ووضعنا الفريد، تظل القيادة الأمريكية لاغنى عنها في مهمة جعل العالم آمنا من أجل ترابطنا – وهي مهمة في صالح مصالحنا على المدى البعيد لأننا لن نكون دائما الكلب القائد حين تنتقل القوة في القرن الواحد والعشرين. إن مشاعر الانعزالية أوالحمائية أوالمحلية أوالقومية أو الغطرسة تهدد فكرة ذلك الأمان.

ومثل ذلك ، بينما التطرف الديني والتعصب العشائري والشمولية الشعوبية أو قمع الدولة في العالم تعزز ذاتها ضد "تلوث" اندماج عالمي اكبر، فإن بزوغ التجربة الأمريكية كمجتمع مفتوح متعدد الثقافات صالح للعيش لم يكن اكثر أهمية في اي وقت من الأوقات مثل الآن. هذه ميزتنا التنافسية كما انعكست بكل الاحتكاكات المصاحبة في افلام مثل (اصطدام **Crash**)

انه في هذا المجال الخاص بتشكيل الرأي والوعي العام دعما للقوة الذكية والثقافة الكوزموبوليتية المفتوحة عالميا ، يأتي دور الدبلوماسية العامة وهوليوود. انهما جزء من "التحالف العميق" المطلوب لبناء البنى التحتية للترابط. وكما أبدينا في أنحاء هذا الكتاب، طالما أن تواصل الثقافة الجماهيرية الأمريكية وتأثيرها في سرد القصة يلعبان دورا مهما في

تشكيل الوعي في الوطن وخارجه ، فلابد أن يكونا جزءا من هذا الجهد كما هم خبراء الدعاية في وزارة الخارجية والقيادة السياسية.

وكما أشار جو ناي استاذ هارفارد، فإن الثقافة ليست "قوة ناعمة " بذاتها، ولكنها مورد يمكن أن يكون له تأثير إيجابي أو سلبي اعتمادا على المضمون. كيف اذن يمكن لهوليوود أن تستخدم مواهبها المهمة لانتاج نوع "القوة الناعمة" التي تساعد على فوز الخطاب أمريكا مرة ثانية؟

أولا، على هوليوود – ونقصد المحتوى المنتج مهنيا للاستهلاك الجماهيري أو التخصصي، عبر كل منابر وسائل الترفيه– ان تعود الى أخلاقيات أحد مؤسسيها: هاري وارنر. كان وارنر يؤمن بأن السينما ينبغي ان تربي كما تسلي. وبسبب ادراكه لقوة الصورة ، كان يشعر بمسئولية ليس فقط لتسلية وانما لتنوير الجمهور حول الخطر الداهم على الحضارة اللبرالية ، متمثلا في ايامه بالفاشية. كتب وارنر في **1939** مايلي:"يشارك منتج الأفلام هذا الإلتزام مع المدارس والكنائس والمؤسسات الخدمية من كل نوع، والتي ترمز للتسامح ، والتفكير الشريف و العلاقات العادلة مع بقية البشر. لا أقصد أن نحاول ان نعلم كل هذه الدروس على المسرح، ومنه نلقي خطب الوعظ او نحل مشاكل العالم. لا نستطيع فعل ذلك ولكن نستطيع وينبغي علينا ان نقدم يد المساعدة. يمكن ان يكون الفيلم قوة عظيمة للسلام والنوايا الحسنة ، أو

، إذا هربنا من واجبنا الحق، يمكن لهذه القوة ان تقف على التل وتترك العالم يتقوض."137

في يومنا هذا، تختلف التحديات بطبيعة الحال، وهي أكثر انتشارا وتعقيدا– وقد تنوعت وسائط اعلام الترفيه بكثرة من الشاشة الفضية الى الهاتف النقال. ولكن كما بين 11 سبتمبر بجلاء، فإن التحديات تزداد صعوبة فيما يتعلق باستدعائها لمؤشرات المسئولية.

هناك منطقتان تستطيع فيهما صناعة الثقافة الجماهيرية والدبلوماسية العامة التعاون في القصد. ليست المسألة اتباع هوليوود لسياسات الحكومة ، وانما مسألة نقل وعي : اولا في الترويج للحضارة اللبرالية والدفاع عنها بطريقة ضرورية في عصر البيت الزجاجي العولمي ، اي التواضع والصدق فيما يتعلق بكبوات النموذج اللبرالي لـــ(الحياة الجيدة) فيما يخص تطبيقها عالميا. ثانيا ، الترويج داخل أمريكا للفهم المتعاطف مع الحضارات وأساليب الحياة الأخرى. كلا الجهدين سوف يشجعان بالتالي التداخل الثقافي عالميا، في السينما وفي اشكال أخرى من الفن والترفيه، مع رعاية وعي كوزموبوليتانيا بدلا من صراع يولده الجهل.

ينبغي على خبراء الدعاية في وزارة الخارجية وصناع الافلام في هوليوود على السواء، إضافة الى منتجي المحتوى المحترفين، الاّ يتراجعوا أمام الإستقامة السياسية عن الدفاع عن الحضارة اللبرالية. وبالضبط كما

---

[137] Kaplan, M. and Blakley, J. (eds) (2003) *Warner's War: Politics, Pop Culture & Propaganda in Wartime Hollywood*. The Norman Lear Venter, University of Southern California, p. 12

في أفلام وارنر مثل فيلم "اعترافات جاسوس نازي" فإنه ينبغي توضيح الخطر في أيامنا هذه. وبصفتها ملاذا ومحفرا لبشرية كوزموبوليتانية تتألف من مختلف المشارب الإثنية والعرقية، والدينية، فإن فكرة أمريكا تقف ضد تحديات التطرف الإسلامي والانسياق الايديولوجي والسياسات القومية أو القبلية في القرن الواحد والعشرين بقدر وقوفها ضد الفاشية في منتصف القرن العشرين. وفي عالمنا المكون خاصة من ثقافات هجينة ومجتمعات مفتوحة ، يكون حلم النقاء هو وجه العدو. وكما اشار بول بيرمان في مقالته المعنونة :"الارهاب والليبرالية" فإن التوق للنقاء – العرقي او الايديولوجي او الديني- هو أساس كل انواع الأصولية. إنه قوة الدفع خلف الظلامية ، والنزعة للإنغلاق بدلا من الانفتاح ، للإقصاء بدلا من الضم.

ترى عيان هرسي علي مؤلفة كتاب "كافرة" والمجربة للتأثير الإعلامي، أن هوليوود تملك قدرة هائلة على قلوب وعقول العالم في الترويج لمجتمع مفتوح عالميا اذا قامت بالمهمة. بالنسبة لها، فإن صناع سينما هوليوود لديهم من القوة – مثل السياسيين إن لم يكن أكثر- مايمكنهم من تشكيل حياة الأفراد .

في نظرها، أن افلاما مثل بابل للمخرج اليخاندرو جونزاليز آنياريتو ، تبين ما يمكن عمله. في رأيها ، لم تكن لقوة نجمي الفيلم : براد بت وكيت بلانشيت – صلة بالموضوع. وانما قوة الفيلم تكمن في تصوير راعيين شابين مغربيين شقيقين يطلقان النار بغير قصد على سائح يركب

حافلة تمر في منطقة ريفية مقفرة ، من بندقية كان رجل أعمال ياباني في رحلة صيد غريبة قد تركها لهما هدية .

أولا أظهر الفيلم التعسف والوحشية التي تعامل بهما الشرطة المغربية مواطنيها ، ولكن أهم مافي الفيلم انه أظهر "واقعا على الأرض" يلقي ضوءا على التطرف والتمرد الذي تواجهه أمريكا في انحاء العالم اليوم. رغم الاستجوابات الوحشية على أيدي السلطات ، فإن الأخوين اللذين يتهمان خطأ بالإرهاب، لايشي أحدهما بالآخر حول حقيقة من اطلق الرصاص على الحافلة. ففي النهاية ، كان الواقع الوحيد الذي يعرفانه هي علاقتهما ببعضهما الآخر، انهما يعيشان معا كل يوم وكل ساعة. بقية العالم بالنسبة لهما كان فكرة غامضة نائية. وبما ان ولاءهما لبعضهما، كان للواقع الوحيد الذي يعرفانه فقد دفعتهما الغريزة للهرب حين أطبقت عليهما الشرطة. وحين أطلقت الشرطة النار على أحدهما وقتلته، تحول الآخر الى عدو أبدي للسلطات المغربية.

في رأي هرسي علي، قوة مثل هذا الفيلم لا تكمن فقط في التصوير المعقد والصادق الدقيق لواقع شمال أفريقيا ، وإنما ايضا في حقيقة أن أكثر الوجوه تأثيرا على الشاشة لم تكن وجوه النجوم الكبار وانما الملامح الداكنة للفقراء والمحرومين في ما اعتدنا على تسميته "العالم الثالث"

تقول هرسي علي أن السينما يمكن ان تكون أداة مهمة بشكل خاص في تغيير سلوك المجتمعات القبلية او التقليدية في أرجاء العالم الإسلامي. يمكن مثلا أن تقوم الادانة السينمائية لتشويه الأعضاء الجنسية (الختان) في

أفريقيا او القتل غسلا للعار في تركيا ، بالاستعانة بممثلين يجد المسلمون في وجوههم انعكاسا لحياتهم، بما لا تستطيعه التشريعات في الدول الضعيفة ، وهو إلحاق العار بهذه الممارسات فتختفي من الوجود. هذا النوع من العار الذي يعبر عنه ممثلون من محيطهم وليس من الغرب، هو بالنسبة للكاتبة عيان هيرسي علي ، اقسى سلاح لإدانة فكرة "شرف الرجل" التي باسمها تساء معاملة النساء على نطاق واسع. هذا يمكن ان يحقق، بشكل أفضل مما تفعله كل الجيوش في حرب طويلة ضد الاسلام المتطرف ، فوز الغرب في معركة الأفكار.

وضع جراهام فولر **Graham Fuller** وهو نائب رئيس سابق في مجلس الأمن القومي التابع لوكالة المخابرات المركزية ومؤلف كتاب "مستقبل الاسلام السياسي" بعض الأمل ، أمام الاحباط السياسي المستمر، في قوة السينما لكسر أغلال كل العقليات المتجمدة في كل أطراف الشرق الأوسط. وكان قد ذهل للاحتمالات التي تشكلها ثلاثة أفلام ظهرت في نفس الوقت– فيلم هاني ابو اسد "الجنة الآن" و فيلم ستيفن سبيلبيرغ "ميونخ" وفيلم ستيفن جاجام "سريانا" – لمساعدة الأطراف المتحاربة للخروج من تقوقعها.

كتب جراهام في **2006** "مما يبعث الحزن ولكن ليس الدهشة، أن الأمريكيين والإسرائيليين والفلسطينيين قد تراجعوا عن وجهات نظرهم الأكثر شمولا وإيجابية الى الدوران السايكولوجي للعربات، ارتدادا الى دثار الوطنية العظمى : وطني ظالما أو مظلوما، مستمدين عناصر القوة من

وطنية متضخمة في زمن المصائب"، ونتيجة لذلك كما يستنتج فولر، لم يعد أحد راغبا في تسوية أي شيء بأقل من "نصر شامل" – وهي ذهنية سايكلولوجية ليس ثمة أشد منها تقويضا لأي تسوية أو مصالحة او حلول نهائية"

يرى فولر أن هذه الأفلام الثلاث تفتح فضاء التعاطف المطلوب بالابتعاد عن إحساس أي طرف بأنه وحده على الحق. يقول فولر "– الدقة – الواقعية لكل واحد من هذه الأفلام سوف تكون مثار جدل أنصارها لسنوات طويلة، ولكن ليست هذه هي القضية. مايهم هو رؤيا المخرجين الثلاثة الذين حاولوا السمو فوق اليقين الوطني الضيق والشيطنة التقليدية للعدو للدعوة الى بحث الأحداث على المستوى الإنساني وأسباب قيام "الآخر" بما يقوم به" 138

وحتى في سعيها الى خوض معركة الأفكار هذه، تحتاج أمريكا ، في نفس الوقت ، ان تكون أكثر صدقا على المسرح العالمي فيما يخص تطرفها في أن يكون الجميع وفق نموذجها الثقافي اللبرالي، وأن تبدي المزيد من التواضع وسعة الصدر فيما يتعلق بتعريفات الآخرين لما يرونه "الحياة الجيدة". هل ينبغي علينا فعلا أن نكون أكثر ثقة في تأكيدنا العولمي على أن ممارساتنا لحرياتنا هي دائما أفضل من الممارسات الأكثر تقييدا في المجتمعات الأخرى المتجذرة بالتقاليد الكوفوشية او الاسلامية او الهنوسية ، والتي تكون فيها ، للبنوة الصالحة ، والروحانيات الأكثر ،

[138] Fuller, G. “Will Groundbreaking Movies Move the Middle East?” *New Perspectives Quarterly* (Spring 2006), vol. 23, no. 2, pp.31-3

والماديات الأقل، السطوة الأكبر من رغبات الفرد؟ إننا بالكاد نملك الحق لنقيم من أنفسنا "مرشدين للبشرية في رحلة حجها نحو الكمال" كما ورد في المقالة الشهيرة لراينهولد نيبور ، بينما نجعل من بريتني سبيرس **Britney Spears** نموذج اسلوب الحياة الأمريكية.

لقد دقت مارثا بايلز المسمار على الرأس بقولها "الولايات المتحدة اليوم في موقف تحتاج فيه الى تأكيد الاهمية القصوى للتعبير الحر في عالم لديه شكوك بشأن ذلك . وأفضل طريقة لفعل ذلك هو إظهار أن الحرية تصحح نفسها: أي أن الشعب الأمريكي لايملك الحرية فحسب وإنما ايضا حضارة جديرة بالحرية" **139**

وبدلا من الاحساس بأننا على صواب، فإن الرأي المناسب ، اذا أعدنا صياغة وصف ونستون تشرتشل للديمقراطية ، قد يكون هو أن الحضارة اللبرالية هي أكثر الحضارات اخطاءا ، ماعدا بالنسبة للآخرين.

ولايكفي أن يصاحب هذا التواضع الثقافي ، المزيد من معلومات فقط، وانما ايضا فهم متعاطف مع الآخرين الذين نرتبط بهم بالعولمة. ويقول يويوما "القدرة على وضع نفسك في موضع الآخر بدون أحكام مسبقة، هي مهارة ضرورية **140**. التعاطف يأتي حين تفهم شيئا بعمق ، وبهذا تستطيع أن تقوم بتواصل غير متوقع. هذه المتوازيات تقربك من الأشياء

---

[139] Bayles, M. “The Ugly Americans: How Not to Lose the Global Culture War” *AEI Online* , Dec. 4, 2008

[140] Ma, Y.-Y. “Paths of Globalization: From the Berbers to Bach.” *New Perspectives Quarterly* (Spring 2008), vol. 25, no. 2, pp.19-21

التي قد تبدو بغير هذا بعيدة جدا". في هذا العالم من التخصص وتقسيم العمل والتنميط ، فإن التعاطف في نظر يويوما هو "الصفة القصوى التي تعترف بهويتنا كأفراد في العائلة الإنسانية"

مثل هذا الإقرار ، مترافقا مع جرعة من التواضع، هوالذي سوف يمنع ترويج الحضارة اللبرالية من ان تصبح ، كما في حرب العراق، مغامرة خاطئة باسم القيم العامة. مثل هذه المعرفة سوف تمكننا من صياغة توافق براغماتي مع الحضارات الأخرى، مقرين بحدود قوتنا وبالوسائل الأنعم للتغيير التفاوضي وفي نفس الوقت المحافظة على السلام مع بزوغ حضارة عالمية مختلطة جديدة.

عندما يحين الوقت مرة أخرى ، ربما على سبيل المثال نكون أقل غطرسة حول "الحرب النزهة" وحول زرع الديمقراطية الغربية في مكان مثل العراق، حيث فوجيء الرئيس الذي خطط لضربة وقائية ، بحرب أهلية لأنه لم يعلم الا متأخرا بالهوة التاريخية بين الشيعة والسنة التي كانت قائمة منذ قرون. في المرة القادمة ربما علينا ان نتوقع أن احتلال مكان يتذكر سكانه ، وقوف المغول على أبواب بغداد في **1258** وكأنه حدث بالأمس، قد يولد مقاومة. ربما نكون أكثر حذرا من الإعتقاد أن اطاحة دكتاتور مثل صدام حسين قد يطلق العنان للأمريكي الذي ينتظر أن يولد في قلب كل عربي. وفي معرض تأملاته في الأخطاء الأمريكية في الحرب على العراق ، حسبَ الجنرال جون أبيزيد الذي رأس القيادة المركزية الأمريكية في العراق وأفغانستان من **2003**-

2007 كلفة الإنفصال الثقافي . قال امام المجلس الباسيفيكي في يوليو **2008** بأنه "كان هناك نقل عالمي للمعاييرالثقافية في واشنطن. لقد تصوروا ان غزو العراق كان تحريرا لفرنسا وليس غزوا لدولة شرق أوسطية تمور بالانقسامات العرقية. كانت هناك فجوة ثقافية هائلة. ولهذا اتخذنا بعض القرارات المهمة في الحرب اعتمادا على سوء فهمنا للثقافة"**141**

ما يقترحه هو ضرورة قلب فكرة الدبلوماسية العامة رأسا على عقب، معكوسة الى الداخل لتثقيف قادتنا وجمهورنا ورواة الثقافة الشعبية، بما يجري في العالم الخارجي.

وقد كان الباحث المسلم طارق رمضان مصيبا بقوله أن عصر المعلومات بكل ضجيجه، هو عصر اللاتواصل **142**. مع كل افلام الشاشة الكبيرة ، والساعات اللامتناهية من التلفزيون والبحث في جوجل ، وتحميلات الآي تيون **iTune** ومع وجود العالم على مبعدة ضغطة فأرة كومبيوتر، مازال الأمريكيون يفتقرون لمعرفة الآخرين عالميا. ومنذ نهاية الحرب الباردة ، حتى السلطة الرابعة – مؤسسة الصحافة – قد تراجعت بشكل هائل من التغطية العالمية كلما استدعت الضرورة.

---

[141]ملاحظات في المجلس الباسيفيكي حول السياسة الدولية، لوس انجيليس / 21 يوليو -2008

[142] Ramadan, T. “The Global Ideology of Fear” *New Perspectives Quarterly* (winter 2006), vol. 23, no1, p. 12

في حوار مع آدم جارفنكل لصحيفة المصلحة الأمريكية **American Interest** نشر في عدد ربيع **2008** ، قال زبجنيو برجنسكي **: Zbigniew Brzezinski**

" نقطة ضعف أمريكا اليوم ، هي أننا الآن أكثر درامية من اي وقت مضى ، بمعنى أن الضغوطات الشعبية تترجم فورا الى ضغوطات سياسية. وربما نحن مازلنا على نفس جهلنا ببقية العالم، لأن كل واحد منا يعيش الآن في واقع مبسط ومهمش وافتراضي تختلط فيه الحقائق والأكاذيب والانطباعات والنزعات ، في مزيج غامض. والشعب فعلا لا يملك ذرة معرفة بالتعقيدات ، وليس لديه ثقافة فكرية للحكم عليها، كما ينحدر قادتنا السياسيون الى الغوغائية بشكل متصاعد."

ويضيف برجنسكي ان الطريقة التي عكس فيها جورج دبليو بوش حملته للحرب على العراق:

" بالاشارة الى اسلحة دمار شامل خيالية ، وفي تعميمات الأسود والأبيض السطحية حول الحرية والطغيان كانت مثالا على ذلك. ولكنه كان يستجيب الى حالتنا المتنامية من العته المجتمعي. وهذا يثير القلق جدا. إن انحطاط الصحف كمصدر رئيسي للمعلومات، وانهيار البرامج الاخبارية المتلفزة الجادة ، وانتشار هذا النوع من التبادل الفكري بين الواقع والواقع الإفتراضي يخلق حالة عقلية جمعية لا تستند على التحليل المنطقي."

وفيما تتراجع الصحف عموما عن تغطية الأخبار الدولية وحتى المحلية، فإن المزيد من الناس يلجأون الى المواقع على الإنترنيت لاستقاء أخبارهم. والخطر الظاهر فعلا هو أن يجد هؤلاء الأخبار في المواقع التي يذهبون اليها عادة وليس في اوساط موضوعية مكرسة للصالح العام ولكنهم يذهبون الى المواقع التي تؤيد أفكارهم وتتفق مع ميولهم الأيديولوجية. هذا هو الحكم الذي نستنتجه من نجاح قنوات ومواقع مثل فوكس الى كيث اولبرمان في إن بي سي **MSNBC** الى جون ستوارت في "البرنامج اليومي **Daily Show**" الى مدونات مثل هافنجتون بوست **Huffington Post** الى راش ليمبو **Rush Limbaugh** في برنامجه الإذاعي الحواري.

لرئيس الخارجية البريطاني ديفد ميليباند ولع بالقول أن العالم يمر عبر "زيادة مدنية **Civilian Surge**" حيث أن التكنولوجيا تمكن المواطنين لمحاسبة الحكومات والسلطات الأخرى من خلال الوصول الى المعلومات. وكما أوضحنا آنفا في هذا الكتاب، فإن هذا القول مصيب جدا في حد ذاته. وقد توسع شيمون بيريز في هذا واقترب به الى المعنى بشكل أوضح. قال في أحد أقواله المأثورة "اعلام الترفيه الجماهيري جعل من الدكتاتورية مستحيلة ومن الديمقراطية غير محتملة"**143** من خلال سعيها المحموم لحصة السوق باستبدال المعرفة باثارة الغرائز بأي شكل سواء الهوس بمتابعة أخبار النجوم أو الجنس او العنف لذاته. وقد انتقلت قيمة الصدمة من تجربة التحديث المثيرة لكسر القوالب الى خدعة تسويق.

[143] أحاديث مع ناثان غردلز في فندق بلفدير في دافوس ، سويسرا بتاريخ 27 يناير 1998

مثلا ماهي المعلومة الخاصة بالقبائل المحلية وطالبان التي يقدمها لنا برنامج تقرير درادج **Drudge Report** حين يكشف لنا سر التحاق الأمير هاري بالقوات البريطانية في افغانستان؟

مؤخرا اشتكى ريتشارد ليفن عميد جامعة ييل من "انعزالية" طلابه، حيث الكثير منهم يستمرون حتى يصبحوا قادة سياسيين ناقصي المعرفة ، يتخذون قرارات كارثية في شئون العالم، مثل خريج ييل جورج دبليو بوش. وهل يستطيع أحد أن ينسى الملاحظة الغريبة التي ابداها حاكم اركنساس السابق والمرشح للرئاسة مايك هاكابي بعد اغتيال بنازير بوتو بأنه ينبغي "البحث عن أنشطة الباكستانيين المثيرة للشك في الولايات المتحدة" رابطا بينهم والمكسيكيين في عبور الحدود غير الشرعي؟

مايصح على ييل ، يصح على هوليوود التي تقدم، عبر صورها المؤثرة، أمريكا الى العالم ، وتشكل جوهريا وجهات نظر الأمريكيين للعالم. وغالبا تأتي النتائج أسوأ من انعدام المعلومات. انه تضليل رامبوي يشكل البشر في العالم بأنماط أو مجسمات كارتونية للبشر.

هناك مقولة نافذة لوزير الخارجية الألماني السابق جوشكا فيشر ، وهي انه في حين كان وزراء الخارجية سابقا يقدمون بلدانهم للعالم، يتعين عليهم اليوم تقديم العالم لبلدانهم. وطبقا لهذا المنطق، فإن أهم تغيير مطلوب في مهنة الدبلوماسية العامة هو اتباع نصيحة فيشر بتحويل اتجاه بؤرتها. فوزارة الخارجية الأمريكية التي تقوم بمهام وكالة المعلومات الأمريكية، ينبغي ان لاتسند اليها مهمة إطلاع العالم بمعلومات حول

أمريكا فقط، وانما اطلاع الشعب الأمريكي ، بدئا من هوليوود بشأن العالم الخارجي.

وفوق كل شيء، يحتاج الذين يثقفون ويعلّمون صدفة او قصدا ، من خلال وسائل اعلام الصورة المؤثرة، ان يكونوا أنفسهم على اطلاع واسع .

رغم انه لا حاجة للقول ولكننا سنقوله لتجنب اي خلط. أننا لا نقترح سيطرة أو "توجيها" من الدولة فيما يتعلق بالمعلومات. الفكرة هي ببساطة أنه ينبغي على الذراع الدبلوماسية لدولة ديمقراطية ، المسئولة عن اتصالنا بالعالم الخارجي ، ان تتحمل عبئا أكبر في عصر العوملة المتداخل ، في تثقيف مواطنيها حول الوقائع فيما وراء الحدود.

حتى الآن ، كان اكثر سبيل مؤثر على قلوب وعقول الجماهير، ليس الخطب السياسية الركيكة، وهي على أهميتها أحيانا، وإنما من خلال "المعرفة المتخيلة" –الأدب والسينما– التي تشعل تعاطفنا تجاه حياة وارواح الأخرين. وربما من المناسب ان نصف هذا بالدبلوماسية الثقافية.

وماقاله سلمان رشدي بشأن دور الأدب العابر للمحلية فيما بعد **11** سبتمبر، ينطبق على السينما كذلك . قال رشدي "الأدب يمكن ان يزيل ذلك الجزء من الخوف المنبثق من جهلنا بالأمور" **144**. ومثله ، يقول

[144] “Literature Can Close the Fear Gap” Interview with Michael Skafidas, ” *New Perspectives Quarterly* (summer 2005), vol. 22, no.3, pp.7- 12

آزار نفيسي مؤلف "قراءة لوليتا في طهران" "يفترض بوسائل الإعلام الإخبارية أن تخدم جانبا واحدا من احتياجاتنا – المعلومات. ويمكن إشباع الجانب الآخر من خلال المعرفة التخيلية. جزء من الاسباب التي جعلت الناس يحبون كتابي هو من أجل ان يختبروا خلال القراءة ما اختبرته فتاة صغيرة في بلد يسمى الجمهورية الإسلامية. وقد اكتشفوا أن رغباتهاوطموحاتها لا تختلف كثيرا عما يجيش في أنفسهم " **145**.
والروائي التركي الحاصل على جائزة نوبل اورهان باموك يقول نفس الشيء فيما يتعلق بالفن التخيلي للرواية، التي يرى انها "قائمة على قدرة فريدة لدى البشر للتماهي مع الآخر، حتى أولئك الذين ليس لنا معهم مصالح مشتركة "**146**

أحد أمثلة السينما التعاطفية هي فيلم الكارتون بيرسيبوليس **Persepolis** حول المؤلفة الايرانية التي تهرب من شرطة الفضيلة في الوطن ، وأيضا من قوات المراهقين العدمية أيام تلمذتها في فيينا. وفيلم آخر قد يكون "قصر الصيف" للمخرج يي لو ، وهي قصة يأس وجودي بين جيل ميدان تيانانمين المبعثرين والهائمين يبحثون عن الحب في الوقت الذي كانت تتجه فيه الصين نحو التحديث. كذلك فيلم داني بويل " كلب الحواري المليونير **Slumdog Millionnaire**" والذي يقدم

[145] "Fiction: Open Space in a Closed Society." Interview with Michael Skafidas, " *New Perspectives Quarterly* (summer 2005), vol. 22, no.3, pp. 12-15
[146] Garde;s, N. (2008) "The Art of the Novel is Anti-Political" Interview w2ith Paul Holdengraber, *New Perspectives Quarterly* (spring 2008), vol. 25, no.2, p. 90

تحليلا عميقا في الطبقية والفقر في الهند النامية. أما فيلم اليخاندرو آيناريتو "بابل" فهو نموذج الفيلم المصنوع قصدا كما وصفه مخرجه " لرواية وجهة نظر الآخرين، مرددا صدى كلمات يويوما حول التعاطف، يقول آيناريتو "أهم شيء في نظري لم يكن تصوير ثقافة أخرى كما نراها بعيوننا، ومن واقعنا، هذا كايكاتير، وهي طريقة غربية جدا لتصوير افريقي او مغربي او ياباني. لقد حاولت جهدي لرؤية ماهو مهم بالنسبة لهم ، أن اضحي وأتنازل عن وجهة نظري من أجل ان أرى دراما عالمهم من خلال عيونهم"

ويستمر المخرج المكسيكي قائلا "في نفس الوقت، يكمن المفتاح في ان تسبغ على كل الشخصيات كرامة. كلمتان تصدرتا صنع فيلم بابل بالنسبة لي : الكرامة والتعاطف. وعادة تنسى هذه الاشياء في غمرة صناعة الكثير من الأفلام، عادة ليس ثمة كرامة لأن الفقراء والمشردين في مكان مثل المغرب يتم تصويرهم باعتبارهم ضحايا او يصور اليابانيون كشخصيات كارتونية وليسوا من البشر." **147**. ينبغي ان يمتدح ويدعم بشكل واع هذا الترويج للمعرفة التخيلية مع هذا المبدأ في الذهن ، باعتبارها عمودا رئيسيا من أعمدة الدبلوماسية العامة او الثقافية معكوسة الى الداخل.

[147] “Hollywood Must Portray Point of View of Others” Interview with Nathan Gardels , *New Perspectives Quarterly* (Spring 2007), vol. 24, no. 2, pp.7-9

مثل هاري وارنر، ينبغي على حشود المواهب في هوليوود، في هذه المناسبات حين تتفق ربات الفن والضمير، لتكريس إبداعهم لهاتين المهمتين: الترويج والدفاع عن مجتمع عالمي مفتوح وتثقيف الجماهير الأمريكية حول العالم. وردا على المقولة المكررة على ألسنة منتجي هوليوود حول هذه الفكرة بقولهم "عملنا هنا تجاري للترفيه وتجميع الأموال" نقول : هل المواهب في هوليوود هي من الضآلة بحيث لا يتصدر أحد فيها لتحدي مهمتي التثقيف والتسلية معا؟"

وبتعبير عملي، ماذا يمكن فعله؟ نعرف من الإنهيار المالي في **2008** أن الاعتماد على السوق غير المراقبة وحدها قد يكون مدمرا. نفس الشيء ينطبق، وحتى أكثر، على الثقافة. وكما ناقشنا آنفا، فإن فقاعة الثقافة الجماهيرية قد تشوه الاتصال بين الناس، وتخسف ببعض نواحي الحياة في دول في حين تضخم وتهول نواح أخرى محولة إياها الى أنماط. وبالتأكيد، فإن التخلي عن التواصل بين الثقافات الا ما يناسب تجاريا فقط هو أمر لامسئول في عصر العولمة.

بطبيعة الحال، في المجتمع الحر لا يمكن تنظيم الثقافة مثل المال. لاتستطيع الحكومة ولا ينبغي لها ، أن تحاول املاء منتوج ثقافي. ولكن كلا من الحكومة وصناعة الترفيه يمكنهما أن يضمنا أن الثقل – أشكال من المراقبة والمحاسبة التي تتواجدان أينما وجدت السلطة في مجتمع ديمقراطي لبرالي – موضوع في مكانه.

مقترحنا يتضمن أمرين: أولا ، ينبغي على الادارة الجديدة اطلاق مؤسسة كبيرة شبه عامة- يمكن تسميتها "منتدى التبادل المعلوماتي والثقافي" وتكون هيئة مستقلة تلحق بجهود الدبلوماسية العامة في وزارة الخارجية وتمنح استثناءا من الضرائب لتشجيع المساهمات الخاصة. ومثل جهاز الإذاعة العام **PBS** ستكون مستقلة التحرير (رغم انه كما يعلم جهاز الإذاعة العام ، ليس ثمة هيئة ترتبط بتمويل حكومي يمكن ان تكون كاملة الحرية من الضغوط السياسية) ولاتخضع لإملاءات أي كان في السلطة في لحظة معينة.

وعلى عكس صوت أمريكا مثل ، لن يكون المنتدى مرتبطا بأي اجندة دبلوماسية معينة . وتفويضها الواسع سيكون "للمساعدة في جعل العالم آمنا للتعايش" من خلال الترويج لتبادل المعلومات والثقافة بين الولايات المتحدة وبقية العالم.

الفرق الكبير هنا هو في هيكلة المنتدى التي ستكون مثل شارع ذي اتجاهين. سوف تستمع أمريكا لقصص الآخرين كما سوف تروي قصتها – تطور للدبلوماسية العامة باتجاه تبادل ثقافي طالما سعى من أجله دعاة مثل نيكولاس كل **Nicholas Cull** من كلية انينبيرغ بجامعة جنوب كاليفورنيا.

تشمل الأهداف الرئيسية للمنتدى مايلي:

- كسر انعزال الجمهور الأمريكي بتشجيع عرض الأفلام والفن والمسرح والأدب والأخبار الأجنبية في الولايات المتحدة. سوف يسعى المنتدى لبناء جمهور أمريكي أعرض للأفلام الأجنبية المتوفرة بتنوع كبير، اضافة الى تمويل وترتيب الترجمة والنشر ونقد الأدب الأجنبي الذي بالكاد يكون له وجود حاليا في الولايات المتحدة.

دور رئيسي آخر للمنتدى سيكون ملء الفجوة التي خلقها التراجع الشامل تقريبا لمؤسسات الأخبار السائدة في أمريكا عن التغطية المكثفة للأخبار والتيارات الثقافية العالمية. بكلمات أخرى، سوف يسعى المنتدى الى "اجتثاث المحلية " من الاخبار التي تصل للجمهور الأمريكي. سوف يستغل المنتدى عدة اشكال من منابر الإعلام – خاصة مواقع الصحافة المهمة على الإنترنيت والتي لها ارتباطات عالمية – لتحقيق هذه الأهداف.

- تشجيع عرض المنتجات الثقافية الجادة في الخارج والتي قد لا تلبي متطلبات السوق من الثقافة الجماهيرية ، او ربما، متطلبات السياسة من تبني السياسة الحكومية، وهكذا تفتقر الى شبكات التوزيع الواسعة التي تتمتع بها منتجات الترفيه التجاري او المرضي عنها رسميا.

أحد الأمثلة على مايدور في الذهن الآن كان رعاية المجلس الثقافي البريطاني لعروض المسرحية السكتلندية "الخفارة السوداء **Black Watch**" في الولايات المتحدة ، رغم انها كانت شديدة الإنتقاد للحرب على العراق.

باختصار سوف يهدف المنتدى لتقديم صورة الحياة الأمريكية لبقية العالم بشكل يتجاوز الصورة المألوفة التي اعتاد الإعلام الترفيهي تقديمها.

- تشجيع تبادل عريض واسع ومباشر للطلبة والصحفيين والمفكرين والشخصيات الثقافية الأخرى من خلال المؤتمرات والرحلات والترتيبات المتبادلة مع المؤسسات الثقافية في الخارج. سوف يتضمن هذا تأكيدا أكثر على التدريب اللغوي في كل مستويات التعليم الأمريكي.

ولاستكمال هذه المبادرة الحكومية ، ينبغي تأسيس مجلس منظم صناعيا، تحت اسم (مجلس العلاقات الثقافية) على طراز مجلس العلاقات الخارجية.

وكان مجلس العلاقات الخارجية قد انشيء في **1920** كوسيلة لإطلاع المجتمع المالي على المعلومات وتقديم المشورة للحكومة، من خلال خبرائه المقيمين ، عن اتجاهات العالم في وقت كانت امريكا تبزغ لأول مرة كقوة عظمى بعد الحرب العالمية الأولى. في أيامنا ، الرأسمال الثقافية ، اذا جاز التعبير، مؤثر بنفس الطريقة والذين ينتجونه يحتاجون أيضا الى ادراك أفضل للعالم الذي عليهم الآن ان يعملوا في أرجائه.

ينبغي تنظيم كونسرتيوم من شركات الانتاج السينمائي ومؤسسات الترفيه ورابطة السينما واكاديمة السينما والفن والعلوم وربما متحف بيلي **Paley** ، لتمويل وإدارة الجهاز. وسوف تمنح العضوية لمنتجي السينما والتلفزيون والإنترنيت والممثلين وكتاب السيناريو والمخرجين. ويمكن أن يكون مجلس العلاقات الثقافية مؤسسة غير ربحية مستقلة ممولة ذاتيا طبقا

للتصنيف القانوني **501/c(3)** والذي يمنح اعفاءا من الضرائب مثل الهيئات والمؤسسات التعليمية .

وربما بالتعاون مع المنتدى ، يمكن لمجلس العلاقات الثقافية أن يعقد المؤتمرات والندوات حول الشئون الثقافية والخارجية ويدعو قادة العالم للتحدث (كما دعي البابا للحديث في **1987**) وينظم رحلات معلوماتية واجتماعات في الخارج، ويعرض أفلاما بضمها الأفلام الأجنبية. (الكثير من الأفلام الإيرانية تجد طريقها في الواقع الى دور العرض المحلية المتخصصة في لوس انجيليس ، حيث تقطن جالية فارسية كبيرة. ولكن ما ينقص هو تنظيم التركيز على العروض حيث لا يجشم الكثير من المرتبطين بمهنة السينما في هوليوود أنفسهم للذهاب ومشاهدة هذه الأفلام).

أحد الأمثلة على برامج يتكفل بها المجلس، يتضمن سلسلة تلفزيونية مثل (**24**) ولها جمهور كبير في الخارج، وهي تنقل مفهوما ثقافيا يقول أن التعذيب ضروري ويأتي بنتيجة في ظروف مخففة مثل الحرب على الإرهاب. سيكون دور مجلس العلاقات الثقافية عقد مؤتمر حول الموضوع يشترك فيه منتجو المسلسل وكتّابه اضافة الى الخبراء من مجتمع الاستخبارات وضحايا التعذيب للنقاش حول قيمة المسلسل ، ولكن أيضا لتشجيع النقاش داخل مجتمع هوليوود ذاته حول مسئولية انتاج صور، حتى لو كانت خيالية، ولكنها رغم ذلك تشكل صورة أمريكا بالخارج.

ومن الواضح أن مؤسسة الفيلم ومؤسسة السينما العالمية التابعتين لمارتن سكورسيس **Scorcese** سيكون لهما دور هنا في تقديم السينما كجزء من تراث طويل من التعبير الفني ، العالمي في آفاقه، والذي ينبغي ان يرى بعين النقد وليس بمجرد السلبية.

وأمثلة أيضا من برامج مقترحة ، يمكن ان تتبع خطى مركز صبان في معهد بروكنجز **Saban Centre** والذي يشترك مع نقابة كتاب امريكا في مشروع لاكتشاف طرق لتقديم الشخصيات الإسلامية في البرامج التلفزيونية والسينما الأمريكية في صورة ايجابية.

إضافة الى ذلك ، يمكن لمجلس العلاقات الثقافية حتى أن يكرس جائزة سنوية "لأفضل فيلم ، او مسلسل تلفزيوني أو على الانترنيت" يشجع على فهم الآخرين أو أفضل من يقدم رسالة أمريكية لمجتمع تعددي متسامح .

هذان مقترحان من بين الكثير من المقاربات الممكنة لمعالجة قضايا أثرناها في هذا الكتاب. هدفنا هنا هو ببساطة اقتراح طريقة تفكير حول مهام الدبلوماسية الثقافية بينما كل من واشنطن وهوليوود تنهمكان في اعمالهما اليومية.

حرر هذا الكتاب لتشجيع الحوار بين هوليوود وواشنطن حول السلطة وأهمية الإعلام في تدبير شئون العالم في القرن الواحد والعشرين.

بالنسبة لصانعي السياسة في واشنطون ينبغي ان تكون قيمة إعادة ابتكار الدبلوماسية الثقافية حسب الخطوط التي اقترحناها ، واضحة للعيان. وفي حين يتدبر قراء هذا الكتاب من هوليوود مناقشاتنا من اجل المصلحة العامة ، فهم بالتأكيد يعرفون ان مستقبل صناعة السينما الأمريكية نفسها تكن في اجتذاب أكبر حصة من الجمهور العالمي. وهكذا يكون في صالح هوليوود ذاتها أن تفهم العالم كما هو في واقعه وأن تعكس ذلك الواقع من خلال مواهبها المهمة الى المشاهدين ، الذين يصدف انهم في نفس الوقت الجمهور الديمقراطي الذي يقود القوة الأمريكية في نهاية المطاف الى الإنتصار او الإنكسار.

ستة مفاهيم رئيسية في هذا الكتاب

من أجل التسهيل على القاريء ، نلخص هنا الأفكار الرئيسية في هذا الكتاب:

1- صراعات المستقبل سوف تكون حول القيم المتنافسة في مربع الجماهير العالمي الذي يخلقه الإعلام الترفيهي.

سوف تكون صراعات المستقبل بسبب التدفق الثقافي المنبثق بوفرة من اقتصاديات المعلومات العالمية بقدر ماهي بسبب ندرة الموارد. وهذا لأن القيم المتنافسة ازدحمت في ميدان جماهيري مشترك خلقته حرية التجارة وانتشار التكنولوجيا واتساع الاعلام في ارجاء الكوكب. فقط في مثل هذا العالم تشعل صور كاريكاتير عن النبي محمد في صحيفة دنماركية يومية مغمورة فتيل الغضب في انحاء العالم الإسلامي الواسع. فقط في مثل هذا العالم يمنع رهبان التبت المغطون بالدم من الظهور في أخبار التلفزيون الصيني ، ليظهروا في لمح البصر على يوتيوب. فقط في هذا العالم يشن الفاتيكان هجوما على فيلم (شفرة دافنشي) ليقنع المشاهدين أن ذلك الفيلم الخيالي هو أقل شأنا من الحقيقة الخالدة. في المسائل الثقافية ، أينما وجد احتكاك ، فهناك أيضا انصهار. والصدامات هي جزء من عملية التفاوض التي تولد مشتركات كوزموبوليتانية عالمية.

2- الصورة سلطة. في ميدان القوة الجماهيري العالمي هذا تكمن قوة الصورة طالما أن معظم الناس يدركون الحقيقة عاطفيا وليس عقلانيا. في تشكيل نظرقم للعالم، يميل الناس الى الانسياق وراء سرد يعتمد على الصور التي يتماهون معها ، الصور التي تعكس الكرامة والتقدير والمكانة داخل ثقافتهم. إنه السبب الذي يدفع رجل في متوسط العمر لشراء سيارة بورش ، ومراهق لتمني امتلاك أحذية بوما **Puma** او أي موضة تروجها وسائل الإعلامز إنه السبب الذي كان يدفع صدام حسين لإذاعة اغنية "طريقي **"My Way** في حفلات عيد ميلاده، وهو نفس السبب الذي جعل شباب غزة المنسحقين للتماهي مع القاعدة وهي تدمر البرجين في **11** سبتمبر.

3- بسبب انتشارها العالمي، فإن الثقافة الشعبية الأمريكية هي لاعب في الشئون الدولية بقدر المؤسسات الأمريكية للسياسة الخارجية. وبسبب افتقارهم للتجربة المباشرة في واقع الآخرين حيث ان اقل من **10** بالمائة من الشعب الأمريكي يسافر الى الخارج كل عام، فإن معظم الأمريكيين ،وهم أيضا جمهور "مابعد النص"، يستمدون آراءهم في الأجانب (ماعدا اولئك في البلاد التي هاجروا منها) من التلفزيون والسينما. العكس أيضا صحيح: السينما وبرامج التلفزيون والموسيقى الشعبية الأمريكية تقدم صورة أميكا لبقية العالم . وبسبب القوة الفريدة تاريخيا لمجمع الإعلام الترفيهي الصناعي لعكس الاسلوب الأمريكي في الحياة

للعالم ، فإن أمريكا في عيون العالم ليس مجرد من نحن وماذا نفعل وانما كيف نقدم أنفسنا من خلال أفلام هوليوود والثقافة الشعبية . إنها كلّ لا يتجزأ.

4- في عصر الاعلام العالمي على أمريكا ان تنافس من أجل كسب القلوب والعقول. رغم أن المجمع الأمريكي الإعلامي الصناعي بضمنه هوليوود، اعظم عاكس للصور في تاريخ الحضارة الانسانية ، كان المهيمن في وقت ما على الصور والايقونات والمعلومات عالميا، ولكن الأمر يختلف حاليا يوما بعد يوم. لقد مكنت الرفاهية وانتشار التكنولوجيا الآخرين لرواية قصصهم وانتاج أساطيرهم على الشاشة الفضية. وثورة التوزيع الرقمية ساعدت على دمقرطة تدفق المعلومات عالميا ونوعت المنابر لتشمل ليس فقط التلفزيون والكومبيوتر وانما ايضا شاشات الهواتف النقالة ايضا. وباضطراد يتحول التدفق الثقافي الى شارع ذي اتجاهين. وتتضح حاجة أمريكا الى التنافس من أجل الولاء ، خاصة بعد حرب العراق وغوانتنامو وأبي غريب وكاترينا. اذا كانت السياسة في عصر المعلومات تكمن في من يفوز خطابه، فإن أمريكا تسير على الطريق الخاسر. إن الوعظ الأمريكي للصين لمراعاة حقوق الانسان ومنح تقرير المصير لشعب التبت، يدق رنينا أجوف في مساحات شاسعة من الرأي العام العالمي بعد أبي غريب والغزو والاحتلال الوقائي للعراق. بالتأكيد أعاد انتخاب براك اوباما شيئا من بريق أمريكا الخافت. والكثيرون

ممن شككوا بأن الديمقراطية الأمريكية مازالت ناجعة لتنتخب رئيسا أسود، قد عاد إليهم إيمانهم. ولكن حتى مع هذا، فإن أمريكا، مثل الآخرين، عليها ان تتنافس في فضاء القوة هذا لكسب القلوب والعقول ، ولم يعد في استطاعتها الافتراض بأن الكثير من العالم على استعداد للاقتناع بخطابها. يتنافس الآخرون لتقديم خطاباتهم. أغنى إمرأة في الصين والتي صعدت من بيئة متواضعة الى ان تصبح بليونيرة من خلال اعادة تصنيع الصناديق الكرتون التي تعلب فيها التجارة الحرة، هي قصة لاتقل جاذبية بكل تفاصيلها عن قصة المؤلف الأمريكي هوراشيو ألجر الذي نال المجد بجهوده . وتتنافس في يومنا هذا : مسلسلات سلالة كنج **Qing Dynasty** ومسلسلات كوريا الجنوبية والدراما اللاتينية مع "ايام حياتنا" ومسلسلات امريكية اخرى في الوجبة الترفيهية اليومية التي تتناولها جماهير العالم.

5-رسالتنا هي الحرية، ولكننا لسنا مرشدي البشرية في طريق الحج الى الكمال. أقوى رسالة أمريكية في العصور الحديثة التي تنقل عبر أفلام هوليوود وبرامج التلفزيون والموسيقى الشعبية هي رسالة الحرية ، وأن "كل فرد يمكنه كتابة قصته او قصتها" بجدارة إذا بذل كل منهما جهدا وحافظ على خصاله- وهي رسالة تنافسها قيم الترفيه لما بعد الحداثة والتي تقول "اي شيء ينفع اذا كان يوسع حصة السوق" والتي تركزعلى قيم اللمعان الخاطف للأنظار وحياة النجوم. هذا هو ما يخلق صراعا مع

اولئك الذين يريدون الحفاظ على نزاهة عاداهم المحلية اضافة الى الرسالة الضرورية للأديان السائدة بضمنها المسيحية والاسلام واليهودية ، والتي تؤكد على مادية أقل وتقوى أكثر.أنه صراع البابا ضد مادونا ، أو الإم تي في ضد الحجاب.

6-ينبغي على هوليوود أن تثقف كما تسلي. من أجل السعي لكسب القلوب والعقول في عصر الإعلام الترفيهي العالمي ، تحتاج الثقافة الشعبية الأمريكية الى التثقيف اضافة الى الترفيه. حين يتفق الإبداع مع الضمير، تحتاج هوليوود أن تمتد الى ما وراء أفلام صدمة وترويع تحطيم شباك التذاكر ، للترويج للحضارة اللبرالية القائمة على ميزتنا التنافسية – مجتمع كوزموبوليتان متعدد الاعراق والثقافات صالح للبقاء- ضد اولئك الذين يسعون الى نقاء الدين او القبيلة او الامة بشكل استقصائي مخيف. ومن أجل المصداقية في بيت الزجاج العالمي الذي خلقه الإعلام الترفيهي ، فإن مبادرة مثل الدبلوماسية الثقافية على اية حال تحتاج ايضا الى ان تعكس التواضع بشأن حدود ثقافتنا اللبرالية والاقرار بأننا "لسنا مرشدي البشرية في مسيرة حجها الى الكمال" . هل ينبغي علينا أن نكون فخورين جدا بأن برتني (سبيرس) التي تتبع الإعلام كل شاردة وواردة من الهيارها، هي الرمز الذي يعكس طريقتنا في الحياة؟

والترفيه والاعلام الأمريكي يحتاجان أيضا الى تقديم رؤية تعاطفية لجمهورنا المنعزل بشكل مؤسف ، حول الآخرين الذين لانعرف عنهم الا

القليل ، ولكن الذين ارتبطنا بهم حتميا بالعولمة. للترفيه الأمريكي مسئولية خاصة في هذا المجال طالما أن معظم الأمريكيين يحصلون على صور العالم من خلال الافلام والتلفزيون ومعظم العالم يحصل على صورنا من الافلام والتلفزيون الامريكي . لهذا السبب، هوليوود هي اللاعب الرئيسي فى "التحالف العميق" المطلوب لدعم سياسة خارجية ذات "قوة ذكية "، ولتأسيس بنى تحتية ثقافية عالمية من شأنها أن تجعل العالم آمنا للتعايش.

نبذة عن المؤلفين: نيثان غاردِيلز – مايك ميدافوي

نيثان غارديلز Nathan Gardels

أصبح رئيس تحرير دورية **New Perspectives** منذ صدورها في **1985**. وقد عمل رئيس تحرير **Global Viewpoint** و **Nobel Laureates Plus** (وهما تابعتان لنقابة لوس انجيليس تايمز/تريبيون ميديا) منذ **1989**. وهذه الصحف لها جمهور واسع يتكون من **35** مليون قاريء بــ **15** لغة.

وكان غاردلز قد كتب كثيرا في وول ستريت جورنال ولوس انجيليس تايمز و نيويورك تايمز وواشنطن بوست وهاربرز ويو إس نيوز ووورلد ريبورت، وكذلك نيويورك ريفيو اوف بوكس **New York Review of Books** . كما كتب في مطبوعات أجنبية بضمنها كورر ديلا سيرا والبيس ولوفيجارو و صحيفة ستريت تايمز (سنغافورة) و يوميوري شمبون واويستادو دي ساو باولو والجاردين ودي فيلت وأخرى كثيرة . ومن مؤلفاته: "في نهاية القرن :انعكاس العقول العظيمة على زمننا" و "النظام العالمي المتغير"

منذ **1986**، اصبح غاردلز قائد الميديا في المنتدى الاقتصادي العالمي (دافوس) . كما ألقى محاضرات في المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو) في الرباط، بالمغرب، وفي الأكاديمية الصينية للعلوم الإجتماعية في بكين. كان عضوا مؤسسا في لقاء نيودلهي لمفكري العالم

Intellectuels du Monde وباحث زائر في المعهد الأمريكي الكندي في موسكو قبل نهاية الحرب الباردة. كان ومايزال عضوا في مجلس العلاقات الخارجية ، اضافة الى المجلس الباسيفيكي ، لعدة سنوات وهو زميل أقدم في كلية الشئون العامة بجامعة كاليفورنيا.

من 1983 الى 1985 عمل غاردلز مديرا تنفيذيا لمعهد الستراتيجية الوطنية حيث أدار أبحاث السياسية في المعهد الأمريكي الكندي في موسكو، ومعهد الشعب للشئون الخارجية في بكين، والمعهد السودي في استوكهولم ومؤسسة فريدريش ايبرت في بون. وقبل ذلك ، قضى اربعة أعوام مستشارا اول لحاكم كاليفورنيا للشئون الاقتصادية، مع التأكيد على الاستثمار العام وقضايا التجارة وحوض المحيط الهادي ومكسيكو.

يحمل غاردلز شهادات في النظرية والسياسيات المقارنة وفي العمارة والتخطيط المدني من جامعة كاليفورنيا. يعيش في لوس انجيليس مع زوجته ليلي وولدين : كارلوس واليكساندر.

مايك ميدافوي

استعرض بعض أفضل الأفلام الأمريكية على مدى 35 سنة الماضية، ولابد أن يصادفك دور ميدافوي في المساهمة في نجاح الكثير منها. فقد كان له صلة بأكثر من 300 فيلم أثناء مسيرته المهنية من وكيل الى رئيس ستوديو.

بدأ ميدافوي مهنته في ستوديوهات يونيفرسال في 1964 ، وق تدرج من غرفة البريد الى ادارة اختيار الممثلين. في 1965اصبح وكيلا في

شركة جنرال ارتست ثم نائب رئيس في وكالة الإدارة الخلاقة **Creative Management Agency**، وحين انضم الى وكالة المشاهير الدولية **International Famous** نائبا للرئيس مسئولا عن قسم السينما في **1971**، عمل مع عملاء مهمين مثل ستيفن سبيلبيرغ وفرانسيس فورد كوبولا وتيرينس مالك و جين فوندا ودونالد ساذرلاند وجين وايلدر وجين مورو وجان لوي ترنتنيان من بين آخرين. وقد جاءت به شركة يونايتد ارتستس كنائب رئيس أقدم للانتاج في **1974** حيث اصبح جزءا من فريق مسئول عن افلام مثل "طار فوق عش المجانين" و "روكي" و "آني هول" وكلها فازت بجزائز اوسكار لأفضل فيلم خلال ثلاث سنوات متتالية في **1975** و**1976** و**1977**. وأفلام أخرى مهمة مثل "الرؤيا الآن **Apocalypse Now** " و"الثور الهائج" و "شبكة " و"العودة للبيت".

في عام **1978** أسس ميدافوي بالمشاركة شركة أفلام اوريون **Orion Pictures** التي انتجت تحت حيازته افلاما مثل "بلاتون" و"اماديوس" والشرطي الآلي – روبوكوب" و"حنا واخواتها" و "المدمر **Terminator**" و "الرقص مع الذئاب" و "صمت الحملان" . في **1990** وبعد **12** سنة مثمرة في اوريون، اصبح ميدافوي رئيس مجلس ادارة أفلام تريستار **TriStar** . وتحت رعايته انتجت ألأفلام الناجحة "فيلادلفيا" "المدمر **2**" و "يوم الحساب" (مع شركة كارلوكو) و"أرق في سياتل" و"الشرسة" (مع شركة كارلوكو) و"الملك الصياد **Fisher King**" و"اساطير السقوط" و فيلم ستيفن سبيلبرغ "خطاف

Hook". ومن بين الأفلام التي كان لميدافوي صلة بها رشحت **16** لنيل الأوسكار لأفضل فيلم ، وفازت سبعة منها بجائزةو الاكاديمية لأفضل الأفلام. اضافة الى العديد من جوائز المهرجانات العالمية.

وقد صنع ميدافوي بصمة له ليس فقط داخل صناعة الأفلام وانما في مجتمعه أيضا. وقد استلم عدة جوائز بضمنها جائزة رائد السينما للعام **1992** وجوائز "الانجاز المهني" من جامعة كاليفورنيا **1997**، وجامعة وسط فلوريدا **2001** و جائزة نيل جاكوبي من جامعة كاليفورنيا في **1999** وهي جائزة تقدم للأفراد الذين قاموا بمساهمات استثنائية للبشرية. في **2001** استلم جائزة فريد زمرمان التي قدمتها رابطة مكافحة التشهير، وفي **2002** استلم جائزة مسيرة الحياة من مهرجان الفيلم في اسرائيل. في **2004** منح جائزة لويس ماير المهنية . واستلم جائزة قائد العام من جامعة فلوريدا اطلانتك وجائزة كل الأعمال من مهرجان كان في **1998** . في **2005** استلم ميدافوي جائزة الرؤية من جامعة كاليفورنيا ، كلية نقابة المسرح والفيلم والتلفزيون والمنتجين في أمريكا. وفي **2007** استلم جائزة مارلون براندو من ستوديو ستيلا ادلر للمثلين. كما خدم رئيسا للمحكمين في مهرجان افلام طوكيو ومستشارا في مهرجان افلام شانغهاي ومستشارا في مهرجان سان بطرسبرغ. وكان عضوا في هيئة اكاديمية فنون وعلوم السينما (**1977-1981**). وهو ايضا أحد الأعضاء المؤسسين الأصليين لهيئة حجكام معهد ساندانس (**1978**) ورئيس مجلس ادارة فخري للسينماتيك الامريكية و ستوديو ستيلا ادلر للمثلين . اضافة الى انه شرف بالسير في ممرات الشهرة في

هوليوود ورسمت نجمة باسمه على شارع هوليوود (2005) وفي يوليو 2008 منح جائزة الانجاز الكلي من مؤسسة أفلام القدس وقلد فارسا في فرقة الشرف الفرنسية في 2009.

وامتدادا لدوره في المجتمع، عين ميدافوي في هيئة المديرين في متحف العلم والصناعة في لوس انجيليس من قبل الحاكم السابق جيري براون وعين من قبل العمدة ريتشارد ريوردان مفوضا في هيئة لوس انجيليس للمنتزهات والاستجمام. وهو عضو في هيئة مديري جامعة تل ابيب. كما انه يخدم أيضا في هيئة أمناء مؤسسة جامعة كاكليفورنيا وعضو جماعة المانحين للجامعة، وهيئة المستشارين في كلية المسرح والفيلم والتلفزيون بجامعة كاليفورنيا، ولجنة علاقات الطلبة التابعة لرابطة الخريجين . كما انه رئيس مجلس ادارة مشارك في مركز بركل في مركز جامعة كاليفورنيا للعلاقات الدولية وخدم عضوا في هيئة مستشاري في كلية كندي في جامعة هارفارد لمدة خمس سنوات وهو عضو مجلس العلاقات الخارجية . ميدافوي ايضا عضو في لجنة مستشاري مركز فنون باري شنكوف وهو مرك دولي للتجارب الفينة والتعاون وهو يقدم فرصا فريدة للتطوير المهني للفنانين الواعدين والجدد من انحاء العالم .

في 2002 عينه الحاكم جراي ديفز في هيئة مستشاري مركز معلومات مكافحة الإرهاب في كاليفورنيا.

اليوم بصفته رئيس مجلس ادارة ومؤسس مشارك في شركة فينكس للسينما **Phoenix Pictures** فقد أنتج ميدافوي افلاما مثل "الشعب ضد لاري فلاينت" و "المرآة لها وجهان" و"استدارة U" و

"تلميذ مناسب" و "الخط الأحمر الرفيع" و "اليوم السادس" و "اساسي **basic**" و "حفر **Holes**" . وقد حازت هذه الأفلام على ترشيحات وجائزتي من الدب الذهبي في مهرجان برلين للسينما وخمسة جوائز الستلايت الذهبي وجائزة التصوير السينمائي للمصور جون تول من الجمعية الامريكية للمصورين السينمائيين، وترشيحات من نقابة المخرجين الأمريكيين ونقابة كتّاب أمريكا لتيرينس مالك واثنين من افلامه ترشحا للاوسكار وهما "الخيط الأحمر الرفيع" و "الشعب ضد لاري فلاينت"

مؤخرا اطلقت شركته فينكس من بين أفلام أخرى "كل رجال الملك"(من تمثيل شون بين وجود لو وكيت ونسليت وانطوني هوبكنز ومارك رافالو كتبه واخرجه ستيفن زيليان) وفيلم "زودياك" (تمثيل جيك غليندال وروبرت داوني جونيور ومارك رافالو من اخراج ديفد فنشر) وفيلم "مس بوتر" (تمثيل رينيه زلويجر وايوان ماكجريجر واخراج كريس نونان) و"المستكشف" (تمثيل كارل اوربان اخراج ماركوس نسبيل) وقد بدأ في انتاج فيلمين أ؛دهما "جزيرة شاتر **Shutter Island**" وهو فيلم أخرجه مارتن سكورسيس ومثله ليوناردو دي كابريو، و"شانغهاي" من تمثيل جون كوساك وجونج لي وكين واتانابي وتشو يون فات.

في **2002** ، نشرت دار نشر سيمون وشوستر كتاب ميدافوي الرائج "انت جيد بجودة فيلمك التالي: **100** فيلم عظيم ، و**100** فيلم جيد، و**100** فيلم تستوجب اطلاق الرصاص عليّ"والذي اعيد نشره فيما بعد بنسخة شعبية في **2003**.

خلال مسيرةته المهنية ، كان مايك ميدافوي نشيطا في مجال السياسة. في **1984** كان الرئيس المالي المشارك في حملة جاري هارف. كما انه ساهم بنشاط في حملتي انتخابات الرئيس كلنتون في **1992** و **1996**. في **2008** دعم ترشيح براك اوباما وكانت زوجته ايرينا هي الرئيس المالي المشارك.

ولد مايك مدافوي في شانغهاي بالصين في **1941** من أبوين روسيين يهود وعاش في شيلي من **1947** الى **1957**. تخرج بمرتبة الشرف من جامعة كاليفورنيا في **1963**. متزوج من ايرينا ميدافوي ولديه ولدان بريان ونيكولاس ويقيم في بفرلي هلز بكاليفورنيا.

المترجمة في سطور:

بثينة الناصري

- أديبة عراقية تكتب القصة منذ منتصف الستينات ونشرت اول مجموعة في بغداد عام **1974**.
- مترجمة وباحثة .
- في أواخر **1979** هاجرت الى مصر واستقرت فيها منذ ذلك الحين.

من أعمالها القصصية:

- حدوة حصان – نشرت في بغداد **1974**
- – موت إله البحر – نشرت في القاهرة **1977**
- فتى السردين المعلب – نشرت في بغداد **1991**
- وطن آخر – نشرت فقي القاهرة **1995**
- الطريق الى بغداد – نشرت في القاهرة وبغداد في وقت واحد **1998**
- لماذا لا نذهب الى البحر كثيرا ؟ – القاهرة **2008**
- **Final Night** مختارات من قصصها مترجمة الى الانجليزية صدرت عن دار نشر الجامعة الامريكية في القاهرة **2001** وطبعة ثانية في **2008**

- **Notte Finale** مختارات مترجمة الى الايطالية صدرت في ميلانو **2003**

الأعمال التي ترجمتها عن الانجليزية

- رواية (بن يجوب العالم) للروائية دوريس ليسنج **2009** عن الهيئة العامة للكتاب
- كتاب (يوميات الجنود الأمريكان في بلاد الرافدين) **2008** عن مركز الحضارة العربية – القاهرة
- رواية "عذارى من حجر" للروائية ايفون فيرا – من زمبابوي – **2011** المركز القومي للترجمة –القاهرة
- كتاب (الإعلام الأمريكي بعد العراق: حرب القوة الناعمة) – للمؤلفين ناثان غيردلز– ومايك ميدافوي– عن المركز القومي للترجمة – **2015** القاهرة
- ترجم العديد من قصصها الى الانجليزية والفرنسية والالمانية والسويدية والنرويجية والاسبانية
- قاصة ومترجمة وكاتبة و باحثة وصاحبة دار نشر لفترة وجيزة (خمس سنوات).

الفهرس